الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد (تلمسان)

كلية الآداب و العلوم الإنسانية و الإجتماعية

قسم الثقافة الشعبية

شعبة الفنون الشعبية

قصر مغرار التحتاني

دراسة أثرية و معمارية

رسالة لنيل شهادة الماجستير

من إعداد الطالب :

مباركي عبد المجيد

الأستاذ المشرف :

أ. د. حاجيات عبد الحميد

مساعد المشرف

أ. معروف بلحاج

السنة الجامعية : 2000 / 2001

الإهـــــداء

أهدي هذا العمل المتواضع :

إلى الوالدين الكريمين اللذان كدا من أجل تنويري و تعليمي

إلى زوجتي و ابنتي سارة و ابني إلياس

إلى الإخوة و الأخوات خاصة محمد

إلى الروح الطاهرة للأب محمد تيفور

إلى زينب طيب بلعيد ، أمين ، رشيد

إلى العم و الخال

إلى أساتذتي الكرام خاصة د. عبد الحميد حاجيات و أ. معروف بلحاج ، بودوايـــة مبخوت و عبد الحميد بكري.

إلى كل عمال ثانوية الاخوة الخمسة حميدات

التشكرات

وأنا أبحث في الموضوع صادفني الكثير من العوائق و لكن بفضل الله و بفضل جـــهود أساتذتي و أصدقائي تمكنت من تجاوزها.

أتقدم بالشكر الى الأستاذين المشرفين د. عبد الحميد حاجيات و معروف بلحـــاج و أستاذي الكريمين مبخوت بودواية و عبد الحميد بكري دون أن أنسى الجهد الـــذي بذله كل من محمد دايم، ابراهيم سلامي، نذير عطاوي ،،سيرات بوحفص و ســـامية بلعقيد و أنوه في ذات الوقت بالدعم الذي قدمه لي أعضـــاء مكتـــب الدراســـات المعمارية و العمرانية و الخدمات تسفاوت عبد الله خاصة محمد و لخضر والسيد بركة مصطفى كما لا أنسى أن أشكر عمال المديرية العامة للأرشيف بالجزائر العاصمـــة و عمال المكتبة الوطنية بحيدرة و فرانز فانون.

مقدمة

إن الآثار لم تعد في عالمنا اليوم مجرد أحجار منحوتة ، أو أعمـــدة ، أو تماثيل جميلة، أو أواني مزخرفة ، بل هذه وغيرها مما هو مطمور في باطن الأرض مما خلفته القرون المتعاقبة تمثل استقراءا كاملا أو جزئيا لحياة أمم سابقة، حياة من جوانب سلوكية ، علمية، حضارية، فنية، وهي باختصار تمثل تسجيلا تاريخيا لما كانت عليه تلك الأمم في حضارتها ،و متطلباتها ،و مقوماتها. ومن هنا تأتي أهمية البحث و التنقيب عن أثار السالفين لاستخراج ما قد يضيف جديدا أو يشير إلى حقيقة غائبة يكون لها أثرها العلمي في ما سبق من استنتاج سلبا أو إيجابا، تأكيدا أو نفيا و تعديلا.

و الأمة التي تركض وراء قديمها و التنقيب عنه و دراسته هي أمة تبحث عن جذورها لتقف على حقائق عبقريتها و بخاصة إذا كانت أمة لها تفوقها في مجالات عديدة.

ن علماء الآثار و التنقيب ممن حملوا على عواتقهم محاولة كشف أثار السابقين لم يبعدوا بعد عن قشرة الأرض في حفرياتهم و لا يزال أمامهم الكثير مما هو مخبأ تحت الأرض من تراكمات حضارات كثيرة ، وبما أن هناك تلازم بين علم الآثار و التاريخ فيبقى هذا الأخير في معناه الواسع عرض منظم مكتوب للأحداث و خاصة تلك التي تؤثر في أمة أو نظام أو علم أو فن،وهو بمصادره المباشرة وغير المباشرة كتاب مفتوح على الماضي بمختلف أبعاده المكانية و الزمانية، وهذا لأجل إرساء القواعد الصحيحة للإقلاع الحضاري.

و إذا ربطنا الانطلاقة الحضارية بالماضي كان من المفروض علينا أن نقف عند المستوى العمراني و حركة الإنسان داخل هذا المستوى و تفاعله مع المجتمعات المحيطة به. إن الحضارة في نظر علماء الاجتماع ولدت بميلاد العمارة و لا تنمو إلا بنموها فالإبداع الحضاري ولد من رحم المدينة.

إن الدراسات التي خاض فيها الباحثون بشكلها العام في مجال العمران و دوره في الحضارة كثيرة و متعددة لكنها قليلة تلك التي وجهت للمناطق الجنوبية بالجزائر، لذا

وقع اختياري في البحث على عمران الأطلس الصحراوي.و بما أنه يستحيل بمكـان أن اتخذ من كل القصور الجنوبية موضوعا للبحث، فقد حاولت أن أقف عند قصر مـن قصور المنطقة و الذي يتمثل في قصر مغرار التحتاني ، الذي ينتمي إلى ولاية النعامـة التي تتوفر على إمكانيات ثقافية ، و حضارية هائلة معترف بها على المستوى الوطني و العالمي، و تعتبر جبال القصور منطقة تتوفر بها أغلب القصور القديمة ، و النقـوش ، والرسومات الصخرية المتواجدة على الحدود الجزائرية المغربية، و بالضبط غرب مدينة العين الصفراء و من الجهة الشرقية حتى ولاية البيض. ومنه فالمنطقة تبقى مجهولـة و ميدان بحث خصب إذا استثنينا بعض الدراسات الفرنسية التي كان اهتمامها بالجـانب التاريخي دون الاعتناء بالجانب المعماري.

و طبقا لما قرره الباحثون الاجتماعيون على حد قول الدكتور عقاب يمكن تقسـيم دراسة العمران الصحراوي إلى مرحلتين أساسيتين هما:

1. الحضارة الإنسانية و تطورها بالمنطقة: و القصد هو الوقوف عنـد الجـانب التاريخي بجميع أطواره من عصر ما قبل التاريخ إلى العصر الحديث .
2. منشآت القصر و وظائفها:و القصد هو دراسة معمارية للقصر و عنـاصره و أقسامه و معرفة أصول العمارة بالمنطقة و مكانها من العمارة الإسلامية.

هذا التصنيف يسمح لامحال بمعرفة فاعلية إنسان المنطقة حضاريا و تأثـيره و تـأثره بالمناطق المجاورة. فكيف استطاع الإنسان أن يتكيف بها؟ و ما هي العوامـل الـتي ساعدته على ذلك ؟ ماهي الخصائص المعمارية لقصر مغرار التحتاني ؟ مـا مـدى تشابهها مع عمارة القصور المجاورة ؟ فيما تختلف العمارة القديمة للأطلس الصحـراوي عن عمارة المناطق الأخرى ؟ أين موقع عمارة القصر و المنطقة من العمارة الإسـلامية القديمة ؟ هل هي محاكاة لها أم هي وجه متميز فيها ما يوحي بالتجاوز و الإبداع ؟

إن معرفة الجانب العمراني للقصر مرهون في هذا البحث على الوقوف عنـد أسـس ذلك العمران و كيفية تطوره و أصوله الثابتة و غير الثابتة التي جـاء بهـا الإنسـان للمكان، و أيضا على المواد التي استعملها مما هو محلي أو إقليمي لأجل البناء. و كـل

ذلك نستطيع معرفته من إدراك الطابع العام لشكل العمـــارة و تحليـــل عناصرهـــا لاستخلاص القواعد العامة لنوع العمارة. فالحضارة مهما ارتبطت بعاملي المكـــان و الزمان فهي في جوهرها إنسانية ليست حكرا على مجتمع دون آخر أو عصر دون بقية العصور ،ما يدفع مقارنتها بأصول معمارية أخرى ، فالترحال و الهجرات و العلاقات التجارية دور عبر التاريخ في نمو العمران.

إن القيام بمثل هذا العمل لا يتطلب فقط الوقوف على منشآت القصر و ما بقي منه ، بل تحليل عناصر العمارة وتحديد وظائفها و علاقتها بحاجات السكان المعيشية ، وهـــو أمر يدفع إلى اعتماد مصادر خاصة ،منها التحابس الوقفيـــة و المصـــادر الشـــفهية، ومراجع الرحالة الأجانب الذين حلوا بالمنطقة قديما ، فمصلحة الأرشـــيف بوهـــران ومكتبة المتحف التابعة للبلدية و المكتبة الوطنية فرانز فانون تحتوي على الكثـــير مـــن مراجع هؤلاء ،حيث كما هو معروف إن التوسع الاســـتعماري بالمنطقـــة لم يكـــن عسكريا فقط، بل وازاه عمل الجغرافيين و الجيولوجيين و علماء الآثار و المؤرخـــين، زيادة على هذه المصادر يجب اعتماد خرائط و صور قديمة والتردد علـــى المكتبـــات العامة منها و الخاصة.

و بما أن الموضوع ميداني فإن المنهج يقوم على الوصف أولا و التحليل ثانيـــا، فأمـــا الوصف فهو خارجي للعوامل الطبيعية المحيطة بالقصر من الواحة ، الوادي ، الحقول ، و البساتين، و أيضا وصف المعالم العامة للقصر. و داخلي يتمثـــل في المســـجد ، و الشوارع ، و الأزقة و الحوانيت، أما التحليل كما سبق الذكر يكون بتحديد العنـــاصر المعمارية و معرفة تكوين البناء بالمنطقة.

المدخل

لماذا استقر الإنسان بمنطقة مغرار التحتاني ؟:

لماذا استقر الإنسان بمنطقة مغرار التحتاني ؟ وما هي أسباب نشأة المدينة بهذه المنطقة ؟

لقد أشار عبد العزيز سالم لشروط بناء المدينة، والاستقرار وحددها بقوله: "أحسن مواضع المدن أن تجمع بين النهر الجاري والمحراث الطيب واعتدال المكان والمحطب القريب ...والسور الحصين"[1] وتتردد هذه الشروط بصيغة أو بأخرى في المصادر الجغرافية التي تتحدث عن مواقع المدن وصفاتها الحسنة، مما يؤكد عمق الإدراك بهذه المعايير والشروط التي تميز المواقع الصالحة لإنشاء القصور.

فالنسبة للشرط الأول ، بني قصر مغرار التحتاني في مكان يحتوي على الشروط المذكورة، فالنهر الجاري يتمثل في الوادي الذي يمر غرب القصر، والذي كانت مياهه دائمة الجريان قبل أن يضرب الجفاف بالمنطقة في السنوات الأخيرة. أضف إلى ذلك السواقي الجارية التي مصدرها حاسي حمادي ،وعين سيد الحاج بحوص.

إن أهمية سعة الماء هو شرط أول وأساسي لاختيار موقع بناء القصر، فعليه تقوم الحياة، ولابد من الإشارة إلى سعته، مما يوضح النظرة المستقبلية عندما يزداد عدد سكان مغرار التحتاني، حتى لا تجف أراضيهم وتصبح يوما ما قاحلة، دافعة بهم إلى الهجرة بعد عناء كبير وجهد جهيد في بناء القصر والاستقرار به. ثم عذوبة الماء أي صلاحيته للشرب حيث أن الملوحة في الماء لها أثر سلبي كبير في عملية الاختيار، "ويكفي أن نشير إلى أثر ملوحة الماء في الحد من عمران البصرة في الفترة الأولى من تاريخها وشكوى أهلها من ذلك حتى تم جر قنوات الماء العذب إليها من الأنهار القريبة"[2].

والشرط الثاني، هو التخطيط الاقتصادي لأجل توفير الغذاء، وهو هدف يبنى على الزراعة أولا. فالزائر عندما يصل مشارف المدينة بين الجبل و الوادي حتى يصير

---

[1]- د.السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير في العصر الإسلامي- مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية. ص441-442.

[2]- د.محمد عبد الستار عثمان: المفهوم الاسلامي لتخطيط المدينة مجلة المنهل العدد 454 المجلد 48. ماي، جوان 1987 ص288.

كالمتيم، تبهره بساتينها الخلابة الممتدة على كيلومترات عديدة كلها نخيل، وأشجار بمختلف الفواكه خاصة تمورها ،حيث تعتبر أكبر منتج لها بالمنطقة على الإطلاق. وأشهر نوع هو "دقلة أغراس"* الجيدة والمقاومة لمرض البيوض ، وبها أيضا الرمان، والمشمش والخوخ.

ثانيا : التجارة والمبادلة، لذا فإن اختيار موقع المدينة مرتبط غالبا بطرق التجارة مع غيرها من المدن، ومع إقليمها بهدف توفير احتياجاتها التي لا تنتجها وتصدير منتجاتها، فلا يوجد عبر تاريخ الإنسانية تجمعا بشريا كان مكتفيا، وعاش عزلة عن بقية التجمعات المجاورة. وهنا يضرب ابن خلدون مثالا للتبادل والتكافل الاجتماعيين حيث يرى "أن الخبز وهو أبسط مادة ينتجها الإنسان لا تكون إلا بمجهود الفلاح ومجهود الطحان وأخيرا الخباز". [1]

لقد كانت القبائل المجاورة من قصر تيوت، صفيصيفة ، عين الصفراء، الشلالة الظهرانية، و حميان البدو الرحل من أهم المتعاملين مع أهل قصر مغرار التحتاني. كما أن المنطقة كانت منطقة عبور للقوافل المتوجهة من الشمال إلى الجنوب أو العكس وهذا ما سأشير إليه في فصل الدراسة المدنية في عنصر الأسواق.

و الشرط الثالث هو اعتدال المكان وجودة الهواء.وهذا الشرط يؤكد أهمية المناخ، والاعتبارات الصحية في اختيار المسلمين لمواقع مدنهم، ولما كانت المدينة مظهرا من مظاهر التفاعل بين الإنسان وبيئته، ولما كان المناخ عنصرا من عناصر هذه البيئة فإن إدراك المسلمين لأهميته في بناء مدنهم يعكس مستوى حضاريا متقدما.

إن قصر مغرار التحتاني، كما سبق الإشارة إليه في الشرط السابق له غابة كثيفة من النخيل، 14000 نخلة حسب غنار Guenard[2] وأنواع كثيرة من أشجار الفواكه، إضافة إلى الوادي الذي يفصل القصر عن الواحة، كلها عوامل جعلت من جودة

---

* دقلة أغراس: نوع من التمر غير الجاف.

[1] -عبد الرحمان ابن خلدون: المقدمة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت سنة 1960 ، ص 722

[2]- Guenard :DESCRIPTION SOMMAIRE DE KSAR DE MOGHRAR TAHTANI. BSGO 1981 Page 74.

الهواء تؤثر على الحالة الصحية ،والنفسية للإنسان تأثيرا إيجابيا، ويؤكد القزويني على الربط بين جودة الهواء وأثرها على الحالة النفسية للإنسان، فيذكر في حديثه عن الطائف: "طيبة الهواء شمالية وربما يجمد ماؤها في الشتاء. قال الأصمعي: دخلت الطائف وكأنّي أبشر، ينضح قلبي بالسرور و لم أجد لذلك سببا إلا انفساح جوها وطيب نسيمها"[1] فمعروف ساكن قصر مغرار التحتاني بتركيبة فيزيولوجية قوية، ونفسية متزنة أكثر استعدادا للتعايش ونبذا للعنف.

ومن بين مقاييس معرفة جودة الهواء ،والمناخ هو طيب التربة ولطافتها التي تبقى الغلات في مطاميرها لفصول دون أن تتعفن، أو تتغير. وهذه المطامير سأشير إليها في الجانب التاريخي وقد تم حفرها من طرف القصوريين بالتعاون مع حميان.

إن للمناخ أثر في الأسلوب المعماري للقصر، وفي شوارعه، وتحديد اتجاهاتها، وتشابهت هذه التأثيرات في معظم المدن الإسلامية خاصة أن الكثير منها يقع في المناطق الحارة، فالمباني تتلاصق وتتدرج مقاييس الشوارع، واصبح الفناء عنصرا رئيسيا في العمارة ،وتشابهت الواجهات وعنصر التهوية.

أما الشرط الرابع هو القرب من المرعى والاحتطاب.يقول ابن الأزرق في أصول اختيار مواقع المدن: "الشجر للحطب والخشب والحطب لعموم البلوى به في وقود النيران والخشب للمباني وكثير مما يستعمل ضروريا وكماليا..."[2].

أشرت في السابق إلى أن مغرار التحتاني محاذ لواحة كبيرة جدا (ينظر للوحة ص 131)، وتحتوي أراضيها على حشائش وأعشاب تجعل من أغنام أهاليها، وماعزهم وأحصنتهم ترتع بما تجود به الطبيعة على هذه المنطقة وإن فقدت الآن الكثير من أنواع الأعشاب نظرا للجفاف الذي ضرب الجهة. أما الأخشاب فتعتبر من جهة، الوقود الأولي للطهي والتدفئة أيام البرد الشديد؛ ومن جهة أخرى من المواد الأساسية واللازمة للبناء، فكل منشآت القصر من مساكن، ومسجد وزقاق ومرافق أخرى

---

[1]- القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد. دار صادر بيروت. ص08.

[2]- ابن الأزرق: بدائع السلك في طبائع الملك. تحقيق د.سامي بغداد. ج2. ص766.

أسقفها من جذوع النخيل وجريده وبعض أجزائه المسمى بـ"القرناف". زيادة على ذلك فأبواب المساكن هي من النخيل المادة الأولية المحلية.

و أخيرا الشرط الخامس هو تحصين المنازل من الأعداء، فبالإضافة إلى الشروط السابقة التي قام عليها اختيار الإنسان موقع التعمير والاستقرار بمغرار التحتاني ،تدخلت العوامل الحربية، فمعروف أن تجارة الناس قديما كانت غزو بعضهم بعضا، لذا فإن تأمين القصر يحتاج إلى معطيات جغرافية ،تسهل على الإنسان استغلالها للدفاع عن نفسه أثناء الاعتداء.

قصر مغرار التحتاني تحيط به جبال صخرية من كل الجهات ،عدا الجهة الغربية التي توجد بها الواحة. إن هذه الجبال تمثل حزاما أمنيا طبيعيا؛ وفي مرتفع أحد هذه الجبال بني البرج الرئيسي للقصر ،الذي من أعلاه يمكن مراقبة كل جهات القصر ، وكان هذا البرج مثل بقية الأبراج التي بلغ عددها بالقصر 32 برجا للإنذار المبكر ،وصد القبائل الغازية.

الموقع الجغرافي للقصر وكثرة أبراجه ،عوامل كانت من وراء اختيار الشيخ بوعمامة أيام العهد الاستعماري لبناء زاويته التي اتخذ منها مقرا لإدارته ،ومركزا لتكوين جيشه وقاعدة انتفاضة على المحتلين الفرنسيين.

إن قصر مغرار التحتاني مكان أحبه الإنسان ،وتشبث به منذ أن عرفه، فترك بصملت حضارية عبر الحقب والأزمنة التي لا تزال بعض آثارها قائمة ،تفتح ذراعيها للزوار ومستغيثة لإنقاذها من الاندثار.

إن الشروط المذكورة سابقا ،تدخلت فيها العوامل البيولوجية، والسياسية والحربية وفي ذلك ما يشير إلى أن اختلاف الظروف المصاحبة لاختيار المواقع تختلف باختلاف العصر، وأن هناك مؤثرات أخرى ،قد تتدخل لتوجه هذا الاختيار توجيها معينا. باستثناء ذلك كانت الشروط المعروضة تمثل المحور الأساسي الذي يدور حوله اختيار مواقع المدن كمرحلة أساسية من مراحل تخطيط المدينة.

الفصل الأول

مغرار التحتاني

دراسة جغرافية وتاريخية

1 دراسة جغرافية

2 دراسة تاريخية

الدراسة الجغرافية والتاريخية:

1- الدراسة الجغرافية:

تحديد الموقع الجغرافي للمدينة هو أول خطوة يجب القيام بها قبل التطرق للدراسة التاريخية والمعمارية ،وهذا لأن التاريخ لا يؤسس إلا على عامل المكان. كما أن العمارة باختلاف نماذجها لا تقوم إلا على رقعة جغرافية اختارها الإنسان، لذا فالموقع الجغرافي هو الذي يرسم التاريخ، وهو الذي يجبر الإنسان على نوع من العمارة دون أنواع أخرى، فمثلا الموقع هو الذي كان من وراء اختيار الشيخ بوعمامة لقصر مغرار التحتاني كقلعة لمجابهة المستعمر الفرنسي ،واستعمال الطوب ،وجذوع النخيل كمواد أساسية للبناء فرضه الموقع الجغرافي أيضا. فما هي إذن الطبيعة الجغرافية لقصر مغرار التحتاني ؟ كيف هي تضاريسه ؟ ما نوع المناخ السائد به ؟ وما هو نوع الغطاء النباتي ؟.

الموقع الجغرافي والفلكي لمغرار التحتاني: يقع مغرار التحتاني في منطقة الأطلس الصحراوي وبالضبط بجبال القصور "هذه الجبال التي تمتد بين مدينة فقيق المغربية ومدينة البيض، وهي تشكل حاجزا بين الصحراء الصغيرة والصحراء الكبيرة"[1]. **يحدها** شمالا مغرار الفوقاني وتيوت ومن الجنوب البنود وواد الجديدة ولوليدات وبلاد البرد ومن الغرب الحدود المغربية ومن الشرق الكدوة (انظر الخريطة ص 101). **أما موقعه** الفلكي فقصر مغرار التحتاني يقع بين دائرتي عرض 36-37 **وخطي طول 2 و3 غرب** غر ينتش ،تبعد بحوالي 10 كلم على مغرار الفوقاني ،و5 كلم على **الطريق الوطني** الذي يقود إلى مدينة بشار ،مساحته 1502 كلم^2 وعدد السكان 1000 نسمة.

---

[1] - Mensier (c) Territoire Militaire d'Ain Sefra (Sud Oranais). Exposé de la situation Géographique et Administrative. Société et Finance de 1906 à 1912 BSGOT34-1914. P24

التضاريس:

يقع مغرار التحتاني على الضفة اليسرى لواد مغرار. هذا الوادي الذي يعتبر جافا خلال معظم فترات السنة وينحدر من مغرار الفوقاني يحيط به جبل بولفقاد وعين الحجاج شمالا وجبل زيف غربا وواد الجديدة وشعبة الحمام جنوبا، ومن الجهة الشرقية جبل الجراوين وجبل جبار (ينظر الخريطة ص 102) " هذه المرتفعات تفصل بينها أودية تنحدر من شمال الهضاب ،أين تنتهي بالصحراء ،وهي تشبه في أشكالها الحصون العسكرية الدفاعية"[1].

مغرار التحتاني والأطلس الصحراوي:

تعرضت المنطقة لحركة دفع تكتو نية* وهي الحركة الألبية** ابتداء من الزمن الجيولوجي الثاني. وتشتمل على 3 أزمنة وهي الثاني والثالث والرابع، تمتد من العصر الترياسي إلى العصر الحديث "فنتج عنها التصدع وألفت تضاريس تمر عليها جبال تقسمها إلى مراكب مميزة ،بعد أن كانت مغطاة بغطاء رسوبي من نوع الكلس خلال مدة العهد الثاني ولكنها عرفت تطورا"[2].

وأكدت الدراسات الجيولوجية الحديثة بأن السلاسل الجبلية التي تظهر بارزة فوق سطح الأرض ،قد ترسبت موادها وصخورها قبل أن تتعرض لعمليات الدفع التكتونية في أحواض بحرية تكتونية عظمى ،التي امتدت دورتها من نهاية الزمن الثاني وبلغت أعظم قوة لها خلال الزمن الجيولوجي الثالث "وعلى ذلك يقسم الجيولوجيون المراحل الثانوية التي أدت إلى تكوين السلاسل الألبية إلى مراحل ما قبل الزمن الثالث، وكانت

---

[1] - Mensier (c). OPCIT Page 26

* حركة الدفع التكتونية هي مصطلح يستخدمه عند الجيولوجيين ومعناه حركة الأرض والتغيرات الناتجة عنها.

** حركة الألبية: نسبة جبال الألب.

[2]- O.Bengougam : Evolution de l'habitat dans l'Atlas Saharien Occidental Algérie. Réflexion sur l'appropriation de l'espace. Page :102.

الحركة الالتوائية في بدايتها ضعيفة ،ثم مرحلة عبر الموين الذي عظمت خلاله درجة نمو هذه السلاسل الالتوائية ثم نهاية مرحلة نموها في نهاية نفس العصر"[1].

وفي هذا الموضوع ذكر يوسف نسيب: " تحيط بالسهول العليا سلاسل جبلية تشكلت بنيتها خلال عدة مراحل تكتو نية على شكل منحدرات الألب...إن المناطق شبه الجافة كالحضنة ،تتميز بمنحدراتها ،ونشأت في الزمن الجيولوجي الثالث والرابع..."[2]. وبما أن منطقة الحضنة هي جزء من الأطلس الصحراوي ،فإن التكوين الجيولوجي هو واحد مع منطقة مغرار التحتاني، وبالتالي يمكن القول بأن هذه السلاسل الجبلية التي تمثل سلسلة جبال الأطلس الصحراوي نشأت عن تجعد الغلاف الثاني الجزري نتيجة قوة الضغط ،وجاذبية الأرض ،وهي تتركب من تموجات قصيرة ورخوة تتكون من طيات على سفوحها ،يتميز جنوبها بأنه هش بسبب الأودية الانهدامية الضعيفة بينما شمالها يتميز بالانحدار على سفوحها. أما الطبقة الرسوبية فإن ميلها أصبح ضعيفا ،وهي تشكل زاوية حادة مع الأودية الانهدامية "إن عملية التعرية قد أدت في نفس المكان إلى وجود أشكال بنيوية نموذجية ،صنعت أودية محدبة طيات مقعرة واضعة خطوطا متصدعة ،تشكل منحدرات صخرية وعلى سطح التضاريس تمتد منحدرات تعرضت للتعرية..."[3].

مغرار التحتاني وجبال القصور:

إن جبال القصور تمتد من مدينة فقيق غربا إلى مدينة البيض شرقا، وهي تكون بعض المرتفعات الصغيرة المتراوحة في الارتفاع، وكل مرتفع له تسمية خاصة، أما الجبال بصفة عامة فسميت بجبال القصور لوجود القصور محاذية لهذه الجبال "هذه المرتفعات تفصل بينها أودية تنحدر من شمال الهضاب ،أين تنتهي بالصحراء ،وهي أشبه في أشكالها بالحصون العسكرية الدفاعية، وهي في طبيعتها صخور متكسرة متفاوتة

---

1 - د.حسين سيد أحمد أبو العينين: كوكب الأرض مكتبة مكاوي بيروت 1981 الطبعة السادسة ص120.

2 - Youcef Nacib : Cultures Oasiennes :Bouxiation. Essai d'histoire Social ENAL Alger 1986. page29.

3 - Helbert Jynad : Le Maghreb : 3ème Edition P.U.F. 1978 P17.

الأحجام كأنها صورة لبقايا عظيمة لحقها هدم عظيم"[1] ومن بين هـــذه المرتفعـــات يوجد جبل مكثر ،وهو موجود في الغرب ،وهو آخر مرتفع كبير من سلسلة القصـور يمتد طولا بحوالي 28كلم من واد الصفراء إلى واد الزويغي" ،ارتفاعه 1,990م وبعــض أجزائه تصل إلى 2,060م، وجبل مير ويمتد نحو الشمال الغربي وينتهي بجانب "بـــني أقحو" طوله حوالي 12كلم وهو وعر التسلق ارتفاعه 1,850م، "جبل مزي" طولـــه 18كلم ارتفاعه1700 م ،وفي الجنوب الشرقي تنتهي منحدرات هذه الجبال بواد مغرار احاط بجبال صخرية.

"تتكون جبال القصور تقريبا من الصخور الرملية" ،تتجه منحدراتها نحو الشمال وهي خالية من النباتات، تجزأت صخورها بفعل الرياح ،والأمطار ،والحرارة المستمرة ،ولا توجد بها منابع المياه ،لكنها تلتقي بمياه الأمطار وهي تشكل في النهاية مـــا يســـمى بالغدير* الذي يجف خلال الصيف"[2]، وقد ذكر فليكس جـــاكو Felix Jacquot أن مغرار التحتاني محاطة بجبال تتكون من صخور كلسية ،وحجرية رملية ،وهي تـــأخذ شكلا حديديا مؤكسدا"[3].

وما يمكن قوله بخصوص تضاريس منطقة مغرار التحتاني ،والمناطق المجاورة ،أنها معقدة باعتبار أنها تضم عدة مرتفعات وأودية وواحات أيضا، فكانت بذلك مسلكا صعبـــا جعل من الحملة العسكرية التي قام بها الفرنسيون تواجه صعوبات كبيرة.

المناخ:

المناخ السائد بمنطقة مغرار التحتاني هو المناخ القاري الذي يعـــرف بـــه الأطلـــس الصحراوي "وهو المناخ الذي يكون فيه المدى الحراري السنوي مرتفعا بـــل يصـــل

---

[1] - Mensier (c) OPCIT P24

[2] - Mensier (c). IBID Page 14

* الغدير: والمقصود به البرك المائية التي تتكون بفعل مياه الأمطار تمثل مصدر للشرب عند الماشية بالمنطقة كما يشرب منها أصحاب البادية والرعاة أحيانا.

[3] - Felix Jacquot : Expédition du Général Cavaignac. B.S.G.O.T35. Page 109.

إلى ضعف مقدار المدى الحراري السنوي في المناخ البحري المعتدل"[1] ،ويرجع ذلك إلى بعد نطاق هذا الإقليم المناخي عن المؤثرات البحرية من جهة ،وإلى قلة تأثره بالرياح الرطبة الآتية من البحر إلى اليابس من جهة أخرى ،ومن تم فإن هذا الإقليم المناخي يسود الجهات الداخلية في القارة.

يقع مناخ مغرار التحتاني تحت تأثير الكتل الهوائية القطبية القارية الشتوية ،والكتل الهوائية المدارية الصيفية ،ولكن يقل فيه حدوث الانخفاضات الجوية مقارنة بحدوثها في الأقاليم البحرية نظرا لاستقرار الهواء ولندرة تقابل الكتل الهوائية المختلفة.

إن درجة الحرارة (كما بينه الجدول ص 107) منخفضة في فصل الشتاء ومرتفعة في فصل الصيف ،حيث مثلا نجدها قد وصلت في منطقة عين الصفراء التي تضم قصر مغرار التحتاني إلى –6,9 كدرجة سفلى سنة 1945 في شهر يناير ،و–1,3 في شهر نوفمبر من نفس السنة ،و–2 في شهر ديسمبر ، و لم تتجاوز هذه الدرجة 3,2 في شهر فبراير. أما في فصل الصيف فوصلت سنة 1995 دائما إلى 16,8 كدرجة سفلى وإلى 38,9 كدرجة عليا في شهر أوت ،وقد تفوق °40 أحيانا .وفي هذا الموضوع ذكر ريني Reyner : "إن الظروف المناخية لمنطقة جبال القصور هي نفسها في منطقة الهضاب العليا بحيث تنخفض درجة الحرارة إلى ما دون الصفر بلا انتظام...وتسجل أعلى درجة خلال شهر جويلية"[2]، وذكرفليكس جاكو Felix Jaquot :" إن درجة الحرارة في منطقة الأطلس الصحراوي غير منتظمة ...لأن المناطق التي تقع في وسط القارات المتراصة أو المتماسكة ترتفع فيها درجة الحرارة في فصل الصيف ،وتنخفض إلى دون الصفر في فصل الشتاء"[3].

---

[1] د.حسين سيد أحمد أبو العينين: أصول الجغرافيا المناخية. دار النهضة العربية للطباعة والنشر. بيروت1405هـ1985م الطبعة الثالثة. ص478.

[2] - Reynier : TIOUT (Sud Oranais).

[3] - Felix Jacquot : OPCIT. Page 272.

هذا فيما يخص درجات الحرارة ،أما ما يخص تساقط الأمطار فقليل من جهة، ومـــن جهة أخرى فهو يمتاز بالتذبذب حيث تختلف نسبة التساقط من سنة لأخـــرى بـــل وحتى من شهر لآخر في نفس السنة.

لقد ذكر مونسي Mensier في هذا الموضوع بـــأن الأمطـــار في منطقـــة الأطلـــس الصحراوي تساقطها متذبذب حيث بلغ متوسطه ما بين سنة 1907 و1912 195ملـــم لكن متوسط الأمطار قبل سنة 1906 فقد بلغ 350ملم"[1]. وليس بعيـــدا عـــن نسـبة التساقط التي تحدث عنها مونسي Mensier ما بين 1907 و1912 فقـــد كـــان معـــدل التساقط سنة 1995 (كما يشير إلى ذلك الجدول ص107)قد بلغ 177ملـــم ،ويبـــين الجدول أيضا التذبذب بين شهر يناير وشهر مارس ،حيث سقطت 2ملم من الأمطـــار في شهر يناير و5ملم في شهر فبراير لتصل إلى 49ملم في شهر مارس ،وبعـــد ذلـــك تتراجع إلى 6ملم في شهر ماي وجوان.

إن ظاهرة تناقص كمية التساقط تعود في الأصل إلى تأثير المناخ الصحراوي الجـــاف على منطقة مغرار التحتاني ،وعلى الأطلس الصحراوي بصفة عامة ،وتنـــاقص تأثـــير مناخ البحر المتوسط لكن في نفس الوقت تشهد المنطقة أحيانا تساقطا فجائيا لأمطـــار طوفانية تؤدي إلى خسائر مادية وبشرية كتلك التي حدثت سنة 1904 والـــتي ذكـــر بشأنها فليكس جاكو Felix Jaquot :" وفر سكان القصور إلى المناطق المرتفعة أثنـــاء سقوط الأمطار الطوفانية ،حيث امتلأت الأودية فتدفقت الأمواج لتلـــج المســـاكن والحقول فتتلف ممتلكات الأهالي وتهلك بعضهم"[2].

ونفس الظاهرة حدثت مؤخرا في نهاية شهر أكتوبر من سنة 2000 حيث غمرت ميـــاه الأمطار مساكن المنطقة ،وأدت إلى هلاك خمسة أشخاص بمدينة عين الصفراء كمـــا وصلت خسائر البدو الرحل إلى فقدان 25000 رأس غنم وعدد كبير من الأبقار.

---

[1] - Mensier : OPCIT. Page 103.

[2] - Felix Jacquot : OPCIT. Page 273-274.

أما الرياح فغالبا ما تكون جنوبية غربية إلى شمالية شرقية، وعندما يتميز هواء المنطقة بالجفاف تحدث العواصف الرملية محملة معها كميات عظمى من الذرات الترابية وتنقلها لمسافات طويلة، تبعد آلاف الكيلومترات عن مناطقها الأصلية وإذا كانت معدلات الانخفاض الرأسي في درجة حرارة الهواء مع الارتفاع مستقرا فتبقى الأتربة والرمال بالقرب من سطح الأرض ،في حين يكون الجو صحوا فوق أعالي العاصفة الرملية .أما إذا كان الهواء يتميز بعدم استقراره فهناك تحدث الاضطرابات الجوية ويصعد الهواء المحمل بالأتربة لارتفاعات عالية بعيدة عن سطح الأرض ،وتتكون السحب الترابية الرمادية اللون وتلك المشبعة بالأتربة ،وتؤدي هذه الأتربة إلى سوء حالة الرؤية وانعدامها أحيانا.

الغطاء النباتي:

إن الغطاء النباتي للمنطقة تتحكم فيه جملة من المعطيات تتمثل بداية في كون الأرضية هي أرضية كلسية غضارية، صلبة وفقيرة من حيث المواد العضوية والأملاح المعدنية لأنها تعرضت إلى انجراف مائي نتيجة الموقع والأودية الكثيرة المذكورة سابقا وانجراف هوائي أيضا، كما أن نقص كمية التساقط وارتفاع الحرارة صيفا وانخفاضها شتاء وطول الفترة الجليدية التي تمتد من نهاية ديسمبر إلى بداية شهر مارس، كل هذا أدى إلى ظهور غطاء نباتي يتميز بخاصيتين:

الأولى: أن هناك بعض النباتات تتميز بالتكيف مع الجفاف ،والثانية أن هناك نباتات أخرى لها دورة حيوية تتناسب مع الرطوبة ،وهي لا تنمو لفترة طويلة نظرا لكون فترة الرطوبة قليلة مقارنة مع فترة الجفاف ،وهذا ما يوضحه(المخطط البياني ص108)

أما فيما يخص النوع المتكيف مع الجفاف فيوجد على رأسه نبات الحلفاء المعروفة بالمنطقة ،ونبات السدرة التي تنتج النبق، ونبات الشيح الذي يستعمله أهل المنطقة في القهوة ونبات ألال ،واليازير اللذان يستعملان للمداواة في بعض الأمراض، أما النوع الثاني الذي له دورة حيوية مرتبطة بالرطوبة فيوجد نبات التالمة ونبات القيز، ويسمى النوع الأول بالنباتات السباتية ،ويسمى النوع الثاني بالنباتات الزهرية.

2- الدراسة التاريخية:

دراسة مقارنة لرسوم القصر وصوره:

إن دراسة القصر من خلال المقارنة دفعتني إلى جمع الرسوم والصور التي خلفها الفنانون والمهتمون بالقصر وجماله ،و مقارنة ما هو قديم بما هو حديث وجينها اتضحت لي بعض الفروق التي أعطتني فكرة عن تطور القصر.

إن أقدم رسم متوفر لقصر مغرار التحتاني (كما توضحه اللوحة ص 133) يعود لسنة 1847 مأخوذ من كتاب القصر والقرية الصحراوية ، الواحة Oasis, ksar et village du Sahara Algérien كما تشير إلى ذلك الدراسة التقنية لقصر مغرار التحتاني لمكتب الدراسات أمين مهاري "M'HARI AMIN[1]" فالقصر هو البناء الوحيد في المنطقة محاط بجبال صخرية من كل الجهات عدا المنطقة الغربية أين توجد الواحة1.

ويتضح من خلال الرسم أن للقصر سور ،وبرج للعسس أسطواني الشكل ،ومسجد بصومعة مغربية التصميم ،ويعطينا الرسام صورة تعكس بنايات موزعة بشكل فوضوي. وهذا ما يأخذ لطرح الفرضية التالية: إما أن الرسام قام برسم القصر بعد نسفه وتدمير أجزاء كبيرة منه أيام الاستعمار الفرنسي في أبريل سنة 1847 ،وإما أن الرسام راح لينقل لنا صورة من مخيلته لقصر ألحقت به السنين دمارا وخرابا فحولته إلى أطلال.

وفي نفس اللوحة يوجد صورة حديثة للقصر مأخوذة من الجهة الغربية ،أي من الموقع الذي نقل منه الرسام صورة القصر، وتبين هذه الصورة بأن القصر بقي بنفس العناصر المعمارية الموجودة في الرسم ،كالبرج والسور الموجودين لحد الآن .ولكن البرج الثاني المسمى "برج حاسي حمادي" موجود في الرسم ولكنه غير موجود في الصورة بل هو مدمر. كما أنه ما يثير الانتباه أيضا هو غياب الأضرحة في رسم سنة 1847 والتي تتضح بشكل جيد في الصورة الحديثة.

[1] M'HARI AMIN OPCIT ... Page 36

ويوجد باللوحة ص 134 صورة قديمة تعود لسنة 1898 والتي تبدو فيها المئذنة واضحة وهي تمثل أعلى بناء في القصر وهي سالمة من الهدم .ويلاحظ فيها القصر على شكل بقايا وآثار لبيوت مهجورة.

أما الصورتين الباقيتين في نفس اللوحة فتعود الواحدة منهما لسنة 1960 ،والأخرى لسنة 1994 وقد أخذتا من نفس الموقع الذي أخذت مه صورة 1898 وهما يوضحان وجود قبة على الجهة اليمنى للواد [أين نجد أيضا الوصف الاستعماري للقصر سنة 1847 يوضح نفس الشيء] ،كما أن المسجد يبدو واضحا بكل عناصره دون انهيار، أما عدد المنازل فيزداد انهيارا.

ونستنتج من خلال هذه المقارنة للصور الثلاثة المعالم الرئيسية للقصر ،التي لازالت موجودة رغم ما لحق القصر من قصف استعماري، وهذه المعالم تكاد تتطابق في الصور الثلاث وملاحظة أخرى سجلتها هي أن القصر لم يتطور و لم يتوسع من حيث زيادة المساكن ما بين الستينات والتسعينات.

وأما اللوحة ص 105 فهي تمثل هذه اللوحة مخططا لمغرار التحتاني يعود لسنة 1847 أين يوضح الموقع الجغرافي للقصر، فهو محاط بالواحة من الغرب أما الجهات الأخرى من الشمال والجنوب والشرق فتحيط به جبال صخرية وهذا ما يجعل من المنطقة التي يوجد فيها القصر منطقة استراتيجية، كما يوجد المخيم العسكري الفرنسي بالجهة الجنوبية وهو موجود في مكان مسطح أين بقي حاليا مغرار التحتاني "الجديد".

وفي هذا المخطط يوجد نقاط مقوية من الناحية العسكرية وهذه النقاط على شكل أبراج للعسس وانعدم فيها ما يشير للمقبرة.

و أخيرا فإن المخطط الموجود باللوحة ص 106 يعطي أكثر معلومات من سابقه فالقصر مبني بغير انتظام وهو يتكون من نظام على شكل مجموعة بيوت منفصلة عن مجموعة أخرى بواسطة شوارع ضيقة على شكل زقاق، ويوضح المخطط بعض الأماكن غير المبنية داخل القصر، قد تكون إما ساحات أو حقول، لكن في أقصى

الجهة الجنوبية الشرقية للقصر يبين وجود ساحة لازالت موجودة لحد الساعة وتحمل اليوم اسم "الداير DAIR رغم صعوبة قراءة التقسيم للقصر يمكن افتراض أن الثغرة الموجودة في شمال غرب القصر قد تكون المدخل المسمى بـ«بابات علي الموجود لحد الآن ،وهذا المخطط لا يوضح أو يبين وجود قبب مثل ما وضحه وصف المستعمر للقصر في أفريل من سنة 1847 بقيادة كافنياك "CAVAIGNAC[1]" أين يبين وجود قبة بالجهة اليمنى للوادي 1.

إن بعض الترميمات وبعض التحولات التي شهدها القصر لا تبينه إلا بعض البقايا والآثار واستنادا إلى الذاكرة الجماعية من آراء بعض شيوخ المدينة فالمقارنة بين مخطط 1847 وما هو موجود الآن تبين أن التغير الذي لحق بالقصر فقد كان من داخله أكثر منه في الخارج، وهذا يبين تاريخيا بأن القصر خضع في كثير من الأحيان إلى اعتداءات مما دفع بسكانه إلى إعادة البناء بطرق تختلف عن سابقاتها.

إن التغير والتوسع داخل القصر حدث بشكل أكثر في القرن الماضي وهذا ما توضحه طرق البناء والمواد المستعملة للبناء، وهنا يمكن تسجيل ملاحظة مفادها أن المسجد وإعادة بناءه غيرت شيئا ما من الطابع الجمالي القديم للقصر كما أن دراسة تطور القصر تبين اختفاء بعض الأماكن الوظيفية كـ "محرز البارود" وباب "أقراو"، أما الجهتين الفارغتين غير المبنيتين المشار إليهما في مخطط 1847 يمكن أن تكونا ساحة "مكرورب" وساحة "تاجرتيلت".

إن قراءة مخطط مغرار التحتاني وتطوره يبين أيضا وجود أبواب للقصر كانت موجودة ثم أغلقت وتم البناء في مكانها حيث يوضح ذلك بعض البقايا والآثار.

وما يجلب الانتباه في القصر وجود بعض الطرق المسدودة التي هي في الحقيقة منافذ للخروج وقت النجدة تقود بأصحابها خارج القصر والمسماة بـ"النقب".

[1] - Felis Jaquot OPCIT… page 480

مغرار التحتاني قبل الفتح الإسلامي:

لقد كانت منطقة الجنوب الغربي بما في ذلك مغرار التحتاني منطقة مجهولة البحث، وبعيدة عن الدراسة حتى سنة 1847 حيث تم الكشف عن الحجرات المكتوبة ،وهي نقوش صخرية بالأطلس الصحراوي ،والتي أكد سكان المنطقة من بدو وقصوريين أنها عرفت دوما وعبر الأزمنة المتعاقبة بهذا الاسم، وكان الطابور العسكري الفرنسي الذي اجتاز المنطقة لأول مرة قد وقف حائرا أمام الرسوم الصخرية لتيوت* بالقرب من عين الصفراء وكان ذلك في 25 أبريل من سنة 1847 ،ثم بمغرار التحتاني بتاريخ التاسع والعشرين من نفس الشهر وفي نفس السنة ،لكن طابع ما قبل التاريخ للحجرات المكتوبة لم يعترف به من قبل الأخصائيين إلا في نهاية القرن ،وبالتحديد عام 1892 ".

إن الاكتشاف للنقوش الصخرية بالأطلس الصحراوي يعكس الظروف التاريخية لتلك الفترة ،إذ أن الاكتشافات لم تكن إلا نتيجة لتوغل الجيوش الفرنسية بمنطقة غرب وهران"[1].

ومن هنا فإن أول المكتشفين كانوا بالدرجة الأولى عسكريين[2] أو تقنيين علماء يصحبون الجيوش ،وهذا ما دفعهم إلى إجراء أولى الدراسات في علم الخرائط والجيولوجيا، أما الدراسات التي خاض فيها هؤلاء اكتنفها نقص أحيانا وغموض أحيانا أخرى.

أين يكمن هذا الغموض ؟ وأين هو هذا النقص ؟ وهل هو مقصود أو بغير قصد ؟.

إن الفصل في هذه الإشكاليات يتطلب الحديث والخوض في أهم الأطوار التاريخية التي مرت بها المنطقة بداية من ما قبل التاريخ ،أي من مرحلة ما قبل الفتح الإسلامي إلى

---

* تيوت: قصر من قصور الجنوب الغربي يبعد عن قصر مغرار التحتاني بحوالي 65 كلم نحو الشمال.

[1]- Félix Jacquot : OPCIT... Page 23.

[2]- من بين العسكريين الذين أشاروا في بحوثهم للمنطقة وتاريخها:

- Félix Jacquot : IBID
- Mensier (c) OPCIT
- Noël (c) : Documents pour servir à l'histoire de Hamiyan et la région qu'ils occupent BSGOT T35 1915.

مرحلة الفتح وأطوار هذه المرحلة الأساسية من حركة الخوارج وفترة الحكم العثماني إلى مرحلة الاستعمار الفرنسي، وهنا أشير إلى ملاحظة مفادها أن المراجع التي تم الاعتماد عليها هي قليلة جدا خاصة تلك المراجع التي تتحدث عن المنطقة بالذات عدا ما خلفه المحتل الفرنسي، هذا الأخير الذي كان اهتمامه بمرحلة ما قبل التاريخ أكثر من اهتمامه بمراحل الفتح ،وهذا ما تؤكده الدراسات الفرنسية للرسوم الصخرية.

"لقد أخذت الاكتشافات طابع البحث والجد بعدما أن كانت أمرا عرضيا ،وصار إلى جانب العسكريين أعداد كبيرة من رجال الثقافة والأخصائيين الجيولوجيين والمؤرخين وعلماء ما قبل التاريخ"[1]. هذا الاكتشاف بواسطة الثلاثية (رجل الجيش، رجل الثقافة، رجل العلم) أسال الكثير من الحبر، وأهم ما ميز هذا النصف الأول للقرن العشرين ثلاثة أعمال ضمن مجموع ما توصل إليه من معارف ويتمثل في العمل الرائع لفلامون ـــ:G.B.M Flamand سنة 1921 وعمل فروبرنيوس L.FROBENIOS و اوبرماتير H.OBERMATER سنة 1925 وفي الأخير التصنيف الرائع أيضا لفوفري ـــ:R.VAUFREY الذي لا يوجد له مثيل منذ ذلك الحين أي سنة 1939"[2].

عصور ما قبل التاريخ: اتسم فن الأطلس بإبراز الحيوانات، و الأسلحة وأشياء مختلفة، إضافة إلى بعض الأشكال لغالبية فنون ما قبل التاريخ في غياب النباتات، وقد كان هذا الفن تصويريا بالأساس خلال طوره ما قبل التاريخ الطويل، إذ كانت صور الإنسان والحيوان على شكل خطوط ،كما كثرت الأشكال الهندسية والرموز وتقلصت الصور إلى الخطوط الأساسية ،وفي هذه الفترة بدأت أولى مظاهر الكتابة.

الفترة الطبيعية: وهي الأكثر جمالا وثراء للمواضيع لأنها بالإضافة لكونها تحمل تعدد الحيوانات والبشر والتي استمدت من هذه المواضع الطبيعية ،فقد أظهرت تنوعا باهرا في الأساليب.

---

[1]- Felix Jacquot : OPCIT… Page 29.

[2]- m'hari Amin : OPCIT… Page 13.

الأسلوب الأول تصويري بصفة خاصة ،حيث كان الاهتمام بالتفاصيل بالنسبة للحيوانات كما بالنسبة للبشر وبأبعاد كبيرة .الكبش بشكله شبه الكروي، الجاموس القديم المصحوب غالبا بشخص الإنسان، الأسد، الفيل بدرجة أقل والكركدن، هذه هي المواضيع المفضلة لهذا الأسلوب الطبيعي التصويري.

الأسلوب الثاني دوما تصويري ذو نوعية جمالية رفيعة يختلف جوهريا عن الأول باهتمامه بالنمنمة وعدم اهتمامه بالتفاصيل التشريحية.

الأسلوب الثالث مرتبط ببيانية منمنمة بشكل واضح، جمالية ديناميكية ميالة إلى الأشكال التجريدية مع تقليص للتفاصيل التشريحية ،بل وتفاديها في بعض الأحيان بتمديد للأجسام، الأبعاد متوسطة في بعض الأحيان ،وصغيرة أحيانا أخرى بل ودقيقة جدا.

"إن أصالة وجمال هذه النقوش قادت فلامون G.B.M Flamand إلى وصفها بالخارقة للعادة"[1]. وقد أخذ هذا الأسلوب اسمه من موقعه عين تازينة ،وربما تبقى خيالية مقارنة بالنقوش الموجودة بمغرار التحتاني التي لها مثيلاتها بجنوب المملكة المغربية(ينظر اللوحات109، 110، 111، 112 .)

هذا ما يتعلق بعصر ما قبل التاريخ ،أما بعد هذا التاريخ فلقد حاول الباحثون الفرنسيون ربط منطقة القصور بالاحتلال الروماني ،ورأوا أن العصر الحجري الحديث استمر بالمنطقة إلى غاية الاحتلال الروماني ،لكن في الحقيقة هذه الأرض لم تعرف الفترة الفينقية والاحتلال الروماني ،حيث من خلال الخريطة التي رسمها دمونجو DEMONGEOT وهي خريطة تمثل الحدود الجنوبية للاحتلال الروماني في القرن الثالث للميلاد فمغرار التحتاني وما جاورها من قصور كانت بعيدة عن حدود الرومان في الجزائر (ينظر الخريطة ص 104) .فالحقيقة التاريخية سواء كانت عند العرب أو الغرب تؤكد أن الرومان لم يصلوا إلى الهضاب العليا ومقدمة الصحراء والصحراء إلا من ناحية الأوراس والحضنة "،وعلى عكس ذلك كانت موريتانيا

[1]- M.Hachid : les pierres écrites de l'Atlas Saharien. T1 . Page 64.

السيزارية ومقاطعة نوميديا القديمة تتسمان باحتلال هام...فلم تحتل الأوراس والقبائل والونشريس وكذلك جزء كبير من السهول العليا الوهرانية ،فأعطي هذا الحدث وحده جوا خاصا جدا بالجزائر"[1]. كما أن أندري جوليان André Julian بين أن الاحتلال الروماني لم يتعد الونشريس "ففي موريتانيا القيصرية فإن الحدود لم تتعد الونشريس ،وبقيت السهول المرتفعة خارج حدود الإقليم الروماني".[2]

ويقول عبد الرحمان الجيلالي:"...لم يكن للرومان بالجزائر سوى التلول ،أما الصحراء فإنهم لم يطرقوها إلا من ناحية الأوراس"[3]. ويمكن القول إذا أن منطقة مغرار التحتاني والمناطق المجاورة لها من قصور أو مدخل للصحراء لم تكن في يوم من الأيام خاضعة للحكم الروماني ،بل لقد ثار أهل هذه المناطق ضد الرومان فهددوا بذلك خط الدفاع الروماني مع الأهالي الذين طردوا من أراضيهم إلى الجنوب.

لقد اتضح من خلال هذا الطرح أن منطقة القصور والصحراء برمتها لم تخضع للحكم الروماني الوندالي 431 و 534 م لأن هذا الأخير كان يعم تونس ومنطقة نوميديا وتبسة وأرض المغرب الأقصى، كما أن الاحتلال البيزنطي 534م و647م لم يمس المنطقة لأنه لم يتجاوز في الجنوب نصف امتداد إفريقيا الرومانية .وكل هذا ساهم في إيجاد أرضية خصبة لنشر الدين الإسلامي وسهل من مهمة المسلمين الفاتحين، حيث لم يعتنق من قبل أهل المنطقة وأهالي مدينة مغرار التحتاني الديانة المسيحية مما جعل الدين الجديد المتمثل في الإسلام يجد سهولة في محو الفكر الوثني الظلامي الذي كان سائدا بالمنطقة ،حيث أن "موسى بن نصير بعد أن واصل نشاط الفتح في اتجاه المغرب الأوسط فإنه لم يتعرض لأية مقاومة خاصة من قبائل البدو والتي قدمت له طاعتها..."[4].

---

[1]- إيف لاكوست:و آخرون ترجمة اسطمبولي و منصف عاشور ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1984 ص78.

[2]-Charles André Julien : Histoire de l'Afrique Blanche ; des origines à 1945. Que sais-je ?.p4. F 1976.Page 61.

[3]- د.عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام. دار الثقافة. بيروت. 1980. الجزء الأول. ص69.

[4]- المرجع نفسه... ص70

مغرار التحتاني والفتح الإسلامي:

إن الأهالي الذين جابوا منطقة مغرار التحتاني في بداية الفتح الإسلامي هم رحالة كبار بدو وأنصاف رحالة أو أنصاف بدو ،"أما الرحالة الكبار فهم يتنقلون في اتجاهات مختلفة مع أنها تقع ما بين سهوب مقدمة الصحراء والسهوب المرتفعة، ينتجبون الجبال أثناء الذهاب والإياب ،ويعتمدون في عيشهم على مسكن الخيام واتخاذ الإبل وركوب الخيل. وأما الرحالة أنصاف البدو فيتميز هؤلاء بمقرهم المحدد الذي يقضون فيه جزء من السنة ،ينتقلون في طرق معلومة جدا بينابيع المياه يتشاركون في ملكيتها"[1].

وهؤلاء هم فروع لقبيلة زناتة "،هذه القبيلة التي كانت منتشرة خاصة في المغرب الأوسط التي كان بعض فروعها خاضعا للاحتلال البيزنطي في منطقة الأوراس، أما البعض الآخر الذي ينتمي إليه أهالي مغرار التحتاني وأهالي منطقة القصور المجاورة فلم يخضع لهذا الاحتلال، لكن بعد توسع الفتوحات في المغرب الأوسط "فقد تصالح في عهد البيزنطيين قادة المعارضة التي كانت قائمة في المغرب مع قبائل البربر ومن بينها زناتة ،وجذبتها إلى صفها للاستعانة بها عند الضرورة ... ولذلك فإن الزناتيين كانوا يقاومون المسلمين في بداية الفتح"[2].

إن الإشكال الذي يفرض نفسه هو: ما هي المناطق التي قاومت فيها قبيلة زناتة الفتح الإسلامي ؟.

إن المقاومة كانت في منطقة الأوراس وليس بالمنطقة الغربية،أي منطقة مغرار التحتاني فلم تقاوم كل فروع زناتة الفتح .و الفاتحين المسلمين لم يجدوا صعوبة في إقناع أهل مغرار التحتاني وأهل المنطقة ككل في اعتناق الإسلام كما سبق ذكره.

---

[1]- Cohin : Le Maghreb Central à l'époque des Zirides Paris 1957. P22.

[2] - محمد عميرة: دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي. المؤسسة الوطنية للكتاب-الجزائر-1984. ص44.

إنه حسب البحث والدراسة التي قام بها نوال Noël فإن مغرار التحتاني تعتبر منطقة من بين مناطق الهضاب العليا الوهرانية*[1] التي مثلت مسلكا لحملة عقبة بن نافع الثانية سنة 681م ،والتي كانت تتجه إلى المغرب الأقصى ،غير أن مثل هذه الدراسات لم تبين بدقة المسلك الذي عبرته الفتوحات الإسلامية بل كان تركيزها على المناطق التي كانت معاقلا للبيزنطيين وأحلافهم من البربر و لم تتعرض بدقة إلى منطقة القصور.

لقد ذكر عبد الحميد حاجيات:" إن الباحثين أجمعوا على الاعتقاد أن هذه الروايات مبالغ فيها وأن عقبة لم يحل في سائر هذه المناطق...بل ذهب البعض إلى أنه من الصعب الجزم بامتداد حركة عقبة إلى ما وراء حدود المغرب الأوسط..."[2].

إن أهل مغرار التحتاني مثلهم مثل بقية أهل القصور المجاورة اعتنقوا الإسلام مبكرا، وكانوا من المشاركين في الفتوحات الإسلامية ونشر الإسلام في المغرب العربي.

هناك محطة تاريخية هامة مر بها سكان مغرار التحتاني مثلهم مثل سكان باقي المنطقة تتمثل في الدور الذي لعبوه في الحركة التي تميز بها الخوارج خاصة حركة الصفرية** والإباضية***. والخوارج هم الذين خرجوا عن علي وتبرؤا من عثمان وهم الذين جوزوا أن تكون الإمامة في غير قريش ،وجعلها حقا مشاعا مشروعا بين كل المسلمين الذين تتوفر فيهم شروط معينة، فحركة الخوارج حركة عربية بدوية قحة

---

[1]- Noël (c) OPCIT... Page 128.

* الهضاب العليا الوهرانية: مصطلح غالبا ما يوظفه الدارسون والعسكريون الفرنسيون لمنطقة الهضاب العليا الغربية للجزائر. أما كلمة الجنوب الوهراني فالمقصود بها جبال االقصور.

[2]- د.رشيد بورويبة و اخرون: الجزائر في التاريخ من العهد الإسلامي إلى الفتح العثماني. المؤسسة الوطنية للكتاب 1984 ص49.

** الصفرية: في سر التسمية يوجد طرحان: أحدهما النسبة إلى أقدم أئمتهم عبد الله بن صفار وثانيهما أنهم قوم أنهكتهم العبادة فاصفرت وجوههم فقيل صفرية. عن يحي هويدي: تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الإفريقية. ج1. ص32. الصفرية هم أتباع زياد بن الأحمر وموطنهم الإقليم الشرقي من الجزيرة ومن آرائهم عدم تكفير القعدة على القتال إذا كانوا على نفس عقيدتهم ومذهبهم وعدم جواز قتل أطفال المشركين لأنهم ليسوا كفارا يجب تخليدهم في النار...وظهرت في المغرب بواسطة دعاة مهرة أبرزهم عكرمة مولى ابن عباس وميسرة وعبد الأعلى بن حريج، وأصبح لهم أنصار ومؤيدون من مسلمي البربر" عن: موسى لقبال المغرب الاسلامي الطبعة الثانية الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1981. ص158.

*** الإباضية: تنسب الإباضية إلى أحد فقهاء المذهب وهو عبد الله بن إباض أو أباض المري التميمي، أظهر رجال الفرقة المتأخرين نسبيا في الاجتهاد والحماس والنضال في مدينة البصرة، ويعزي نشر المذهب الإباضي في المغرب العربي إلى سلمة بن سعد الذي يعتبر أول من نقل مبادئ المذهب الإباضي إلى إفريقيا. عن: د.موسى لقبال.المرجع نفسه... ص165.

وقاعدة ناضلت عن مبادئها بكل شجاعة واستماتة ،فوصفها البعض بالتطرف في العقيدة وإعلان الرأي والدفاع عنه بالقوة. إن السؤال الذي يفرض نفسه هنا هو كيف تسربت الترعة الخارجية (الخوارج) إلى بلاد المغرب ؟.

إن الاضطهادات العنيفة التي وجهت ضد الخوارج في المشرق العربي والانتصارات العظيمة التي أحرزها قادة بني أمية العظام مثل الحجاج بن يوسف والمهلب بن أبي صفرة ،دفعت كثيرا منهم إلى التنقل بين الأمصار والهجرة إلى حيث لا تنالهم أيدي البطش والطغيان. وفي هذا الموضوع ذكر موسى لقبال "وقد وجد مهاجرو الخوارج في بيئة المغرب نموذجا لهذه البيئات ،وتربة خصبة لزرع آرائهم وبث دعوتهم وتقوية صفوفهم"[1] ،وهذا لأن مسلمي المغرب كانوا لا يزالون ينعمون بحياتهم الدينية في إطار البساطة المذهبية والاتجاهات غير المتحزبة، وهنا لابد من الإشارة إلى أن الهجرة كانت على شكل رحلة للكسب والتجارة.

إن من أهم خصائص الدولة الإسلامية في العصر الأموي هو بعد حكمها وتنظيمها السياسي عن الطابع الديني الإسلامي ،الذي كانت الدولة الإسلامية معروفة به من قبل ،حيث سادت الترعة القبائلية الجاهلية ،و أصبحت العصبية منذ أواخر عصر الخلفاء الراشدين هي المحرك الإداري، السياسي ،والعسكري الذي دفع سكان المنطقة وأهلها بتقبل دعوة الخوارج .وهنا ذكر عبد الحميد حاجيات: "ولقد لقيت هذه الدعوة ميدانا خصبا في مناطق عديدة من بلاد المغرب، ويلاحظ أن هذه المناطق كانت لا تخضع فعلا للسلطة الأموية، وأن معظم سكانها من قبائل البدو كما أن أغلب هذه النواحي تمثل بلاد المغرب التي كانت مستقلة في عهد الوندال والروم"[2]. وبما أن منطقة مغرار التحتاني لم تكن خاضعة للحكم الروماني ولا للوندال، فهذا يعني أن سكان المدينة كانوا من الأهالي الذين باركوا دعوة الخوارج.

---

[1]- موسى لقبال: نفس المرجع السابق... ص153.

[2]- د.رشيد بورويبة و أخرون: نفس المرجع السابق. ص63.

إذن فالحركة وصلت حتى المغرب الأقصى ،وإن كانت الدراسات الفرنسية خاصة تلك التي قام بها نوال "Noël"[1] تشير إلى أن منطقة مغرار التحتاني والمناطق المجاورة لها كانت مستقلة عن دول الخوارج، ولا يمكن اعتبار هذه الدراسة موضوعية باعتبار أن الكثير من الأبحاث في هذا الشأن تؤكد عكس ذلك ،فمن بين الدراسات الموضوعية الدقيقة التي فندت دراسة نوال Noël ،دراسة محمود اسماعيل التي تبين أن دولة الخوارج كانت دولة صحراوية داخلية ،وأن المذهب الصفري انتشر بين قبائل المغرب الأقصى ،كما امتد نفوذه إلى بعض جهات المغربين الأوسط والأدنى ،وكانت فيه الإباضية هي السائدة عن طريق القبائل البدوية مثل قبيلة هوارة وزناتة[2].

ولقد ذكر موسى لقبال "من حسن حظ المغرب أنه لم يعرف من فئات الخوارج غير المسلمين مثل الإباضية والصفرية ،وكانت هذه أسبق في الظهور والانتشار بين بربر المغرب الأقصى والأوسط والأدنى ،وهي التي استهلت النشاط الدعائي والحربي ضد بني أمية وعمالهم في المغرب"[3] .وهذا معناه أن بلاد المغرب ومن بينها مناطق القصور كانت من أقوى العناصر تأييدا للخوارج المعتدلين ضد الدولة الأموية ،وهذا في فترة وجود الخوارج في القرن الثالث والرابع الهجري، التاسع والعاشر ميلادي.

لقد شهد مغرار التحتاني كغيره من القصور المجاورة أيضا الحملات الفاطمية ،التي كانت موجهة ضد سجلماسة في سنة 905م، وحملة مغراوة في سنة 975م ،وعندما تدهورت الدولة الفاطمية قامت دولة المرابطين بضم المنطقة وجعلت من قبائل المنطقة حاجزا أمام الدولة الحمادية ،وفي هذا الموضوع ذكر رشيد بورويبة بقوله: "كانت تلمسان وما يليها من بلاد المغرب الأوسط في عهد المرابطين بمثابة حاجز يفصل بين المغرب الأقصى ومملكة بني حماد..."[4].

---

[1]- Noël (c). OPCIT… page 129.

[2] محمود اسماعيل: الخوارج في المغرب الإسلامي- دار العودة بيروت 1976. ص387.

[3] موسى لقبال: نفس المرجع السابق... ص152.

[4] د.رشيد بورويبة وآخرون: نفس المرجع السابق . ص297.

لقد استغل المرابطون قبائل المنطقة المتمثلة في القبائل الزناتية وهذا لأجل الدفاع عن دولتهم في الحدود الشرقية ،وبعد ضعف الدولة المرابطية أسس عبد المؤمن بن علي الدولة الموحدية ،واتصل برؤساء القبائل العربية لتعزيز حكمه مقابل المال ،فقدموا إليه وقدموا له طاعتهم .لكن بعد انهيار الدولة الموحدية تأسست دولة بني زيان وكانت هي بدورها في حاجة إلى العرب لبسط نفوذها وسيادتها "فدخل الهلاليون* وحلفاءهم شمال المغرب الأوسط من عمالة وهران"[1].

إن وجود أولاد هلال بقصر مغرار التحتاني وتسمية أحد مداخل قصر تيوت باب هلال يؤكد حضور الهلاليين في المنطقة بعدما حلوا إلى الجزائر في القرن الثالث عشر للميلاد ،وكان حلولهم هذا من ثلاث جهات: عن طريق السواحل ،وعن طريق الهضاب ما بين الأطلس التلي والصحراوي حيث الحكومة الحمادية ،وعن طريق الصحراء حيث كانت تكثر خيام زناتة الخاضعة لبني حماد.

لقد استعانت دولة بني زيان وبني مرين عندما تأسستا بعرب بني هلال ،وحينها وصل الهلاليون إلى شمال المغرب الأوسط ثم إلى منطقة مغرار التحتاني حيث أصبح الهلاليون جندا مميزين في جيش عبد المؤمن الموحدي ،وتعزز هذا الدور بشكل كبير في عهد الخليفة الثاني يوسف بن عبد المؤمن. "لقد ضخم عددهم في الجيش وانتشروا بكثرة بالمغرب الأقصى والأندلس في عهد الخليفة الثالث يعقوب المنصور بطل معركة الإرك"[2].

ومن القبائل الهلالية التي استقرت بمغرار التحتاني فرع بني عامر وزغبة وفرع الأبح فبالنسبة لفرع بني عامر فحضورهم لازال موجودا في معظم قصور المنطقة ،أما زغبة فهم المعروفون باسم حميان ،وأما الأبح وهم ما يعرف بالمعمور وكل هذه الفروع

---

*بنو هلال: هم قبائل عربية كانت تسكن بسائط الطائف إلى جبل غزوان شرقي مكة المكرمة "وهم بداة ظواهر يسكنون بيوتا يستخفونها يوم ظعنهم ويكتسبون الخيل لركوبهم والأنعام لحمل أثقالهم والتغذي بألبانها واتخاذ الملابس والأثاث من أوبارها وأصوافها وأشعارها ينتجعون بها الصحراء شتاء والتل صيفا...شعارهم لبس المخيط في الغالب ولبس العمائم تيجانا على رؤوسهم، يرسلون من أطرافها عربات يتلثم قوم منهم بفضلها" عن ابن خلدون المقدمة. ج1. طبعة دوسلان. 1851. ص16.

[1]– مبارك محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث تصحيح محمد الميلي ج2 المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1989 ص148.

[2]– عبد الله علام: الدولة الموحدية بالمغب في عهد عبد المؤمن بن علي. دار المعارف 1971. ص237-238.

تعايشت مع عرب الأندلس الذين جاؤوا إلى الجزائر عبر وادي درعة والساقية الحمراء وواد الذهب. إن المهاجرين من بني هلال خاصة من زغبة وبني عامر ساهموا بشكل لا بأس به في تأسيس الدولة الزيانية ،وبنو زيان هم في الأصل من أفراد القبائل الرحل التي اعتادت الرحيل في صحراء المغرب الأوسط "فكانوا في كل صيف يتركون الصحراء ويستقرون في سهول وهران ،ويضعون أنفسهم في خدمة عامل الموحدين بتلمسان..."[1]. ولقد استمر بناء الدولة ما يقرب عن ثلاثمائة سنة ،وبعد انهيار الدولة الزيانية في سنة 1554م وسقوط الأندلس قبلها في سنة 1452م أدى كل هذا إلى هجرة عرب الأندلس مع زناتة الصحراء إلى المغرب الأقصى والجزائر ،فوصل بعضهم لطريق الصحراء عبر واد درعة وواد الذهب ثم توجهوا شمالا نحو الجزائر والمغرب الأقصى .وهذه الهجرة حملت معها إرثا فكريا وثقافيا وحضاريا متنوعا خاصة في مجال البناء الذي كان له الأثر المباشر على قصر مغرار التحتاني وبقية القصور المجاورة. وهنا يجب التأكيد من خلال هذه الدراسة التاريخية أن القصر بني في الفترة التي تلت سقوط الأندلس وإمارة بني زيان والغزو الإسباني. وفي هذا الشأن يقول ابن خلدون بخصوص قصور الجنوب الغربي: "...وعلى مراحل منها قرى أخرى متتابعة...وهي في مجالات بني عامر وزغبة وأوطانهم من القفر..." وكانت بلاد القبائل في الشمال والأوراس في الجنوب الشرقي...وكذلك البربر الذين يعيشون في صحراء الجزائر والواحات كواحة وادي ريغ وورقلة وواحات مزاب...وقصور مغرار، تيوت، بوسمغون..."[2].

مغرار التحتاني وفترة الحكم العثماني:

لما سقطت المعاقل الأخيرة للمسلمين في الأندلس سنة 1422م وهي غرناطة وراح الإسبان للانتقام بحملتهم الصليبية الحاقدة استولوا على المرسى الكبير سنة 1505م ووهران في عام 1509م وبجاية سنة 1510، حينها استنجد الجزائريون بالقوة البحرية العثمانية وكان ذلك سنة 1514 التي طردت الإسبان وحررت البلاد ،ثم بسطت

---

[1]- د.رشيد بورويبة و أخرون: نفس المرجع السابق.. ص359.

[2]- ابن خلدون:نفس المصدر السابق,.. ص120.

نفوذها ،لكن هذا البسط لم يكن كليا حيث بقيت المناطق النائية والبعيدة في منــأى عن هذا النفوذ ،يقول ناصر الدين سعيدوني في هذا الموضوع: "أن مجموعات سـكانية كانت ممتنعة عن سلطة البايلك ،وكانت تتألف أغلبها من القبائل التي كانت تعيش في المناطق الجبلية الحصينة كالبابور...أو التي كانت تجوب جـــهات الهضـــاب العليـا الوهرانية والأطلس الصحراوي، أولاد نايل، والعمور والقصور..." [1].

ولما كانت هذه المناطق بعيدة عن السلطة الحاكمة راحت هذه الأخيرة تبسط نفوذهـا في المنطقة ،فأصبحت "قبيلة المخزن"* واسطة بين الشعب والسلطة البعيـــدة، وهنـا نشير إلى أن قبيلة "أولاد سيد الشيخ"** هي التي لعبت هذا الدور بمنطقة القصــــور ومغرار التحتاني خاصة.

وقد ذكر الرحالة المغربي العياشي في القرن السابع عشر للميلاد: "أن أجزاء كبيرة من الجزائر كانت مستقلة لا تخضع للوجود العثماني ،بل هي تحت تصرف أمراء محليـــين ولأولاد سيد الشيخ نفوذ على مناطق شاسعة..." [2] إلا أن بعض الدراسات بينـت أن "الجمعيات الدينية الكبرى كانت تحت النفوذ التركي مثل أولاد ســيدي الشــيخ في الجنوب الوهراني"[3]، لكن هذا الطرح يبقى بعيدا عن الموضوعيـــة باعتبــار أن كـل الحقائق التاريخية تجمع أن الأتراك لم تطأ أقدامهم الصحراء الجزائرية.

---

[1]– د.ناصر الدين سعيدوني: الجزائر في التاريخ–العهد العثماني–ج4.المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر 1984.ص181.

* قبائل المخزن: هي مجموعات سكانية لها صبغة فلاحية عسكريةوإدارية تتألف من العبيد، عرب الصحراء وسكان الهضاب والجبال. مقتبس عن: د.ناصر الدين سعيدوني: المرجع نفسه...ص109.

** أولاد سيد الشيخ: أو اولاد سيدي عبد القادر بن سليمان بوسماحة ولد في 1544م وتوفي سنة 1630م تتلمذ سيدي سليمان بوسماحة على يد سيدي أحمد بن يوسف الملياني ويعود أصل أولاد سيدي الشيخ إلى الجد الأول وهو سيدي معمر بن عالية الذي استقر بـــ"أربا" في القرن 14م وينتهي نسبهم إلى الخليفة أبي بكر الصديق. إن العلاقة التي كانت تجمع أولاد سيدي الشيخ بالسلطة العثمانية سببها علاقة سيدي أحمد بن يوسف بالسلطة العثمانية، حيث كان من أنصار العثمانيين باعتبار أنها سلطة إسلامية وهو الذي حمل الطريقة الشاذلية للمنطقة.

[2]– مولاي بلحميس: الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني. ط2. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع–الجزائر–1981.ص28.

[3]– أندري بريان: نفس المرجع السابق... ص135.

لقد كان لقبيلة أولاد سيد الشيخ تأثيرا بالغا على أهالي مغرار التحتاني وبقية أهــــالي المنطقة ،والدليل على ذلك زاوية سيدي الشيخ بالأبيض سيد الشيخ، هذه المدينة الــتي سميت باسمه والتي لازالت محل زيارة وتبرك الكثير من الناس حتى في العصــــر الــذي بدأت فيه الحركة التصوفية في تلاش .وهنا لابد من الإشارة إلى هذه الأهميـــة مــن خلال وجود ضريح يسمى باسم سيدي الشيخ بمغرار التحتاني وهو من الأضرحة التي تميزت بهندسة العقود داخل الضريح والقبب الخمسة، الوسطى و القبيبات الجانبيــة، هذه الهندسة دليل على تعظيم أهالي القصر لروح سيدي الشيخ ،هذا الاهتمام الــذي لم ألمسه في حديث السكان عن الأضرحة الأخرى الكثيرة بالقصر.

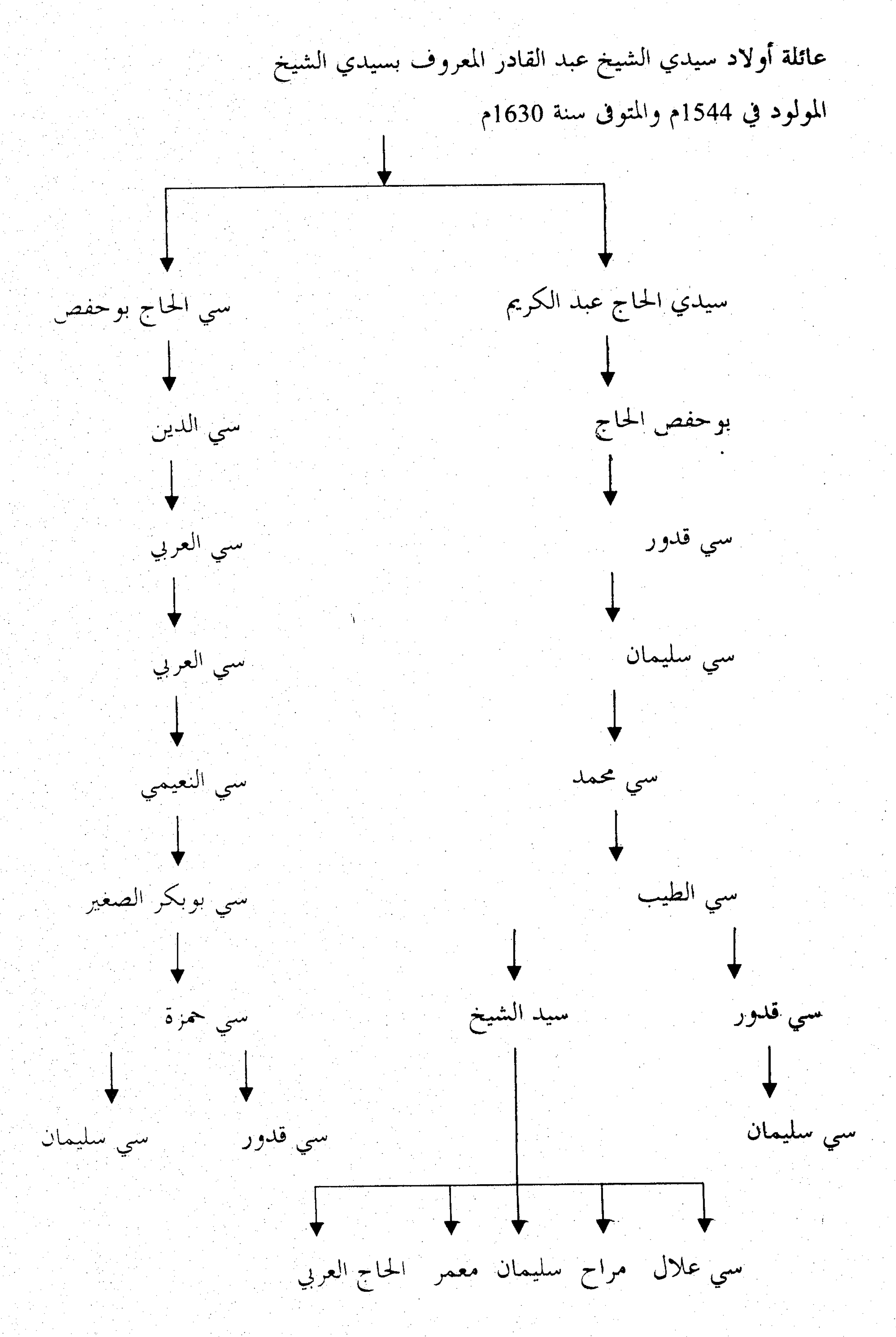
لقد كانت منطقة مغرار التحتاني طيلة الفترة العثمانية تحت نفوذ أولاد سيدي الشــيخ وكانوا يقدمون لأولاد سيدي الشيخ القبض* .والذي زاد في سلطتهم ونفوذهم على المنطقة هو أن في فترة الانحطاط لم تنحط معها هذه القبيلة بل اســـتمرت ســيطرتها الروحية خاصة والعصبية على المنطقة، فقبر سيدي الشيخ كما سبق الإشــارة إليــه أصبح محل استقطاب بالنسبة لأتباعه "فابتداء من قرون الفراغ السياسي وفتور أنظمــة الحكم ،وتأثير الطرق الصوفية على الحياة العامة والخاصة...أصبح أبناؤه فيمــا بعــد يتلقون الضريبة من المناطق المحلية وهي . غاسول، مشرية الصغيرة، أربـــا، شــلالة، بوسمغون، تيوت، مغرار، صفيصيفة..."[1]

---

* القبض: وهو هدايا أو جزء من المال أو الغلة.

[1] _ Djilali Sari : L'Illustration 1881-1882- SNED Alger. P28.

عائلة أولاد سيدي الشيخ عبد القادر المعروف بسيدي الشيخ المولود في 1544م والمتوفى سنة 1630م



مقاومة الشيخ بوعمامة:

إن الحديث عن تاريخ منطقة الجنوب الغربي للجزائر والحديث عن التاريخ الحديث لقصر مغرار التحتاني يستوجب الوقوف عند مرحلة تاريخية هامة كان لها أثرها البالغ في العصر الحديث وهي مقاومة الشيخ بوعمامة، هذا البطل الذي صنع مجد المقاومة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي بمنطقة الجنوب الغربي إيمانا منه بالسيادة الجزائرية والمقومات الإسلامية للجزائريين ودفاعا عن الموروث الحضاري والفكري للشعب الجزائري.

كما أن للمقاومة الشعبية علاقة بالقصر من بنايات تتمثل خاصة فى زاوية الشيخ بوعمامة المشهورة والتي لعبت دورا دينيا وسياسيا وعسكريا أيام الاحتلال.

إن مقاومة الشيخ بوعمامة لم تحظ بعناية الدارسين والباحثين في ميدان الثورات والمقاومات الشعبية التي سبقت الثورة التحريرية الكبرى سنة 1954 مقارنة مع العناية التي خصت بها ثورة المقراني مثلا أو ثورة الأمير عبد القادر، هذا الذي جعل من المصادر العربية تكاد تعدم ،أما فيما يخص المراجع الأجنبية فهي تعكس مدى الانزعاج والقلق الذي سببته المقاومة للفرنسيين العسكريين.

من هو الشيخ بوعمامة ؟ هو محمد بن العربي الشيخ بوعمامة الذي اختلفت بشأن مولده المصادر التاريخية حيث يرى بعض المؤرخين أنه ولد سنة 1840م-1256هـ ويرى البعض الآخر أن سنة 1833م هي السنة التي ولد فيها وهذا حسب شهادة المقدم الفرنسي بيدمون PIMODAN في كتابه وهران وتلمسان والجنوب الوهراني Oran,Tlemcen, Sud Oranais ما تؤكده شهادة الميلاد رقم 898/69 حسب لويس روسلت Louis Rousselt وهو الأرجح فقد ولد بوعمامة في سنة 1833 لكن بمغرار التحتاني وليس بمنطقة قصر حمام الفاقاني فقيق كما يعتقد البعض"[1].

---

[1] أ.سعرج بوداود: جوانب مضيئة من حياة رائد المقاومة الشعبية جريدة الخبر. السبت 24 ماي 1997.

وتشير سلسلة النسب الخاصة بأولاد سيدي التاج الابن الثالث عشر لسيدي الشيخ أحد أجداد الشيخ بوعمامة سنة 1905 إلى الشجرة التي ينحدر منها ابتداء من جده التاج[1] (ينظر الملحق ص 144) .

تتلمذ على يد الشيخ بحوص تلميذ الشيخ سليمان بوسماحة وهو شخصية دينية معروفة في المنطقة حفظ القرآن والحديث، درس اللغة والفقه ،والتقى بعلماء صوفيين في جامع القيروان أخذ عنهم مبادئ الفكر التصوفي التي أثرت في شخصه ،حيث نبذ الحياة وملذاتها وراح ليوجه كل نشاطاته في عبادة الله والتقرب منه ،وفي محاربة المستعمر الفرنسي.

إن العمل الذي قام به الشيخ بوعمامة في مسيرته كان بعد تأسيسه للزاوية بمغرار التحتاني سنة 1876 أين زادت شعبيته في أوساط القبائل خاصة الصحراوية والتف حول الزاوية قصوريو مغرار، تيوت، والشلالة الظهرانية، الشلالة القبلية بوسمغون وأيضا قبيلة الرزاينة وحميان الطرافي .واتسع الالتفاف ليشمل "قبائل أولاد جرير ذوي منيع حاملة الزيارة* وكانت ترى في وعود بوعمامة بتحريرها من الاستعمار خطرا على الوجود الفرنسي"[2].

كيف حضر للمقاومة ؟:

1- من الناحية السياسية: إن الفكر الذي كان يسود في الفترة التي عاشها الشيخ بوعمامة هو فكر صوفي تمثل في الطريقة الشيخية** ،هذه الطريقة التي قامت على أساس الاعتقاد بالبركة الموروثة*** دفعت بالناس إلى الاختلاف في الأصل فاتسع الهوى الموجود بينهم وحولهم إلى طبقات من النبلاء وأخرى من المستضعفين، وهو ما رآه الشيخ بوعمامة فكرا خرافيا حاربه باعتبار أن البركة تتعلق بعمل الشخص استنادا

---

[1]- M'hari Amin : OPCIT… Page 41.

* الزيارة: الهدايا والقرابين التي عادة ما تدفع لولي الله اعتقادا من الناس في بركاته وكراماته.

[2]- عبد الحميد زوزو: عن الأرشيف الوطني لما وراء البحار بمدينة إكس بروفانس.

** الشيخية: نسبة لسيدي الشيخ ويعتبرها البعض إحدى الطرق التيجانية.

*** البركة الموروثة: أي التبرك حتى بنسل وأحفاد صاحب الطريقة.

لقول الرسول –صلى الله عليه وسلم- "لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى والعمل الصالح" وأسس بذلك الطريقة الإيمانية التي عملت على جمع كلمة المسلمين وفق فكرة التكافل والتضامن الاجتماعيين.

2- من الناحية العسكرية: جعل من مغرار التحتاني مركزا عسكريا لما تحتويه على عناصر جغرافية تساعد على الحماية والاستعداد لصد ورد العدو، أضف إلى ذلك عدد الأبراج الكبرى التي بلغت 32 برجا للمراقبة "وقد أنشأ معملا لصناعة الأسلحة كالبنادق (كلاطة، موسكوطو، الشندار) بإشراف رجل يدعى ابن كعوان ،وصناعة الذخيرة وكانت مؤونة الجندي الواحد 50 خرطوشة إلى جانب ذلك شراء الأسلحة وسلبها من العدو"[1] و توضح الخريطة ص 103 المرحلة الأولى من مقاومته

أهم المعارك التي خاضها الشيخ بوعمامة ضد الاستعمار الفرنسي:

لقد دامت مقاومة الشيخ بوعمامة طويلا لكن أهم فترة من حيث لمقاومة المسلحة هي التي جرت في 22 أفريل من سنة 1881 و02 أبريل من سنة 1882، وفي هذا الموضوع ذكر عبد الحميد زوزو: "ففي هذه المرحلة جرت موقعة مولاق* الشهيرة بين الجيش الفرنسي والثوار، وخلالها أيضا سار بوعمامة وأتباعه مسيرتهم الطويلة نحو التل"[2]. وذكر أيضا جيرول E.GERAULLE "أن كلي الحادثين ساهما في تدعيم نفوذ بوعمامة لدى القبائل الصحراوية، في حين أثار دهشة الرأي العام الفرنسي ومخاوفه في كل من فرنسا والجزائر كما كان محل اهتمام الصحافة العربية والإنجليزية"[3].

في 19 ماي 1881 دخل الشيخ بوعمامة في مواجهة حاسمة مع الجيش الفرنسي بتازينة (الشلالة) ودامت المعركة أكثر من أسبوع حققت فيه المقاومة انتصارا كبيرا ضد الجيش الفرنسي بقيادة العقيد انوسنتي ENNOCENTI الذي عاقبته القيادة

---

[1]- أ.بلعرج بوداود: نفس المرجع السابق.

[2]- عبد الحميد زوزو: ثورة بوعمامة 1881-1908: المركز الوطني للدراسات التاريخية. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع-الجزائر. 1981. ص7-8.

* مولاق: نسبة إلى المكان الذي جرت فيه المعركة وهو يقع بين عين تازينة وقصر الشلالة بنحو عشر كيلومترات شمال قصر الشلالة.

[3]- E.Graulle Ancien chef du bureau arabe. Illustration de Bouamama. Avril p14.

الفرنسية واستبدل بالجنرال ديتري DETRIE ،كما يمكن ذكر معركة بني سمير الـــتي قتل فيها أحد الرجال البارزين في قيادة الشيخ بوعمامة وهو محمد ولد علـــي ســـنة 1900 ،وكانت هذه المعركة في إطار حرب السكة الحديدية التي كــانت مشـــروع استعماري بهدف تعمير الصحراء.

وهناك معارك أخرى أيضا خاضها الشيخ بوعمامة ضد الاستعمار الفرنسي كمعركـة "لقطايف" بالحدود والتي استعمل فيها رجال المقاومة مدافع ثقيلة، ومعركة "المنقــار" شمال "تاغيت" وهي عبارة عن هجوم نفذ ضد قافلة عسكرية للتموين.

لقد حرص الشيخ بوعمامة على هزم العدو والنصر خاصة في أولى معاركه وهذا حتى تطمئن القبائل التي التفت حوله وتتوطد بذلك الثقة، ولذلك ما فتئ إبـــان ســـنوات يراسل القيادة ويحث الناس على "الإعداد وإنهاء الأشغال والتزود بمسك الرجــال"[1].

ولعل تأثر الناس ببوعمامة وحبهم له تعكسه بعض أشعارهم عندما كانوا يـــزورون زاوية سيدي الشيخ مثل:

جبال بوعمامة درقوا يا عجابة آش يصبر

شحال من الشوايف تاقوا الغيم واين حط رواقه

في سنة 1903 التحق بالشيخ بوعمامة ابن الأمير عبد القادر عبد الملك قادما من قصـر عبد الحميد العثماني بالحدود الجزائرية المغربية (فقيق) حيث أصبح علـــى رأس إدارة الحرب مع الطيب ابن الشيخ بوعمامة ونظما جيشا قويا لمحاربة القوات الفرنســية في الحدود الجزائرية المغربية[2].

وبعد هذه الفترة بدأ طابع المفاوضات يغلب على الأحداث خاصة بعد خلاف بينـــه وبين الملك المغربي عبد العزيز ،فتوجه الشيخ بوعمامة إلى منطقة "ســـيدي ملـــوك" واستقر بها إلى أن وافته المنية في 12 رمضان1326هـ الموافق لـ 07 أكتوبـر 1908م

---

[1]- رسالة بوعمامة إلى قيادة وأعيان القبائل. تقرير من ولاية وهران إلى الوالي العام بتاريخ 09 أفريل 1881 يبين التقرير القبائل التي تحدث إليها بوعمامة عن تحريرها من الاستعمار الفرنسي، فكانت حميان الطرفي، أولاد نايل والأغواط.

[2]- F.Fourgeot : Situation politique de l'Afrique. Paris 1881. p09.

وكانت جنازته تشيع حينها بشكل احتفالي كبير كونه كان رمز المقاومة والجهاد ورمزا للحرية والمساواة والعدل.

وهذه بعض الأبيات الشعرية التي نظمها المقدم السيد المهناني من أولاد سيدي الشيخ في عشرين رمضان المعظم بهد وفاة الشيخ بوعمامة:

عزوني يا الناس في سيد العربان

عزي واعنايتي مفتاح أورادي

تبكي عيني اعليه ما طل الزمان

طول الحياة والدموع على خدي

تبكي عيني اعليه مفتاح البيان

ركن الرحمة اللي على الجير ايهادي

تبكي الأرض والسماء والحيوان

واتحوها اجبال بانواح اتصادي

تبكي الوحوش والطيور مع الحيتان

والدواب اصناف لكل جميع مع الفردي

الفصل الثاني

العمارة الدينية

1-المسجد

2-الأضرحة

العمارة الدينية

1- المسجد

إن الحديث عن المسجد يجعلني أطرح الإشكال التالي: ما الفرق بين المساجد والجوامع والزوايا ؟ لأنه في الكثير من الأحيان تستعمل المصطلحات الثلاثة للتعبير عن معنى واحد خاصة وأن كلها تجتمع في الوظيفة الأساسية المتمثلة في العبادة.

إن الجامع أكبر حجما من المسجد إذ هو الذي تكون فيه الصلاة الجامعة أو صلاة الجمعة والذي يسمى أحيانا بجامع الخطبة، فقد نجد في المدينة عددا من المساجد بعدد الأحياء، ولكننا نجد المسجد القديم أو الكبير يسمى بالجامع وهو الذي يؤم إليه أغلب ناس المدينة لأداء صلاة الجمعة "كما أن البعض من الباحثين من يفصل الجامع عن المسجد من حيث الكبر والصغر ومن حيث ما له قبة فقط"

إذا كان ما ذكر يمثل وجه الاختلاف بين الجامع والمسجد فوجه الشبه يتمثل في التسمية والنسب ،حيث تسمى بمؤسسيها من رجال الدين والسياسيين والعسكريين كالمساجد والجوامع التي تحمل أسماء الخلفاء الراشدين والصحابة والفاتحين من رجال الدولة الإسلامية قديما أو حديثا ،"كما قد تنسب إلى الأحياء الواقعة فيها مثل جامع سوق الغزل بقسنطينة أو إلى صنعة أهل الحي مثل جامع الخياطين ،وجامع حي الرملة بتلمسان" ،بينما الزاوية وإن اشتركت مع المسجد والجامع في الوظيفة المذكورة آنفا فنقطة الاختلاف تتمثل في كونها كانت رباطا أو ملجأ أو مسكنا للطلبة والغرباء ومركزا لتلقين الأذكار، أما فيما يخص التسمية فهي غالبا ما تنسب إلى ولي من أولياء الله الصالحين مثل زاوية أحمد بن عبد الله الجزائري وزاوية عبد الرحمان الثعالبي.

"ويلاحظ أن أغلب المدن الجزائرية كانت تشمل مسجدا يطلق عليه الجامع الكبير وهو المسجد الذي اشتهر بين الناس إما لقدمه أو لسعته"[1].

أين هو موقع مسجد مغرار التحتاني من هذا التصنيف ؟.

---

[1]- د.أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (16-20م). ج1. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1981. ص244.

يطلق على بعض المساجد اسم المسجد العتيق ،وهو الذي يبنى عادة في وسط المدينـــة القديمة كما هو الحال بالنسبة لمسجد مغرار التحتاني الأول الذي بني وسط القصـــر بجانب السوق الأولى، ولكنه خضع إلى هدم من الاستعمار الفرنسي في أبريل من سنة 1847، (ينظر للشكل ص124) وهنا يشير جورج مارســي GEORGES Marçais إلى أن المسجد هو مركز المدينة الإسلامية[1].

عندما أعيد بناء المسجد فكان ذلك بجانب أحد المداخل الرئيسية للقصر، وهو مدخل الشرافة، (ينظر للشكل ص 124)، الذي خضع بعض أجزائه إلى هدم أيام الاحتلال الفرنسي ،وانهار البعض الآخر من جراء الظروف الطبيعية مما دفع بسكان القصـــر إلى إعادة بناء مسجد آخر على أنقاضه وبنفس الأشكال الهندسية والعنـــاصر المعماريـــة وهذا ما تؤكده الذاكرة الجماعية وبعض الرسومات القديمة .

عمارة المسجد – تخطيطه:

"إن وجود كثير من العناصر المعمارية المختلفة في الفن الإسلامي كانت نتيجة عـــدة مؤثرات، ينسب بعضها إلى فنون سابقة كالفنون البيزنطية والفنون الساســانية"[2]. وفي نظر البعض من علماء الآثار فإن التأثير كان نتيجة العوامل البيئية والعوامل الدينيـــة، فقد كانت هناك ابتكارات تتماشى والمتطلبات العقائدية.

أما الأسئلة التي ينبغي طرحها هي: ما هي الخطة التي بني عليها مسجد مغرار التحتاني من حيث الشكل الخارجي والشكل الداخلي ؟ كيف هو المدخل ؟ كيف هي المنافذ؟ ما نوع الأعمدة والأقواس ؟ هل هو طراز البلاطات أم من طراز الأساكيب ؟ كيـــف هو شكل المحراب والمنبر ؟ وما هو شكل المئذنة ؟ مربع، أسطواني، مضلع ؟ إلى غـــير ذلك من الأسئلة التي تتضح من خلال الإجابة عنها حقيقة المسجد إن كان محاكاة في عمارته وتخطيطه للفنون السابقة الذكر أم تجاوزا لها ؟.

[1] – Georges Marçais : La conception des villes dans l'Islam. Revue d'Alger. T2. N°10. 1945. Page 517.

[2]– د.عفيف البهنسي: الفن العربي الإسلامي في بداية تكوينه. ط1. دار الفكر. دمشق 1983. ص53.

بني مسجد مغرار التحتاني على مساحة مربعة ،وجـاء بذلـك محاكـاة في شـكله للمساجد العثمانية في بدايتها(ينظر للشكل ص 113)"فالمسجد يتطلب من المعمـار المساحات الممتدة عرضا بموازاة جدار القبلة لكي يصطف بها أكبر عدد من المصلـين لأن العقيدة هي التي تحدد جوهر التصميم في المباني الدينية"[1]. إذن فقد فرض المطلب الديني وقوف المصلين متراصين في خطوط مستقيمة ،وامتدادها يكون عرضا في غالب الأحيان ،ومن النادر أن يكون تصميم بيت الصلاة يمتد طولا وهـذا حتى يعطي الفرصة لأكبر عدد من المصلين الصلاة بالصف الأول لما فيه من أجر وثواب لقـول الرسول صلى الله عليه وسلم: { الصف الأول على مثل صف الملائكة}.

يتربع مسجد مغرار التحتاني على مساحة 354,80م² بما فيها مساحة الصحن، وهـي مساحة صغيرة ،لكنها كافية لعدد سكان القصر، بني على الجهة الغربية للقصر بجانب مدخل الشرافة كما سبق ذكره.

قبل الدخول إلى الصحن نجد الملاحق المائية ،فالطهارة والوضوء شرطان ضروريـان لأداء الصلاة، لذا حرص المعمار المسلم على بناء ملاحق مائية بالمسجد حتى يتمكـن المصلون من الوضوء قبل الصلاة .والملحق المائي وحدة معمارية تتمثـل في الميضـأة والمطاهر ،والصهاريج وغيرها "وجعل المعمار المسلم بعض هذه المرافق خارج المسجد كالمراحض لما يتطلبه المسجد من طهارة وبعدا عـن النجاسـة ،والبعـض الآخـر كالسقايات وأماكن الوضوء داخل المسجد"[2] إلا أن الملاحق المائية لمسـجد مغـرار التحتاني فقد بنيت كلها خارج الصحن، هذه الملاحق تجمع بين المراحض وبعـض مرشاشات الاغتسال والميضأة التي "تعد من بين أهم الوحدات المائية في المسجد علـى وجه الخصوص نظرا لكونها توفر للمسلم ركنا هاما من أركان الصلاة وهو الوضـوء

---

[1]- أحمد فكري: مساجد القاهرة ومدارسها. المدخل. دار المعارف مصر. 1961. ص297.

[2]- الزركشي محمد بن عبد الله: أعلام الساجد بأحكام المساجد. طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. تحقيق الشيخ أبي الوفا مصطفى المراغي. القاهرة 1403هـ- 341.

إذ لا تصح صلاة المسلم إلا به"[1]، وتسمى في بعض المناطق بالساقية أو فسيقة الوضوء. وجاءت هذه الميضأة مراعية الشروط التي فرضها المطلب العقائدي وهي جلوس المتوضئ على جلسة مرتفعة بقياس 50سم ،حتى لا يتعرض المتوضئ لقطرات الماء الساقط على الأرض ،وجاء شكلها مستطيلا "فعادة ما كانت تظلل الميضأة أو تبنى أسفل قبة من أجل أن تقي المتوضئ حرارة الشمس"[2] ،لكن الأمر يختلف بمسجد مغرار التحتاني لأن كل الملاحق المائية تجمعها مساحة مسقفة، أما المطاهر والمراحيض فهي على هيأة حجرات صغيرة.

عدد هذه الحجرات ستة ، لكل حجرة باب خاص وهي في جهة معاكسة لاتجاه الرياح ،مما يضمن وجودها بهذا الشكل عدم تسرب ما قد ينبعث إلى المسجد من روائح كريهة.

بعد الخروج من الملاحق المائية يقابلنا على اليسار باب الصحن بارتفاع 2م و55سم وبعقد نصف دائري وبعرض 2م وهو مصنوع من الحديد ، يتربع صحن المسجد على مساحة 135م² بمخطط قريبا من المربع بطول 11م و45سم وعرض 11م و70سم محاط بجدار من الحجر بارتفاع 2م وبسمك 60سم وهو فارغ من أية وحدة معمارية عدا المئذنة التي بنيت في مقدمته على اليسار، أما الملاحظة التي سجلتها تكمن في تميز مسجد مغرار التحتاني عن الكثير من مساجد القصور المجاورة بتوفره على صحن الذي لا يحتويه قصر تيوت وقصر الشلالة وبوسمغون.

يبدأ بيت الصلاة أو المصلى* بباب مقابل تماما لباب الصحن بارتفاع 2م و10سم وعقد نصف دائري كباب الصحن وبعرض 1م و70سم .على جانبي الباب فتحت نافذتين واحدة على اليمين ،وأخرى على اليسار بقياس واحد، الارتفاع 1م و40سم والعرض 1م و20سم.

---

[1]- أ.د.محمد محمد الكحلاوي: أثر العقيدة الإسلامية على عمارة المساجد. مجلة المنهل. العدد السنوي الخاص 519. المجلد 56. جمادى الأولى والاخرة 1415هـ- أكتوبر نوفمبر 1994. ص145.

[2]- أ.د.محمد محمد الكحلاوي. المرجع نفسه... ص146.

* المصلى: يسمى أيضا ظلة القبلة أو رواق القبلة أو إيوان القبلة.

لقد ظل اهتمام المعمار المسلم بظلة القبلة واضحا في مخططات المساجد لدرجة أنه بدأ يزيد في مساحتها على حساب الظلات الجانبية "،وهناك بعض المساجد التي خططها المعمار من قسمين فقط، قسم مغطى وهو يمثل ظلة القبلة ،وقسم مكشوف وهو يمثل كتلة الصحن واستبقى المعمار بذلك عن باقي ظلات المسجد"[1] وهو نفس التخطيط الذي يقوم عليه مسجد مغرار التحتاني .وهو بذلك يشبه جامع القيروان 50هـ-671م وجامع قرطبة 170هـ-786م وجامع الزيتونة 250هـ-864م.

المئذنة: إن اللوحة ص 132 التي تمثل رسم القصر سنة 1847 واللوحة ص 134 التي تمثل صور للقصر سنة 1896 تبينان أن المسجد القديم للقصر كان يحتوي على مئذنة عكس بعض مساجد القصور المجاورة كقصر تيوت.

إن وجود المئذنة كعنصر من عناصر العمارة الإسلامية أملته الوظيفة الدينية المتمثلة في الحاجة لإعلام الناس بدخول وقت الصلاة ،"لذلك اختار المؤذن مكانا مرتفعا ليقف عليه مثلما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة ،وبذلك يتمكن الساكنون بجوار المسجد من سماع صوته، ويتمكن البعيدون عن المسجد من رؤيته كعلامة على وقت الصلاة"[2] ،وهذا ما يفند رد المستشرقين أصول المئذنة إلى أبراج المعابد التي عرفها الرومان قديما، "فالأبراج التي كانت موجودة في بلاد الشام هي أول نموذج للمئذنة في العالم الإسلامي"[3]، وهذا الحكم لا تفسره إلا الذاتية التي كانت وراء تجريد المسلمين من معظم الآثار التي عرفها تاريخ العمارة عبر العالم. أما فيما يخص تخطيط المئذنة وعناصرها المعمارية ،فقد اختلف هذا التخطيط واختلفت هذه العناصر عبر تاريخ المساجد باختلاف الأوقات وباختلاف المجتمعات الإسلامية ،"حيث توجد 3طرز من المآذن، طراز الملوية في العراق ،والطراز الأسطواني أو المخروطي الذي تعلوه قمة مدببة ،وطراز الصومعة في المغرب"[4] .وتعتبر مئذنة مسجد مغرار التحتاني

---

[1]- فريد شافعي: العمارة العربية في مصر الإسلامية عبر الولاة. طبعة الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر 1970. ص54.

[2]- عبد المنعم رسلان: نشأة المئذنة. مقالة بمجلة دارة الملك عبد العزيز. العدد الأول لعام الحادي عشر 1980. ص65.

[3]- أ.د.محمد محمد الكحلاوي: نفس المرجع السابق. ص130.

[4]- كريزول: الآثار الإسلامية الأولى. تعريب عبد الهادي عبلى. دار قتيبة دمشق 1984م. ص367-369.

من الطراز الأخير فتخطيطها مربع، ارتفاعها 16م و90سم وطول كل ضلع يقدر بـ 3م و15سم(ينظر للشكل أ ص 114)، مما يعني أن مساحتها 9,922م.

"ولقد شيدت معظم مآذن المغرب العربي الإسلامي وفقا للتخطيط المربع ،وربما كان اقتداء كما يرى البعض من أهل الاختصاص بتربيع الكعبة التي كان لها شأن كبير عند المسلمين ،وهو شكل عمل به المسلمون حتى في الأمصار الإسلامية سواء في البصرة سنة 45هـ، جامع عمرو بن العاص بالفسطاط 53هـ[1].لقد فتح على وجه كل ضلع لمئذنة مغرار التحتاني 8 فتحات ضوئية (مغلوقة) بشكل تناظري وهذا حتى تعطي الضوء للصاعد إلى أعلى المئذنة بواسطة السلم.

تتكون المئذنة من الداخل من نواة مركزية مربعة الشكل . إن كتلة (محيط) المئذنة الواسعة سهل من مهمة المعماري الذي خطط لسلم داخلها بشكل لولبي(ينظر للشكل ب ص 114) يقود من مدخل المئذنة الموجود في مقدمة الصحن على اليسار إلى أعلى قمة بها أين يوجد موضع خاص للمؤذن على هيئة جوسق أصغر حجما من كتلة الصومعة التي تحتوي على أربعة نوافذ ،وتغطي تلك الحجرة من أعلى قبيبة صغيرة، هذه الحجرة هي محاكاة لجواسق مآذن المغرب العربي التي كان يؤذن من داخلها المؤذنون في أوقات الحر الشديد ،أو عند سقوط الأمطار حيث أشار المؤرخ الخزنائي إلى ذلك بقوله: "وفي أعلى هذه الصومعة قبة جلوس المؤذنين لتداول الأذان"[2].

بيت الصلاة: لقد تفادى المعمار في تخطيطه وضع مداخل من جدار القبلة وقام بفتح مدخل واحد من الصحن كما سبق الإشارة إليه، وهذا تماشيا مع ما تفرضه العقيدة في كراهة المرور بين صفوف المصلين أو أمامهم ،يقول الرسول صلى الله عليه وسلم:

---

[1]- المقريزي: تقي الدين أبو العباس أحمد بن خالد: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار. جزءان. طبعة دار صادر بدون تاريخ. ج3. ص246.

[2]- الخزنائي علي: جني زهر الآس في بناء مدينة فاس. تحقيق عبد الوهاب المنصور. طبعة المطبعة الملكية الرباط 1976. ص42.

"لو يعلم المار بين يدي المصلي ماذا عليه لكان أن يقف أربعين خيرا من أن يمر بين يديه"[1]

كما توجد مساجد كثيرة تحتوي مداخل من المؤخرة وأخرى من الجانبين تسمى بالمجنبتين ،وهي مداخل تحفظ التماثل للتقابل بين المدخل والآخر.

ونظرا لصغر مساحة بين الصلاة التي تبلغ 219,80 $م^2$ بمخطط قريب من المربع بطول 14,30م وعرض 14,45م وارتفاع 3,50م اكتفي بباب واحد من المؤخرة ،وقد حرص على وجوب هذا الباب على محور المحراب لأجل رؤية الصفوف الخالية خلف الإمام وبداية صف جديد. يحتوي بيت الصلاة على ثمانية نوافذ للضوء والتهوية أربعة على اليمين وأربعة على اليسار جاءت متناظرة ،إضافة إلى النافذتين الموجودتين بالمؤخرة ،يبلغ ارتفاع كل واحدة 1,40سم وعرضها 1,20سم فهي صغيرة بصغر حجم بيت الصلاة والمسجد بصفة عامة.

فتح في جدار القبلة لبيت الصلاة فتحة المحراب وفتحة المنبر دون وجود مكان لدكة المبلغ كما تحتويه بعض المساجد ،وهنا لابد من الإشارة إلى أن المحراب قد يستعمل أحيانا للأذان.

يتألف بيت الصلاة من أربعة بلاطات موازية لجدار القبلة ،يقوم بتقسيمها تسعة أعمدة حجرية تعمل على حمل السقف المسطح بواسطة عقود نصف دائرية، هذه الأعمدة موزعة بشكل ثلاثي ، قطر كل عمود يساوي 25سم أما المسافة التي تفصل العمود عن ا لآخر فهي تتراوح بين 3,25م إلى 3,40م. جاءت هذه الأعمدة لتحمل عقودا نصف دائرية موازية في بنائها لجدار القبلة ،مما يعني أن مسجد مغرار التحتاني هو من طراز البلاطات* وليس من طراز الأساكيب** (ينظر للشكل ص 113)

---

[1]- صحيح البخاري: ص197.

* طراز البلاطات: وهو يطلق على صفوف البوائك أو الأعمدة التي تسير في خط عمودي على لجدار القبلة.

** طراز الأساكيب: وهو يطلق على صفوف البوائك أو الأعمدة التي تسير في خط مواز لجدار القبلة.

"وأقدم نماذج هذا الطراز الجامع الأموي بدمشق سنة 87هـ-706م"[1]. وفي البلاطة الثانية بعد بلاطة المحراب نجد بالسقف قبة الضوء(ينظر للشكل ج ص 114) ،لقد بنيت بطول يمتد عرضا بموازاة جدار القبلة وقياسه 3,30سم وبعرض عمودي على جدار القبلة بقياس 2,90سم وهذا حتى تعطي الضوء بشكل كبير في هذا المكان القريب من بلاطة المحراب ،أما ارتفاعها فقد بلغ 1,50سم، وقد فتحت أربعة نوافذ للضوء ،وهي نوافذ قابلة للفتح مما يجعلها نوافذ تهوية أيضا.

المحراب: يعد المحراب من العناصر المعمارية المهمة في العمائر الدينية الإسلامية ."لقد وردت لفظة المحراب في القرآن الكريم وفي المعاجم اللغوية بمعان متعددة وإن كانت متقاربة في أغلب الحالات"[2] يقول تعالى: "فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام"[3] ،فهو إذن قديم في عمارة المساجد "ويستنتج مما أوردته المصادر حول الموضوع وجود المحراب في المسجد النبوي الشريف وتحديد موقعه من المصلى"[4].

إن محراب مسجد مغرار التحتاني مثله مثل محاريب جميع المساجد ،فهو يوجد بجانب المنبر وهما من العناصر المعمارية اللازمة لأداء الشعائر التعبدية ،وما يفسر وجودهما جنبا إلى جنب هو أن صلاة الجمعة تكون مباشرة بعد الخطبة (ينظر للوحة ص 114) يبلغ عرض المحراب 1,12سم ،ويبلغ ارتفاعه 2,50سم بعقد نصف دائري .وهنا لابد أن أشير إلى ملاحظة تتمثل في أن المقرنصات* أو النقش على الجص أو الخشب موجودة في معظم محاريب ومنابر المساجد الإسلامية لكن هذه الظاهرة انعدمت بهذا المسجد حيث أن محرابه جاء بسيطا خال من الجوانب الجمالية التي تزين عادة هذه الوحدة المعمارية. إن المحراب يتوسط جدار القبلة في الكثير من المساجد ،لكن يبقى

---

[1]- السيد عبد العزيز سالم: مسجد القرويين بفاس. مقالة بمجلة الشعب بيوت الله مساجد ومعاهد. الجزء الثاني. 1960. ص179.

[2] - نجاة يونس: المحاريب العراقية بغداد 1976. ص159.

[3]- سورة البقرة: ص144.

[4] - د.أحمد قاسم الجمعة: المحراب، رحلة أربعة عشرا قرنا بمجلة المنهل العدد434 السنة 53 المجلد 48 ص268.

* المقرنصات: تسمى أيضا بالدلايات وهي مأخوذة عن النوازل والصواعد ومؤلفة من سبعة عناصر مركبة بشكل مثلثي توجد على تاج الأعمدة أو على الطبق أو الأفاريز وتكون من الجص أو من الحجر المنحوت أو محفورة على الخشب أو من الطين المحروق عن د.كامل حيدر العمارة العربية الاسلامية – الخصائص التخطيطية للمقرنصات – دار الفكر اللبناني بيروت ص 41 .

أنه جاء في بعضها غير متوسط لجدار القبلة ،ومنه فقد تكون المساجد ببلاطات فردية حينها يفتح المحراب في البلاطة المحورية ،وقد يكون البعض الآخر بعدد زوجي من البلاطات وفي هذه الحالة لا يمكن للمحراب أن يتوسط جدار القبلة ،وهي ظاهرة لاحظتها بمسجد مغرار التحتاني. وحتى العقيدة لم تكن لتفرض على المعمار توسط المحراب لجدار القبلة حيث "لم يتوسط محراب المسجد النبوي الشريف جدار القبلة، وتمثلت الظاهرة نفسها في المساجد والجوامع المبكرة كما هو الحال في جامع عمرو بن العاص بالفسطاط سنة 21هـ ،والجامع الأموي بدمشق سنة 87هـ"[1].

لقد بلغ عمق دكة المحراب 1,20سم، وهو عمق كاف لوقوف الإمام وتأديته للصلاة داخل المحراب ،ومنه يدخر موضعه لصف جديد من المصلين في أسكوب المحراب.

لقد كان عمق المحراب في مساجد المشرق العربي لا يتعدى 60سم إلى 80سم ،وهذا العمق لا يسمح للإمام الصلاة داخل المحراب مما يضطره الصلاة خارجه ،وبذلك يشغل مكان صف من المصلين ،لكن في بلاد المغرب عمل المعمار المسلم على زيادة عمق المحراب ليصل أحيانا إلى 2م "،ومن بين الأمثلة على ذلك جامع قرطبة 354هـ-965م، جامع الزيتونة 250هـ-864م، ومحراب جامع تلمسان 537هـ-1152م ومحراب الكتيبة بمراكش 557هـ-1172م"[2]. ولكي يتضح فضل عمق المحراب ينظر للشكل ج ص 115 . "إن كسوة بعض محاريب المغرب العربي هي الجبس المنقوش وهي ظاهرة شاعت أيضا بالأندلس"[3] إلا أن محراب مسجد مغرار التحتاني خال كما سبق الإشارة إلى ذلك من مثل هذه المظاهر الجمالية وهو بسيط في شكله "ففي العصر الحديث أصبح الاهتمام بالمحاريب المجوفة كما أن المعمار أصبح يهتم بالمظاهر المعمارية الوظيفية متناسيا الجوانب الفنية"[4].

---

[1]- د.أحمد فكري: نفس المرجع السابق. ص298.

[2]- أ.د.محمد محمد الكحلاوي: نفس المرجع السابق. ص141.

[3]-د.أحمد قاسم الجمعة: أهم التأثيرات المعمارية الفنية المتبادلة بين العراق والمغرب العربي في العصر الإسلامي. مجلة آدال الرافدين العدد 09. أيلول 1978. ص185.

[4]- د.أحمد قاسم الجمعة: نفس المرجع السابق... ص278.

المنبر: يفصل محراب مسجد مغرار التحتاني المنبر دعامة يبلغ عرضه 42سم، هذا الدعامة مقابل بالتناظر للأعمدة الوسطى التي يرتكز عليها سقف بيت الصلاة، وهذا ما يوضح أيضا أن المحراب لا يتوسط جدار القبلة.

لقد جاء المنبر أقل عرضا من المحراب حيث بلغ عرضه 77سم فقط وله نفس ارتفاع المحراب أي 1,20م لكنه أعمق من دكة المحراب حيث يبلغ عمقه 1,45م وهنا أطرح الإشكال التالي: لماذا عمل المعمار على تعميق مكان المنبر ؟.

إذا كان انعدام عمق المحراب يدفع بالإمام ليشغل مكان صف كامل من المصلين فإن المنبر في بداية العهد الإسلامي ،وحجمه ،وارتفاعه ،كلها عوامل جعلت منه يشغل حيزا كبيرا مما ينتج عنه حتمية قطع امتداد صف أو صفين من المصلين "وهو ما توضحه المساجد العباسية في الأمصار ،التي احتوت منابر ضخمة تتماشى وكبر بيت الصلاة"[1] وهذا يتناقى مع قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "الكتف في الكتف والقدم في القدم من تمام الصلاة" وقوله أيضا: "من قطع صفا قطعه الله ومن وصل صفا وصله الله".

وأمام هذه المشكلة ابتكر المعمار المسلم ما يسمى بالمنابر المتحركة "وقد تطلب ذلك فتح خلف المنبر فتحة باب تؤدي إلى حجرة مستطيلة تستوعب كتلة المنبر كاملة"[2].

وإذا كانت حجرة منبر مسجد مغرار التحتاني ليست كبيرة جدا ،هذا لأن المنبر جاء كذلك صغيرا . إذا فمنبر هذا المسجد من المنابر المتحركة التي عندما ينتهي الإمام من الخطبة يوم الجمعة ،أو الأعياد يعاد رد المنبر لحجرته .ومنه يتمكن المصلون من سد الفرج وتسوية المناكب دون أن تنقطع صفوفهم(ينظر للمقارنة بين الشكلين أ ،ب ص 115).

إن أصل المنبر المتحرك هو ابتكار مغربي الأصل "ومن أمثلة المساجد التي استعملت فيها المنابر المتحركة جامع الزيتونة 250هـ-864م جامع القرويين 245هـ-859م

1- المقريزي: نفس المصدر السابق. ج2... ص251.

2- Terrasse (H) : La Mosquée Al Quaraouiyina. Fes Paris 1968. P 49.

جامع الأندلسيين بفاس 245هـ-859م وانتشرت أيضا في المساجد المرابطية بالجزائر كجامع تلمسان 537هـ-1127م وجامع الجزائر"[1]. "كما عرفت مصر هذا النوع من المنابر في مساجدها في العصر الفاطمي ،ومن أمثلتها جامع العطارين بالإسكندرية 480هـ-1097م[2].

[1]- أ.د.محمد محمد الكحلاوي: نفس المرجع السابق. ص424.

[2]- حسن مؤنس: المساجد. سلسلة عالم المعرفة. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت 1981م. ص88-89

2الأضرحة

الأضرحة جمع ضريح ويسمى في بعض المناطق الإسلامية بالمشهد أو القبة كما ينطقها أهل الجنوب"وهو البناء الذي كان يقام على رفات ولي أو إمام أو أمير أو سلطان ويسمى أحيانا(تربة).. وكانت أحيانا تلحق بالجوامع أو المدارس... وكانت الأضرحة في إيران أكثر انتشارا منها في سائر الأقطار العربية ،وعادة ما تكون عبارة عن أبنية مربعة الشكل عليها قبة ذات أركان محلاة بالمقرنصات أو الدلايات"[1] وكلن الضريح مرادف للمرابط أيضا.

تكثر ظاهرة الأضرحة في مغرار التحتاني مثلها مثل أضرحة بقية القصور المجاورة فكما هو معروف فإن المناطق النائية والتي كانت في يوم من الأيام بعيدة عن حضارة المدينة هي أرضا خصبة لانتشار الفكر التصوفي*، وفي هذا الموضوع ذكر أبو القاسم سعد الله" ففي المدن والأرياف في الجبال الشاهقة والصحاري القاحلة عاش معظم المتصوفة يبثون عقائدهم ويلقنون أتباعهم الأفكار والأوراد مبتعدين عن صخب الحياة الدنيا مؤثرين العزلة والعبادة"[2]

إن عدد الأضرحة التي بدت لي واضحة وأنا في أعلى البرج الرئيسي هي سبعة، أولها ضريح سيدي الشيخ الموجود بجنوب القصر وهو يتوسط المقبرة محاذ للبرج الرئيسي على اليسار ،وبعد اجتياز الطريق الرئيسي الذي يربط القصر العتيق بالمدينة الجديدة لمغرار التحتاني أي في الجنوب دائما يوجد الضريح الثاني الذي يتوسط مقبرة هو كذلك ،مما يبين أن المقبرة كبيرة وانقسمت بفعل الطريق التي شقت بوسطها ويسمى هذا الضريح سيدي عبد القادر محمد، وحول ظاهرة وجود الأضرحة بالمقابر ذكر كوفي "Cauvet" أنه لو تعتبر حاليا الموقع الاعتيادي الذي تحتله الأضرحة الصغيرة نسجل أنه في المدن تقع غالبا في وسط المقابر أو المقابر التي تزين كل ضواحي

---

[1]-د.محمود وصفي محمد-دراسات في الفنون والعمارة العربية الإسلامية-دار الثقافة للطباعة والنشر القاهرة 1980ص39

* التصوف هو العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها, والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة. مقتبس من كتاب لابن خلدون دار الكتاب اللبناني ص863

[2]-د.أبوالقاسم سعد الله- نفس المرجع السابق... ص262

المراكز السكنية الهامة.. إن الشخصيات الدينية غالبا ما تدفن قرب المواقع التي اعتادوا الاستقرار بها ،ويجدون أنفسهم محاطون بقبور بنيت من طرف خدامهم وعموما في وسط المقابر"[1]

وهذا ما يبين مبدئيا مكانة هاذين الضريحين مقارنة مع بقية الأضرحة .ومباشرة في اتجاه الشمال وعلى بعد أمتار فقط يوجد ضريح سيدي الحاج بلقاسم ،وعندما نجتاز الواحة في اتجاه الجنوب الشرقي نجد ضريح مولاي عبد القادر محمد ،وضريح سيدي إبراهيم الذي بني بالشمال الغربي وهو متناظر مع مدخل "بابات علي" .أما في وسط الشمال بعد الطريق مباشرة يوجد ضريح سيدي علي بن عيسى ،و في الشمال الشرقي بعد الطريق دائما ومقابل "لنقب" أولاد شيبوط بني الضريح السابع وهو ضريح سيدي عبد السلام هذا الذي ينفرد عن بقية الأضرحة ببساطته وخلوه من الجوانب الهندسية الجمالية التي احتوتها بقية الأضرحة وسأتخذ منه نموذجا للأضرحة مع ضريحين آخرين أثناء الدراسة المعمارية.

ويبدو من خلال الدراسة الميدانية أن أضرحة مغرار التحتاني تختلف في التوزيع بالنسبة للقصر، فهناك أضرحة قريبة من بعضها البعض ومقابلة لأبواب القصر وهناك أضرحة بعيدة عن القصر، كما تختلف من حيث التخطيط، لكن فيما يخص القبة ،فمعظمها تعلوها قباب باستثناء ضريح سيدي عبد السلام، ولتوضيح تمركز هذه الأضرحة (ينظر الشكل ص 116)

وما يلاحظ على أضرحة مغرار التحتاني أنها بنيت تقريبا كلها بالجهة الغربية ،سواء كانت الجنوبية أو الشمالية أو الوسطى ،مثلها مثل معظم الأبراج التي عرف بها القصر وهذا يجعلني أطرح السؤال لماذا لم تبنى هذه الأضرحة بالجهات الأخرى؟ أعتقد أن المخاوف التي كانت تنتاب أهالي قصر مغرار التحتاني من الغارات التي كانت تشنها ضدها بعض القبائل خاصة قبيلة "زقدو" التي أشار إليها نوال Noël[2] في الدراسة

---

[1] - Cauvet (c.d.t) les marabouts petits monuments et votifs du nord de l' Afrique une revue africaines N°64-1923 OPU Alger1986 page:291

[2] -Noël(CPT) OPCIT.....page123

التاريخية، فقد كانت كل هذه الغارات من الجهة الغربية، دفع هذا إلى تشييد هذه الأبراج من هذه الجهة، لكن لم تكن هذه الأبراج لتفي بالغرض الكامل ،حيث أن اعتقاد سكان القصر بالقوة الروحية لولي الله الصالح وكراماته* جعلتهم يبنون هذه الأضرحة في هذه الجهة بالذات لتحرس هذا القصر وتدفع عنه الأذى ،وفي هذا الموضوع ذكر أبو القاسم سعد الله "وكانت كل مدينة كبيرة أو صغيرة محروسة بولي من الأولياء ،فهو الذي يحميها من العين والغارات ،ومن نكبات الطبيعة ،ومن طمع الطامعين "[1]، ولما كان لأولياء الله الصالحين من قيمة وشأن عظيم عند أهل القصر فلقد كان اسمه يتردد على ألسنة الأهالي، فلا يكاد الواحد منهم يقسم أو يعد أو يتوعد إلاّ بذكر اسم الولي الذي يعتقد في نصرته وعقابه وفي هذا الموضوع يقول جورج مارسي "Georges Mairçais" "فكم من جزائري يعرف اسم بولوغين مؤسس الجزائر المدينة ،لكن لا نجد منهم من لا يعرف سيدي عبد الرحمن الثعالبي ويحترمه... إن هذه الاعتقادات الدينية الصوفية التي أصبحت في وقت من الأوقات الثقافة الشعبية المنتشرة جعلت الأضرحة محل إقبال الكثير من الناس، خاصة منهم النساء طلبا منهن للخير والنفع ودفعا للشر والضرر"[2] فكما للضريح بعدا دينيا وبعدا سياسيا يتمثل في احتواء الأزمات وتنظيم الصفوف لأجل الجهاد ، فله أيضا بعدا اجتماعيا" كإيواء الفقراء والعجزة والغرباء وحماية الهاربين من المجرمين والسياسيين المغضوب عليهم واستقبال الدارسين في المساجد المجاورة "[3]

---

[1]أبو القاسم سعد الله: نفس المرجع السابق ... ص 267

[2] –George Marçais- opcit… P518

[3]–أبو القاسم سعد الله: المرجع نفسه... ص268

*–القبة: وقد عرفت القباب في بعض البلاد العربية قبل الإسلام فذكر المؤرخون بعضها منها قبة"الشتيق" وهي الأبنية القديمة في الحيرة وبآزائها قباب يقال لها "الشكورة" "والسديد"... وعن قباب الأضرحة ذكر المؤرخون العديد من تلك القباب التي يرجع تاريخها إلى العصر العباسي ولعل أقدم قبة وصلنا خبرها هي القبة التي بناها هارون الرشيد على ضريح الإمام علي كرّم الله وجهه عام 150ه–767ه أو عام 170ه–787ه وتليها قبة ضريح عنة التي بناها الرشيد أيضا وبنى المأمون قبة فوق قبر والده الخليفة هارون الرشيد.... وانتشرت في العراق القباب ذات الأشكال المختلفة، نلاحظ فيما بقي منها طرزا وأنماطا مختلفة تبعا لتفاوت مدة انشائها ومحل وجودها فمنها المخروطية والبصلية ونصف الكروية والهرمية ومنها المقرنصة المركبة من مقرنصات معقودة أو منشورية مقتبس من د. كامل حيدر– العمارة العربية الإسلامية الخصائص التخطيطية للمقرنصات–دار الفكر اللبناني–بيروت دون سنة ص ص41–42

الوصف المعماري للأضرحة:

ضريح سيد الشيخ: يقع ضريح سيد الشيخ بالجهة الجنوبية كما سبق ذكره وهو يتوسط المقبرة ،تخطيطه مربع حيث تبلغ طول جدرانه 5,55م مما يعني أن مساحة الضريح كلها 30,80 م2 أما ارتفاعه فيبلغ 3,50م دون قياس ارتفاع القبة* المركزية أو ارتفاع القبيبات الجانبية.

بابه مفتوح على الجهة الجنوبية في "اتجاه القبلة" بعرض 90 سم وبارتفاع 1,95 م. وهنا أسجل ملاحظة مفادها أن أبواب أضرحة قصر مغرار التحتاني تختلف عن بقية أبواب أضرحة القصور المجاورة كأضرحة قصر تيوت مثلا ،فالأضرحة بهذا القصر تعلوها عقود نصف دائرية تشبه أبواب المساجد ،لكن أبواب أضرحة مغرار التحتاني فهي تشبه أبواب المساكن دون عقود.

تعلو الباب فتحة مستطيلة الشكل ارتفاعها 35 سم وعرضها 20سم ،وظيفتها التهوية وإدخال الضوء .فعادة ما يقوم البعض من المتبركين بالضريح بإقامة الصلاة داخل الضريح، وهناك فتحتين أخريين إحداهما بالجدار الغربي للضريح والأخرى بالجدار الشرقي وهما أكثر اتساعا من الفتحة التي تعلو الباب لكنهما في ارتفاع أقل حيث فُتحتا على ارتفاع 1,50 م .تخطيطهما هرمي حيث يبلغ عرض كل فتحة من الأسفل 35 سم وعرضها من الأعلى 20 سم وإذا طرح السؤال : لماذا اختلف.تخطيط الفتحتين عن تخطيط فتحة الباب؟ فلا توجد حينها إجابة مبررة من الناحية الوظيفية غير إضفاء طابعا نوعيا في تصميم الفتحات.

يتوسط السقف قبة تقريبا هرمية الشكل أو كما سمّاها بعض المختصين بالأضرحة ذات قباب أسطوانية ذات مركز طفيف, ويحيط بهذه القبة على الزوايا الأربعة قبيبلت صغيرة نصف كروية تختلف عن شكل القبة الوسطى ،وعلى هذه الزوايا الأربعة بنيت شرفات مدرجة (ينظر للوحة ص 135)وقد تعرض كوفى "Cauvet" في دراسته للأضرحة لهذا النوع حيث قال"في غرب الجزائر، المنطقة التي تحتلها أضرحة ذات

قباب هرمية أو مخروطية قد طورت نموذجا من القباب ذات نموذج مختلف تماما....

على الغرفة المربعة التي تشكل هيكل الضريح يوجد سقف على مركزه ،يعلوه شكل أسطواني ضيق ونسبيا مرتفع، عبارة عن برج صغير دائري أو متعدد الزوايا، ينتهي بقبة صغيرة دائرية أو مدببة أو حادة بقمة هرمية، وأحيانا أيضا بسقف من آجر، هذا القسم الأسطواني يحتل عادة جزء محدد من مساحة السقف لغرفة الضريح.... وغالبا ما تتمركز على الزوايا الأربعة قباب صغيرة ملحقة والتي هي الأخرى تعلوها أقسام أسطوانية ذات أشكال متنوعة"[1]

وفي اعتقادي فإن هذا النموذج من الأضرحة بني تأثرا بأضرحة أولاد سيدي الشيخ الذين كانوا على علاقة وطيدة بأهالي قصر مغرار التحتاني ،مما يبين مدى ارتباط أهل القصر ليس فقط بالنسب والأصل بل حتى بالجوانب المعمارية لأجدادهم حيث يشبه هذا الضريح ضريح سيدي الحاج الدين بمدينة الأبيض سيد الشيخ الذي قال بخصوصه كوفي "Cauvet " " بعد ضريح سيدي الحاج الدين واحد من هذه الأضرحة المحاطة بأربعة قباب صغيرة والتي لا تحتوي عليها الأضرحة الأخرى"[2]

قبل الدخول إلى الضريح يوجد درجة بارتفاع 20سم ،مما يعني أن ارتفاع الضريح يتقلص من الداخل ليصبح 3,30م .يقابل الزائر مباشرة بعد دخول الضريح التابوت الذي يمتد عرضا على جدار القبلة أي من الشرق إلى الغرب .وهذا التابوت هو قبر لأحد أحفاد سيد الشيخ طوله 2,22 م وعرضه 83سم ،وهو يتوسط الضريح هذا القبر له ارتفاع يبلغ 80 سم مبني بالحجر ،وهو مفتوح غير مسقف من الأعلى حيث وضعت قطع من القماش الأخضر فوقه .وفي هذا الموضوع ذكر محمود وصفي محمد" وكان صاحب الضريح يدفن فيه ويوضع فوق قبره تركيبه من الحجر أو الأجر أو أحيانا تابوت من الخشب"[3] وقد قامت داخل الضريح أربعة أعمدة أسطوانية الشكل متناظرة وبشكلها هذا فهي تؤلف مربعا يحوي القبر (ينظر للشكل ص 117)

---

[1] –Cauvet(CDT)(OPCIT).....page467

[2] – Cauvet Ibid … P467

[3] –د.محمود وصفي محمد –دراسات في الفنون والعمارة العربية والإسلامية دار الثقافة للطباعة والنشر القاهرة 1980 ص 40.

مما أعطى تصميما هندسيا يشبه التصميم الذي يقوم عليه بيت الصلاة، ويخّيل للزائـــر أنه داخل مسجد صغير. القياس الموجود بين العمود والعمود الآخر يبلغ 2,20 م أمــا القياس الموجود بين جدار الباب والعمود المقابل أو بين الجدار الخلفي والعمود الآخــر فهو واحد ويبلغ 1,60 سم.

يرتفع كل عمود إلى مستوى ارتفاع الضريح فيبلغ 3,30م وتحمل هذه الأعمــدة في نهايتها عقودا نصف دائرية ،هذا الذي أضفى جمالا هندسيا على الضريح من الداخل. تقوم على هذه الأقواس القبة التي سبق الإشارة إليها أثناء الوصف الخارجي للضريــح وهي قبة مثمنة الشكل من الأسفل ويمتد هذا التثمين في الارتفاع بقيـــاس 40 ســم لتصبح بذلك وفي الأعلى بالشكل الهرمي أو الأسطواني ذو مركز طفيف كما ذكــر كوفي "Cauvet " "هذا النوع من القباب موجود غالبا بالمغرب حيث تكون القبـــة مثمنة الزوايا, المحمولة على قسم أسطواني هو الآخر مثمن الزوايا"[1]

ضريح سيدي عبد القادر محمد:

يقع هذا الضريح بجنوب القصر ،وهو موجود في وسط النصف الثاني للمقبرة التي انقسمت بواسطة الطريق التي تقود للمدينة الجديدة كما سبق الإشـــارة إلى ذلــك. تخطيطه مربع ،مثله مثل ضريح سيد الشيخ الذي ينحدر من أصله سيدي عبد القـــادر محمد ،حيث يقول كوفي في هذا الشأن"إن عدد من عائلة أولاد سيدي الشيخ في كل مكان أين دفنوا ما عد بعض التغيرات التي تعود إلى شروط أو عوامل المكـــان، لهــا أضرحة من هذا النوع المربع وأيضا بالنسبة لرؤساء أو شيوخ الطريقة التيجانيـــة* في الغرب"[2] المساحة التي يتربع عليها هذا الضريح أكبر نسبيا من مساحة ضريح ســـيد الشيخ ،حيث تبلغ 37,82 م2 بطول 6,15 م لكل ضلع وارتفاعه بقياس 3,80 م ،بابه مفتوح على الجهة الشرقية للقصر وهو مقابل لمساكن حديثة البناء .يبلغ ارتفاع الباب 2,05 م وعرضه 1,10م كما أنه يشبه باب الضريح السابق من حيث انعدامه لعقد في

---

[1] - Cauvet(CDT)(OPCIT).....page467

[2] - Cauvet(CDT)(Ibid).....page468

*- الطريقة التجانية: نسبة لمؤسسها أحمد التجاني المولود بعين ماضي سنة1150 عن: د أبوالقاسم سعد الله:المرجع السابق:ص:517

الأعلى فهو يشبه أبواب المساكن أيضا. يوجد بالجدار الموجود على اليمين 3 فتحـات مهمتها الضوء والتهوية، قياس كل فتحة 35 سم عرضا و48 سم ارتفاعا أي مستطيلة الشكل، يتميز هذا الضريح بقبة واحدة تتوسطه من الأعلى (ينظر للوحـة ص 135) لكن هذه القبة لم تقم مباشرة على سقف الضريح ،بل يعلو هذا السقف بناء مربـع الشكل يشبه في تخطيطه الضريح نفسه لكنه أصغر مساحة منه وهو بأربع فتحات كل واحدة على جدار ويوجد بزواياه شرفات مدرجة ،وفي هذا المربع تقوم قبة أسطوانية تنتهي بشكل مخروطي (ينظر للوحة ص 135) . ويلاحظ في الجهة الوهرانية كمـا أكد على ذلك الباحثون أنه توجد أضرحة كثيرة بقبب ذات أشكال أسطوانية ضيقـة نسبيا عبارة عن برج ينتهي بقبة صغيرة، مدببة أو حادة وفي هذا الإطار يقول كـوفي Cauvet :"... أما بسيدي تيفور فإن الدف المربع الذي يرتفع وسط السطح ينتـهي بجذوع تربطه قاعدة مربعة بالسطح... وهذا الطراز من القباب وجد في آسيا خاصـة في الكنائس الأرمينية والروسية وأيضا في منارات مساجد مصر،سوريا وتركيا" [1]

هناك عدد لا بأس به من هذا الطراز من الأضرحة ذات المظهر الجذاب إلى حد مـا، وهو يعبر في جوهره عن بحث معماري أكثر تطورا وعن محاولة للتجديد والإبـداع في بناء هذه العمائر الدينية ولا يعبر كما يعتقد البعض عن الخلط الذي يوحي في نظرهـم بانعدام المقاييس الثابتة والجمالية في بناء الأضرحة

بعد الصعود على سلم بـ5 درجات نصل إلى باب الضريح، وبعد الدخول مباشـرة يقابل الزائر الأعمدة ،مثله مثل الضريح السابق ويتهيأ له أنه بمسجد صغير أيضا وهـي ملاحظة سبق أن سجلتها على الضريح الأول ،لكن هذه المرة تكثر العقود حيـث أن عددها 12 عقد نصف دائري ،بينما عدد العقود في ضريح سيد الشيخ فهي 4 رغـم أن عدد الأعمدة وسط الضريح هو 4 بنفس عدد الأعمدة للضريح السابق ضريـح سيد الشيخ لكن الفرق بينهما هو أن عقود ضريح سيدي عبد القادر محمد امتـدت بعض الأعمدة إلى جدران الضريح لتقوم على مساندها اثنان في كل جـدار (ينظـر

---
[1] Cauvet(CDT)(OPCIT).....page469

للشكل ص 118) القياس بين كل عمود والآخر يبلغ1,95م أماّ بين العمود والجدار سواء كان الأمامي أو الخلفي أو الجانبي فهو واحد ويبلغ 1,85م. إن هذه الأعمدة تنتهي في ارتفاعها بحمل القبة بدايتها أسطوانية وهايتها مخروطية كما سبق وصفها من الخارج حسب تصنيف أهل الاختصاص. إن العقود تمتد 6 منها على طول الضريح 3 على يمين الباب و3 عقود على يساره و6 عقود أخرى تمتد على عرض الضريح لتتقاطع مع العقود الأخرى بواسطة الأعمدة المذكورة.

إن الذي جعلني أشبه الضريح من الداخل بالمسجد هو هذه العقود التي توحي بفكرة البلاطات والأساكيب ، ومنه أيضا أقف عند استنتاجا بسيطا مفاده أن العمائر الدينية تربطها قواسم مشتركة تعبر عن ارتباطات روحية ،فكثيرا من العناصر المعمارية يشترك فيها المسجد مع الضريح كعنصر العقود وعنصر القبب ،بل أحيانا قد يتحول الضريح إلى مسجد خاصة إذا كان لولي له شأنا عظيما عند أهل المدينة "فالمرابطين المشهورين في كل البلاد يعظمون لدرجة أن العرب يبنون لهم مساجد تحيط بها أسوار دائرية ويقوم على حراسها طالب أو قيم ولا تخلو أبدا من المصلين"[1]

في إطار تمجيد روح الولي واتخاذ الضريح كمصلى من طرف الذين يتبركون به .ذكر عبد الفتاح مقلد الغنيمي "... لقد كان مؤسس هذه الطرق عادة أولياء يحتم الناس تقواهم وورعهم وكان بعضهم صوفيين أصوليين بما في كلمة التصوف الإسلامي من معنى تقليدي عظيم, فكانوا يعلنون أنهم يسيرون على كتاب الله وهدي السنة النبوية المطهرة ونشر الشريعة الإسلامية... ومنه نشأ تعظيم الناس لأرواحهم"[2]

في مؤخرة الضريح وعلى اليسار يوجد قبر يكاد لا يرى ،فهو ليس له ارتفاع حيث تبدو للزائر أرضية الضريح مسطحة بفراش من البلاط الحديث الملون وليس هناك ما يوحي بوجود هذا القبر إلاّ شاهدين بارتفاع صغيرا جدا لا يتعدى 8سم . هذا القبر هو لأحد أحفاد سيدي عبد القادر محمد لأن هذا الأخير ليس مدفونا بالضريح.

---

[1]– أبو العبد دودو:الجزائر في مؤلفات الرّحالين الألمان 1830–1855 المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1989ص136

[2]– عبد الفتاح مقلد الغنيمي– موسوعة المغرب العربي– المجلد الثالث,فصل الرابع مكتبة مديولي ص93

ظاهرة غريبة جدا وجدها بداخل الضريح تتمثل في وجود سلم يقود أسفل الضريح (ينظر للشكل ص 118) .هذا السلم موجود بالجهة اليسرى للضريح بعد الدخول وهو يتوسط العمودين وتتجه درجاته من يسار الضريح إلى يمينه بعمق يصل إلى 2 م. عند النزول بواسطة السلم إلى الأسفل يوجد فراغ يتسع لشخص أو شخصين على الأكثر يسمى بالخلوة*(ينظر للوحة ص 136)، تصميمها غير منتظم فهي عبارة عن حفرة وسط صخور على الجانبين أين توضع الشموع للإضاءة. هذه الظاهرة تفرض طرح الإشكال التالي: لماذا تميز هذا الضريح عن بقية الأضرحة بوجود هذه الخلوة وكيف صممت هذه الخلوة؟ أعتقد أن الإجابة على هذا الإشكال تأخذ احتمالين, الاحتمال الأول هو أن عظمة وقدسية سيدي عبد القادر محمد دفعت بالمعماري إلى تمييز هذا الضريح عن بقية الأضرحة فحفرت هذه الخلوة بعد بناء الضريح أو أثناءه ليدخلها بعض الزاهدين لما توحي به من وحدة ولما توفره من جو للخشوع والانفراد إلى التقرب من الخالق والاحتمال الثاني وهو الأقرب إلى الترجيح، أن الحفرة كانت موجودة طبيعيا قبل البناء، الدليل على ذلك كونها حفرة تلتقي فيها صخور على أرضية مائلة، حيث أن الوجه الخلفي للضريح يقع بمكان مرتفع والوجه الأمامي بمكان منخفض مما يجعل الأرضية المستوية للضريح تقوم على فراغ من الجهة الموجودة بها الخلوة. إذن فالضريح بني على هذه الحفرة و لم تستحدث الخلوة بعد بناء الضريح.

ومن خلال دراسة هاذين النوعين من الأضرحة وصلت إلى استنتاج مفاده أن هذه الأضرحة حديثة في بناءها ،وأضرحة القصر في القديم لم تكن مقنعة من الناحية الجمالية للمرابط القوي المشهور فهي تقريبا مجرد قباب بسيطة بمعنى النموذج المستعمل في كل الوطن من أجل كل الشخصيات الدينية ،لكن قد تم إعادة بناءها وهذا يدل على الادعاء والافتخار الأسطوري لأولاد سيدي الشيخ المنحدرين من سلالة الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ،وهنا بين كوفي Cauvet " أن البعض من عائلة أولاد سيد الشيخ بنوا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ميلادي قبلب

*- الخلوة: وهي المكان الخالي من الناس والأشياء وعادة ما توجد بالمساجد أو الأضرحة ويدخلها الناس للعبادة والتقرب من الله

على قبور أجدادهم وآبائهم...فهو نوع حديث جدا ،وأعتقد زيادة على ذلك ينبغي البحث عن النموذج الأصلي لهذا النوع من الأضرحة باتجاه المغرب الأقصى وبدون شك "بفاس"،ومما يلاحظ في الواقع أن "سي سليمان بن بوسماحة" أحد أجدادهم الأكثر شهرة في العائلة قد دفن بفاس"[1]

ضريح الحاج بلقاسم:

يقع هذا الضريح بجنوب القصر وبالضبط فهو محاذ للواحة، يكاد لا يرى هذا الضريح نظرا لبساطة هندسته ،ولكونه يفقد عناصر الهندسة للأضرحة التي عادة ما يظهر بياضها وقببها بارزة واضحة عن بعد ،حيث ذكر فليكس جاكو "Felix Jaquot" في هذا الشأن"إن المباني الوحيدة الجديرة بالملاحظة هي الأضرحة مباني المرابطين التي تظهر بيضاء على حافة البساتين، محيط جدرانها تعلوه أهرمات صغيرة مقسمة إلى سلم مثل باقي أضرحة مقاطعة وهران، هذه الأضرحة التي تنتهي بقباب.. "[2] (ينظر للوحة ص 137) وأعتقد أن بساطة هذا الضريح تعكس بصورة واضحة شأن وقيمة هذا المرابط في نظر أهل القصر، هذه القيمة التي لا يمكن أن تضاهي قيمة شخص سيدي الشيخ أو سيدي عبد القادر محمد ،وقد صنف أبو القاسم سعد الله الأضرحة ووضعها درجات حيث، قال"إن أشكال الأضرحة في الجزائر وفي شمال إفريقيا عامة 3 أنواع، فهناك ضريح المرابط العادي، وضريح المرابط الولي الكبير ،وضريح المرابط الكبير المشهور الذي ذاعت شهرته وتجاوزت قبيلته أو مدينته"[3]

وأعتقد أن هذا الضريح هو من صنف أضرحة المرابطين العاديين ،فهو خال من القبة والحجر المنحوت هو المادة الأساسية المستعملة في بنائه غير المنتظم دون تلبيس أو طلاء ،والشيء الذي زاد من بساطته هو ارتفاعه الذي لا يتعدى 2 م وهو مستطيل الشكل نسبيا حيث يبلغ طوله3,40م وعرضه 3,10 م, بابه مفتوح على الجهة

[1] -cauvet(C.D.T) OPCIT... page470

[2] - Félix Jacquot OPCIT...P133

[3]- أبو القاسم سعد الله: نفس المرجع السابق...ص269

الشمالية بعرض65 سم وارتفاع 1,07م مما يعني أن الزائر للضريح يلزم عليه الانحناء حتى يتمكن من الدخول له, ولا توجد بهذا الضريح أعمدة ولا عقود كما كان الشأن بالنسبة للضريحين السابقين وهو يشبه في سقفه أسقف مساكن القصر حيث سقف ببعض جذوع النخيل يفصلها القرناف وجريد النخيل والعرعار لتكسوها بعد ذلك طبقة من الطين وقد تعرض كوفي "Cauvet" إلى هذا النوع من الأضرحة التي تسمى"بالأضرحة ذات السقف على نموذج سقف مساكن الأهالي" وقد ذكر "إن هذا النوع من الأضرحة يتوزع على بلاد القبائل وجبال الأوراس و العمور ، وتجهل هذه الأضرحة في تخطيطها نظرا لكونها تقع في أماكن لا تلفت انتباه المارة ويعزى أهلـ قديمة وغالبا ما يسمى ما بداخلها بالمخفى أو الجماعة"[1]

بداخل الضريح يوجد قبر صاحب الضريح وهو غير محاط ببناء, وما يمكن ملاحظته هو الشاهدين وكومة من التراب، وأما أرضية الضريح فهي تراب أيضا وليست طبقة من الطين المعجون أو الإسمنت أو البلاط، هذه الأفرشة التي لاحظتها في الأضرحة الأخرى

ضريح سيدي سليمان بلحاج:

يقع هذا الضريح بالشمال الغربي للقصر وقد بني بجانب ضريح سيدي إبراهيم. (ينظر للشكل ص 116)هو أكثر الأضرحة بساطة بل قد لا يتصوره البعض على أنه ضريح من الأصل فلا قبة له ولا سقف أيضا، فهو كومة من الحجارة أو "كركارا"* موضوعة فوق بعضها البعض دون ما بناء، أي دون طين أو إسمنت، تخطيطه مربع بفتحة تمثل المدخل وارتفاعه لا يتعد المتر الواحد في بعض الأجزاء ويقل عن ذلك في أجزاء أخرى.(ينظر للوحة ص 137)يسمى عند أهل القصر والمنطقة "بالحويطة" أي مجموعة من الحجارة تحيط بمكان يعتقد أنه مكان قد جلس به المرابط أو توضئ فيه ويسمى هذا النوع من الأضرحة "بالمقام" على حد ما ذكر

[1] - Cauvet(C.D.T) OPCIT... page470

* - الكركار: هو كومة من الحجارة موضوعة بلا انتظام

دنغلس"DANGLES"[2]أي المكان الذي قام فيه المرابط الليل بالذكر والصلاة ويسمى في مناطق أخرى"بالمزار" أي المكان الذي يزار من طرف الولي.

لماذا بني بجانب سيدي إبراهيم؟ يرى البعض من سكان القصر أن سيدي سليمان بلحاج كان يتبرك بسيدي إبراهيم وعندما عرف بتردده على هذا الضريح وجلوسه بهذا المكان، فبني له هذا الضريح ويذكر دنغلس "DANGLES" بخصوص هذا النوع من الأضرحة "أنها ليست ثابتة في تخطيطها بل نجد بعضها بالتخطيط المربع وبعضها بالتخطيط الأسطواني ويشبه البعض الآخر أحيانا تخطيط الهلال"[1] ويرى "DANGLES"دائما أنه" في بعض المناطق يأمر هذا المرابط قبل وفاته بوضع هذه الحجارة ويعد الناس بأن كل شخص ساهم بوضع حجرة فله في ذلك ثوابا"[2]

2 – V. Dangles : Haouita, Haouch, M'Kam B.S.G.O Oran mai 1908 P163
1 – V. Dangles OPCIT … P164
2 – V. Dangles IBID … P165

الفصل الثالث

العمارة المدنية

1 المساكن

2 الأحياء والشوارع والدروب

3 الأسواق

1المساكن

صعوبات كثيرة واجهتها وأنا أحاول فهم تركيبة القصر العمرانيـــة ووصفـــه نظـــرا للانهيارات التي لحقت أجزاء كثيرة منه، زد على ذلك عدم اهتمام أهل مدينة مغـــرار التحتاني"الجديدة" بهذا الإرث الحضاري فكما هو معروف عند علماء الآثار"فإن المبنى يكون أكثر عرضة للانهيار إذا غادرته النفس البشرية"[1] فقصر مغرار التحتاني قصـــــر هجره سكانه في السبعينات و لم يعد الآن إلاّ مكانا لتربية المواشي والأنعام ،في المقـابل نجد قصر تيوت مثلا رغم أنه بني في نفس الفترة التي بني فيها قصـــــر مغـــرار إلاّ أن معالمه لازالت قائمة لحد الآن لأن العنصر البشري لم يهجره فالقصر إذ يحـــيى بحيـــاة النفس البشرية ويبقى ببقائها لأنها عنصر هام من عناصر بقاء العمارة، لذا اعتمـــــدت على ما بقي من القصر إضافة إلى الذاكرة الجماعية للسكان التي كـــانت أوصافـــها لمساكن القصر متطابقة.

المساكن في قصر مغرار التحتاني ،بنية بطابق أرضي أو بطابقين أرضي وعلوي واحـــد R+1. RDC والمادة المستعملة في البناء هي الطوب حيث يذكر في هـــــذا الإطـــار روسي (إيتوري) بقوله "تتأثر الأنماط المعمارية بمستوى دخـــــل الفـــرد والازدهـــار الاقتصادي وتظهر سمات ثراء المجتمع غالبا من خلال العمارة... حيث كانت بيـــوت المدينة الإسلامية قديما بسيطة في البناء ذات دور واحد أو دورين ومشيدة بـــــاللبن"[2] وبما أن سكان القصر قديما لم يكونوا من الأغنياء ،أو التجار الكبار مقارنة مع سكان الشمال فقد جاءت مساكنهم بسيطة بساطة وضعهم المادي ،وهـــــذه البسـاطة في التكوين المعماري يؤكده عدم الاهتمام بالجانب الزخرفي أكثر من اهتمامهم بالجـانب الوظيفي.

[1] -Georges Marçais, OP Cit....Page 533

[2] روسي(إيتوري): طرابلس تحت حكم الأسبان وفرسان مالطا ترجمة وتقديم خليفة محمد التليسي الطبعة الثانية طرابلس 1985 ص19

تخطيط المساكن:

باب المسكن مصنوع من جذوع النخيل بقياس في الارتفاع يصـــــل إلى 2م وقياس في العرض يصل إلى 1م.30 سم ،وهنا سجلت ملاحظة مفادهـــا أن أبـــواب المساكن التي تحتويها شوارع القصر ودروبه ليست متناظرة وهذا مراعـــاة للأســس الإسلامية الخاصة بتصميم البيوت التي نجد من بينها حقوق الجار ،لا يستطيل عليـه في البنايات فيسد عليه الهواء والضوء إلا بإذنه و ألا يفتح عليه أبواب أو نوافذ فيكشــف عورات بيته وفي هذا الموضوع يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مازال جـبريل يوصيني على الجار حتى ظننت أنه سيورثه"وقال أيضا "من كان يؤمن بــالله واليــوم الآخر فلا يؤذ جاره".

طريقة غلق الأبواب طريقة قديمة تسمى بـ"المشطة" أو"الرزامة" وهي عبـــارة عــن جذعين أو ثلاثة جذوع من النخيل يابسة وصلبة تكون في قياسها على أكـــثر مــن عرض الباب قليلا ،حيث يكون هذا الأخير بحفرتين على العرض متنــاظرتين بعمــق واحد تقريبا يصل إلى 20 سم ،يدخل بالجدع في إحداهما ليعاد إدخاله مــن الجهــة الأخرى في الحفرة المقابلة .

بعد الدخول غالبا ما يقابلنا المرحاض مباشرة (ينظر للشكل ص 123)وهو مبني على عتبة مرتفعة على السطح الأرضي للمسكن بثلاث أو أربع درجات، حيث توجـــد تحت هذه العتبة حفرة تجمع فيها الفضلات، إذا فالارتفاع لم يكن اعتباطيا بل فرضتـه الوظيفة (ينظر للوحة ص 138) ،وعندما تمتلئ هذه الحفرة يتم تفريغها عن طريـــق ثقب بالجدار الخارجي للمسكن. وهنا أشير أن هذه الفضلات كانت تمثل مصـــدرا أساسيا منا الأسمدة المستعملة في الزراعة ،أما فيما يخص باب المرحاض فقـــد كـــان "عادة قطع من القماش"[1] والدخول له لا يكون إلاّ بعد السعال ليتأكد الداخـــل أن

[1] – M hari Amin : OP CIT ......page 102

المرحاض فارغ. وبجانب المرحاض يوجد الإسطبل ،وهذا يؤكد أن سكان القصر استعملوا مساكنهم لتربية المواشي و لم تكن هذه الإسطبلات خارج القصر.

ووجود الإسطبل بجانب المرحاض كان أيضا قصديا حتى تتجمع الفضلات والرائحة الكريهة في مكان واحد يسمى "الحوش". إن الإسطبل إضافة لكونه مكانا للمعز والغنم فهو مخبأ يوضع فيه حاجات الأسرة من الحطب، المصدر الأساسي للطهي والتدفئة أيام البرد.

بعد المرحاض والإسطبل يقابلنا الفناء أو كما يسمى في بعض المناطق"وسط الدار" هذا الفناء الذي يعتبر المحور الأساسي في تخطيط المسكن، إذ تفتح عليه أبواب ونوافذ الحجرات ،فهو مصدر الضوء والهواء دونما حاجة لفتح نوافذ تطل على الشارع ،كما يوجد في أغلب أفنية المساكن التي شهدتها العمارة الإسلامية سلم يؤدي إلى الطابق العلوي ،ونجد مساكن مغرار خاصة تلك التي تحتوي على طابقين لا تشذ عن هذه القاعدة ،وفي هذا الموضوع ذكر عبد الجبار ناجي "..... كما أن تخطيط المنازل تأثر إلى حد كبير بما يجاوره من طرق ،شوارع ومنازل وتكوينات معمارية أخرى ،لاسيما في فتح المطلات وتجنبا للمشكلات التي قد تنتج على الإطلال على المباني المجاورة، برز الاتجاه نحو استغلال الأفنية في التهوية والإضاءة" [1]

"الفناء يفصل المرحاض والإسطبل عن بقية الغرف في الطابق السفلي دائما وهي مقسمة إلى مدخل(Antichambre) يسبق غرفة أو غرفتين أين يتم وضع المؤونة وحفظها وهي عبارة من محاصيل زراعية أو سمن أو صوف"[2]

كيف يتم حفظ المؤونة في هذه الغرف؟ يوجد حتى الآن جرات كبيرة بطول يفوق أحيانا المتر الواحد، مصنوعة من الطين نصفها يتم إدخاله في حفرة ونصفها الآخر يبقى في الخارج(ينظر للوحة ص 141) .هذه النماذج من الجرات معروضة أيضا بالمتحف البلدي لمدينة مغرار التحتاني ويسميها سكان القصر ب"الخابية"، وظيفتها

---

[1]—عبد الجبار ناجي: مفهوم العرب للمدينة الإسلامية– مجلة المدن العربية عدد14 سنة 1984 ص50.

[2] -.– M hari Amin : OP CIT ......page 98

حفظ الزيت أو التمر أو الحبوب وبعض المحاصيل غير المعرضة للفساد، كما يوجد ما يسمى"بخزنة الزرع" وهي عبارة عن ارتفاع من الطوب بحوالي30 إلى40 سم يقسم الغرفة على العرض فيحدث وعاءا يوضع فيه الحبوب وقد يفصل بين نوعين أو ثلاثة أنواع من الحبوب بارتفاع آخر (ينظر للشكل ص 140) ،وفي هذه الغرف يوجد بعض الأسلاك على الجدران لأجل تعليق عرجون التمر الذي لم ينضج بعد. كما توجد بعض المساكن التي أرضيتها من جذوع النخيل بارتفاع يصل إلى30 سم عن الأرضية الأصلية ليستغل ذلك الفراغ لتخبئة أشياء غير المؤونة ويسمى هذا الفراغ بالمخفى أو المخبئ. وقد عرفت غرف حفظ المؤونة عند أهل القصبة بالجزائر العاصمة "بالبرطوس"*، وبهذا الحال فالطابق السفلي عادة لا يحتوي على غرف للأكل أو النوم وسمي"بالحوش" أما الطابق العلوي فسمي"بالسكنة". إن الطابق السفلي للمسكن لا يحتوي على منافذ كثيرة فنسبة الضوء قليلة جدا لكن بعض منافذ التهوية فهي موجودة لكنها على ارتفاع كبير (ينظر للشكل رقم[illegible]) ،وفي هذا الموضوع قال"عبد القادر حمزة كوشك" ".... في الطابق الأرضي يجب أن تكون النوافذ مرتفعة عن مستوى نظرة المارة وفي الأعلى ألا تطل على فتحات مقابلة للجار أو باستعمال حاجب الساتر"[1]**.

في الفناء يوجد السلم كما سبق القول ويسميه أهل القصر"بالسلوم"، الذي من خلاله يمكن الصعود إلى الطابق العلوي، هذا السلم هو عبارة عن جذوع من النخيل موضوعة على طولها من الطابق السفلي إلى الأعلى على شكل انحدار ليتم بناء الدرجات على العرض بالطوب أو المادون*** ،يتراوح طول هذا السلم عادة بين 3,5م إلى 5م وبدون حام أو واق على الجانب الذي يسمى في بعض المناطق "بالدبوس"

---

*البرطوس: غرفة لحفظ المؤونة

[1]د.م عبد القادر حمزة كوشك: المنهج الإسلامي في تصميم العمارة: المنهل ص45

**الحاجب الساتر: قماش ذو سمك معين وفتحات صغيرة ثابتة أو متحركة تسمح بالرؤية من الداخل وتحجب مشاهدة ما بداخل البيت من الخارج مع السماح بدخول الضوء والهواء.

***المادون: وهو حجر يشبه الحجر المنحوت لكنه مسطح

(ينظر للوحة ص 142)، وعادة يكون جذع النخيل الذي يستعمل للسلم مقســـوم على الطول.

بعد الصعود بواسطة السلم نصل إلى الطابق العلوي أو "السكنة" وهي مكان أيـــن يأكل وينام ويستريح أفراد الأسرة ،وتنتظم هذه السكنة حول فناء وسطه مكشوف. ويسمى الفناء الموجود بالطابق العلوي عند أهل القصر بـــ "السواري "والذي منـــه تتفرع الغرف. وفي أحد أركان هذا الفناء يوجد المطبخ المهيأ بمدخنة على شكل رف Potager (ينظر للوحة 140) بارتفاع 95 سم وبعرض 1,20م ،مبنية بـــالطوب وفي بعض المساكن بالحجر المنحوت ،أما عرض الموقد الذي يوضع فيه الخشب للطـهي أو التدفئة هو 70 سم بفراغ من الأعلى لسحب الدخان إلى الخارج مبني بحجر المـــادون واسع عند صعوده من المدخنة لكنه يضيق كلما اتجه إلى الأعلى ."وعادة مـــا تبـــدو رؤوس المداخن بارزة على حواف ستر الأسطح لسحب الدخان من المطابخ"[1] ويوجد بالمطبخ المكان المخصص "للمنسج" أو كما ينطقه أهل القصر"بالمنشج" "كلاليـــب" مغروسة في الجدار ومقعد من الطوب تجلس عليه النساء أثناء عملية النســـيج، لقـــد كانت عادة مطابخ المساكن كبيرة المساحة مقارنة مع الغرف الأخرى نظرا للوظـائف المتعددة ،حيث لم تكن تستعمل للطهي فقط بل أيضا كمكان لعمل المـــرأة وغرفـــة تستقبل فيها المرأة جاراتها أثناء الزيارات العادية وأحيانا تقدم الوجبات به.

إن أفراد الأسرة في غالب الأحيان يجتمعون أثناء وجودهم بالسكنة في "الســواري" إلا أثناء الليل ووقت النوم فهم يلتحقون بغرفهم المسماة "بالبيت" ،وهنا أشير إلى أن هذه الغرف تحتوي على فتحات ضوء وهواء تطل على الفناء لأنه لا توجد في الكثير مـــن الأحيان نوافذ في الطابق العلوي تطل على الخارج ،وهو أمر ركز عليـــه المعمـــاري المسلم انطلاقا من ما تفرضه الوظيفة العقائدية ،حيث ذكر في هذا الموضــــوع عبـــد القادر كوشك بقوله "يجب الالتزام بتخطيط المدخل المنكسر للدار"[2] و هذا حـــتى لا

---

[1]- د.م عبد القادر حمزة كوشك: نفس المرجع السابق...46

[2]-د.م عبد القادر كوشك: المرجع نفسه ...ص48

يمكن مشاهدة ما بداخل البيت وخارجه وليكون للبيت حرمة، وعمل فتحات الحجرات مطلة على أفنية داخلية لنفس الغرض ولتحقيق ،الاعتزال عن الخارج ومما يحتم المسلم على عدم الإطلال للداخل، ما جاء في الحديث الشريف: "إياكم والجلوس على الطرقات، فقالوا: مالنا بد، إنما هي مجالسنا نتحدث فيها، قال: فإذا أبيتم إلاّ المجالس فأعطوا الطريق حقها، قالوا: وما حق الطريق؟ قال: غض البصر، وكف الأذى ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" ويوجد أيضا بهذه الغرف مكانا مهيأ على شكل حفر في الجدار لوضع المشكاة أو الشموع كما قد تكون هذه الحفر بعدة طوابق تسمى"بالرَّتْبَةُ" تستعمل لوضع بعض لوازم التجميل.

وهناك بعض المساكن التي تحتوي أفنيتها الموجودة في الطابق العلوي على سلم يقود إلى سطح مهيأ فوق السكنة ،وهذا السلم مبني بنفس الطريقة التي بني بها السلم الذي يقود من الطابق السفلي إلى الطابق العلوي (ينظر للشكل ص 123).

هذا السطح عادة ما يستغله أفراد العائلة للسهر أثناء الليل في فصل الصيف. يعتبر هذا وصفا لمترل نموذج لمعظم منازل القصر التي احتوت على نفس المواد البناء ،وهي مواد محلية وبنفس الطريقة في التخطيط عدا بعض النماذج الاستثنائية التي اختلفت وشذت عن قاعدة هذا النموذج حسب مكتب الدراسات التقنية لأمين مهاري — M'hari Amin[1] وهي:

1- نماذج يتضح فيها التقسيم الذي أُحدث لمسكن بعد انتقاله إلى الورثة الأبناء حيث يضطر أفراد الأسرة إلى توزيع هذه التركة هذا الذي يدفعهم إلى إحداث بعض التغييرات نتيجة التقسيم مما يجعل مساحة المساكن تظهر ضيقة.

2 – مساكن من طابق سفلي فقط: نادرا ما يوجد هذا النموذج. مبني أحيانا بالحجر وكل غرف ومكونات المترل موجودة بالطابق السفلي (ينظر للشكل ص 121) لماذا استعمل الحجر في بناء هذا النوع من المساكن؟ إن بناء هذا النموذج أولا يفرضه

[1] – M'hari Amin OPCIT ... P 104

المستوى المعيشي لبعض سكان القصر مقارنة مع الآخرين أما استعمال الحجر فلأجل السرعة في الإنجاز نظرا لحاجة الأسرة للسكن.

إن مساكن القصر متداخلة ومتشابكة بعضها ببعض خاصة تلك المساكن التي يقطنها أفراد من عائلة واحدة أو من عرش واحد ،كما أن الملاحظة الجديرة بالتسجيل تتمثل في أن مساحة المسكن في الطابق السفلي اقل من مساحته في الطابق العلوي. ما هي الضرورة في ذلك؟ يوجد ضرورتان في ذلك الأولى تكمن في ضرورة تسقيف الشارع أو الزقاق حيث أن مساحة الطابق العلوي للمسكن تمتد بعد الجدار الخارجي ببعض الأذرع لتلتقي مع مساحة الطابق العلوي للمسكن المقابل فتكونان بذلك شارع مسقف وهذا ما يفسر تشابك ووحدة أسقف المساكن، كما أن أي انكسار أو شقاق في المسكن يجعل المساكن الأخرى عرضة للانكسارات. والضرورة الثانية تكمن في سعة الدار ،حيث إن الطابق السفلي لا يستعمل إلا لحفظ المؤونة أو لتربية المواشي في حين نجد الطابق العلوي هو موضع الأكل ،النوم ولقاء الأفراد مع بعضهم البعض ،لدى حرص المصمم على الاهتمام به (ينظر للشكل ص 122)

لقد جاء في الحديث الشريف قول الرسول صلى الله عليه وسلم:"فمن سعادة ابن سعادة ابن آدم الزوجة الصالحة والمركب الصالح والمسكن الواسع" "وهذا يتطلب التوسع في البيت بحيث يستوعب مساحات لإمكانية الجلوس وتناول الطعام، مع إمكانية إعداد الطعام بصورة جماعية خاصة في المناسبات وزيارات ذوي القربى لأداء واجب صلة الرحم وترابط الأخوة الإسلامية ،والعادات الاجتماعية التي لا تتعارض مع الدين الحنيف"[1]

تقنيات البناء: إن نظام البناء وتقنياته في قصر "مغرار التحتاني" جاءت مثل ما جاءت عليه معظم قصور المنطقة ،والتي تمثل نموذجا للعمارة الإسلامية القديمة حيث جمعت بين الجدران الرافعة"Mur Porteurs" كمحيط للمسكن ،حيث تبدو واضحة على

[1] د.م عبد القادر حمزة كوشك: المرجع السابق...ص56

جوانب المسكن وبين الأعمدة المركزية التي تقوم عليها سقف المسكن في الداخل وكل من الجدران والأعمدة فهي من الطوب او من الحجر. تسمى هذه الأعمدة عند أهل القصر والمنطقة بـ "السريات". إن الجدران والأعمدة تقوم على أسس من الحجر الكبير وهي تقنية معروفة في المناطق شبه الصحراوية حيث لازال هذا النوع من الأسس يستخدم في البنايات الحديثة عند البعض الذي يستعصي عليه استعمال الحديد والإسمنت خاصة وأنه لا يطمع في بناء طابق علوي . هذه الأسس موضوعة بجزء داخل الأرض وبجزء خارجها. فأما الجزء الداخلي يتراوح عمقه ما بين 0,50م إلى 1م حسب طبيعة الأرض وحسب رغبة الساكن في إعطاء أكثر متانة وقوة للمسكن ،حيث توجد بعض المساكن المبنية على أرضية هشة سببها وجود نسبة كبيرة من الصلصال وهي ظاهرة كانت سببا من الأسباب التي أدت إلى انهيار بعض المساكن وغيابها ساهم في إطالة العمر الزمني للمسكن، أما الجزء الخارج على سطح الأرض فعلوه يتراوح ما بين 0,50م إلى 1م هو كذلك، أما سمك هذه الأسس فيتراوح ما بين 0,50م إلى 0,60م. إن عرض الأعمدة يتراوح ما بين 0,50م إلى0,80م وعلى الأسس المذكورة توضع لبنات من الطوب لتؤلف الجدران والأعمدة.

كيف يصنع الطوب؟

إن هذه اللبنات من الطوب مصنوعة من مادة محلية تتمثل في الصلصال حيث يخلط هذا الأخير بالرمل ويمزج أحيانا بالتبن الذي يعطي أكثر تماسك للحبة ،ثم يضاف الماء وبعد عملية التدليك التي تكون باليد أو الأرجل لكي تتماسك حبات الرمل والصلصال يفصل هذا الطين إلى حبات متساوية الأبعاد ،حيث تبلغ هذه الأبعاد لكل حبة 30سم طولا و 20سم عرضا و 10سم ارتفاعا ،ويترك لمدة 24 ساعة وهذا حتى يتخمر فتكون بذلك الحبة صلبة وبعدها يوضع تحت أشعة الشمس ليجف ويصبح بعد ذلك صالح للاستعمال.

إن الصلصال المستعمل في صنع قطع الطوب مصدره مكان يسميه أهل القصر بـ"التْوَارَسْ" وهو موجود بكثرة في مدينة مغرار التحتاني ونواحيها. وهذا بالنسبة

للبناء أما التلبيس وإن كان مصدره التوارس دائما كمادة أساسية للبناء فإن تهيئته وتحضيره للتلبيس يختلف عن تحضيره للبناء ،حيث لا يستعمل الرمل بشكل كبير أثناء الخلط ونجد نسبة الماء في تحضيره كبيرة ليتم خلطه لمدة زمنية أقل من تلك التي تحضر فيها حبات الطين ،كما لا يتم عرضه تحت الشمس بل يستعمل مباشرة بعد الخلط على شرط أن يكون الجدار المراد تلبيسه قد مر عليه يوم من البناء، "وهناك ملاحظة تتمثل في أن التلبيس لا يكون بعد الإنهاء من إتمام المسكن كما يحدث في البنايات الحديثة بل كل جزء يبنى سواء كان جداراً أو عموداً أو سقفا يلبس قبل الانتقال إلى بناء جزء آخر"[1]

تقنية بناء الأسقف:

بعد الانتهاء من بناء الجدران الرافعة والأعمدة ينتقل البناء إلى تسقيف المسكن. كيف يكون ذلك؟ إن واحة مغرار التحتاني أكبر واحة في منطقة القصور حيث تحتوي على14000 نخلة كما أشار إلى ذلك نوال"Noël"[2] في حديثه عن تاريخ "مغرار" ومعنى هذا أن جذوع النخيل كمادة محلية ساهمت بشكل كبير في بناء القصر حيث بعد قطع النخلة التي أصبحت عاجزة على أن تثمر تعرض على أشعة الشمس لتجف وكلما جفت أكثر كلما كانت أكثر صلابة، توضع هذه الجذوع على شكل عارضات ويكون طرف من العارضة على الجدار والطرف الآخر على العمود ،وقد يكون طرفي الجدع على عمودين على شرط ألا يتجاوز طول العارضة 2,50م فغالبية أسقف المساكن تحتوي على عارضات يتراوح طولها ما بين 2م إلى 2,50م وهذا لكي لا تكون ذات مقاومة ضعيفة وتتأثر بثقل أفراد العائلة وأثاثهم."إن المسافة الموجودة بين العارضة والأخرى يبلغ 20سم إلى 25سم أحيانا ويملئ هذا الفراغ بينهما ورق القرناف الذي يبلغ طوله من 35 سم إلى 40سم"[3]. (ينظر للشكل ص 123) شكل ورقة "القرناف"شكل مثلثي" وتوضع على العارضات بالتناظر ،بمعنى تكون

[1] -M' hari Amin: OP CIT ...page101
[2] -Noèl :OP CIT ......page
[3] -M hari Amin : IBID ... page101

مقدمة الواحدة في عارضة ومؤخرها في العارضة المقابلة على أن يكون وضع الورقة الثانية بالعكس ويعطي هذا الوضع للقرناف على العارضات شكلا هندسيا جميلا. إن معظم أسقف المساكن من القرناف لكن قد نجد أحيانا بعض الأغصان الصغيرة غير الخشنة من أشجار أخرى توضع بدلا من القرناف ليعطي بذلك أشكالا هندسية مخالفة وفي مساكن أخرى نجد جريد النخيل هي التي توضع ما بين العارضات.

بعد الانتهاء من وضع هذه العارضات تغطى هذه الأخيرة بطبقة من طين التوارس بسمك يتراوح ما بين 10سم إلى 15 سم ويحضر هذا الطين بنفس الكيفية التي يحضر بها أثناء صناعة اللبنات وبنفس المقاييس فقط الاختلاف في نسبة الماء حيث تكون أكثر نسبيا أثناء التسقيف دون أن يترك هذا الطين ليجف على الأرض بل يجب أن يجف وهو على الجذوع والقرناف ،ثم بعد ذلك يتم زيادة طبقة أخرى من الطين لجعل السطح أملس ،هذا إذا تعلق الأمر بتسقيف الطابق الأول أما إذا تعلق الأمر بتسقيف الطابق الثاني فيتم زيادة هذه الطبقة من الطين لكن بوضع بجعل من السطح على شكل منحدر مهيأ مائل حتى لا تتجمع مياه الأمطار عليه ولكي يكون اتجاهها نحو الفناء أو الشارع.

إن الصلصال هو المادة الأكثر انتشارا في عملية البناء والأكثر تفضيلا عن غيرها لكن إضافة إلى هذه المادة يوجد الحجر المسطح أو المادون الذي يستعمله أهل القصر للبناء في بعض العناصر المعمارية كدرجات السلالم أو المشكاة وبناء"الساكف"* الذي يسمى أيضا "بالمنار" ،وهذا الحجر موجود بكثرة في المنطقة. كل هذه المواد المستعملة في البناء خاصة بناء المساكن هي مواد تلعب دورا كبيرا في العزل الحراري والعزل الصوتي، وهي مقاييس علمية تراعي في عملية البناء حديثا، فرغم بساطة مساكن القصر ورغم خلوها من الزخرفة التي تضفي جمالا على العمارة إلاّ أنها احتوت المقاييس المذكورة سابقا التي ذكر بشأنها كوشك من أجل أن يكون البيت سكنا "فإنه يلزم حماية الساكنين من الضوضاء والرياح الشديدة والأمطار والحر والبرد

---

*الساكف أو المنار: وهو الخشبة التي تفصل الباب عن بقية الجدار

بأن تكون الحوائط (الجدران) والأسقف ذات عزل حراري جيد ،كما يلزم تـــــأمين التهوية والإضاءة والحرارة والرطوبة المناسبة للإنسان بقدر الإمكان" [1]

[1]عبد القادر حمزة: كوشك نفس المرجع السابق ص 44

2الأحياءو الشوارع

إن التكامل الوظيفي لأعضاء الكائن الحي غايته الحفاظ على توازن هذا الكائن .وإن انطلقت من هذه الفكرة إلا لأن المدينة تشبه في عناصرها ومرافقها الكائن الحي، فوظائف الأجزاء المعمارية المكونة للقصر تمكنني من إدراك ذلك التوازن المقصود، فقصر مغرار التحتاني جهاز مترابط الأعضاء ووظائفه متكاملة، فالعناصر الأساسية هي المسجد وهو كما قال محمد عبد الستار عثمان "بمثابة قلبها تتوحد من خلاله الأعضاء والعنصر الثاني هو الأحياء أو الخطط، وهي بمثابة جسدها والعنصر الثالث هو الشوارع أو المسالك والأزقة والدروب* وهي بمثابة شريان لا تكون الحركة إلا به وتقوم بإيصال الأعضاء بعضها ببعض"[1]. ولست في هذا الفصل لأتحدث عن قلب المدينة المتمثل في المسجد لأنه سبق دراسته في الفصل السابق بل لأقف بالوصف والتحليل على أحياء وشوارع وساحات القصر.

الأحياء: وتسمى بالخطط أيضا، والحي أو الخطة وحدة سكنية يقطنها أناس ينحدرون في غالب الأحيان من قبيلة واحدة أو من عرق واحد، وبدون الحي لا تكون المدينة "أو هي الشكل الذي تبدو عليه المدينة من خلال انتظام شوارع[2].

قصر مغرار التحتاني ينقسم إلى أربعة أحياء ،وكل حي يسكنه عرش واحد من الأعراش الأربعة المكونة للقصر (ينظر للشكل ص 124). يتصل كل حي من الأحياء الأربعة بمركز القصر بمجموعة من الدروب أو الزقاق المسقفة منها وغير المسقفة لتنتهي عند الشارع الرئيسي الذي يقود إلى وسط القصر أو إلى حي آخر.

في البداية يوجد سكان القصر ممثلين في عرش بوبشر وعرش علي، وكل عرش يتفرع إلى عرشين آخرين، فأما عرش أولاد بوبشر ينحدر منه عرش أزوقاغ وعرش

---

[1] محمد عبد الستار عثمان: نفس المرجع السابق . . . ص 234

* الدرب : و هو الشارع الذي لا مخراج له أي مسدود. عن د. ابراهيم بن يوسف نفس المرجع السابق ص 84

2 أحمد ابراهيم حسن : مدينة الكويت : مجلة المنهل العدد 454 المجلد 48 ماي / جوان 1987 ص 227

السحانين أو أولاد سحنون، وأما عرش أولاد علي فينحدر منه عرش أولاد شـــريف وعرش أولاد جبور أو كما يسمونه أحيانا بعرش الجبابرة.

إن لكل عرش من الأعراش الأربعة المذكورة يتفرع إلى عائلات حيث يتفرع عـــرش أزوقاغ إلى عائلة أولاد بلقاسم، أولاد بلنوار، أولاد عزوز، أولاد ملوك، أولاد بـــدو، ويتفرع عرش السحانين إلى أولاد أحمد بن زيان، أولاد الخثير، أولاد خــــالد، أولاد حمي، وعائلة حمادي.

أما عرش أولاد شريف فيتفرع إلى عائلة أولاد بن سالم، أولاد يحـــي، أولاد عرجـــة حمو، أولاد المسطفة، أولاد عسوق، أولاد بوحفص. ويتفرع أولاد جبور إلى عائلـــة أولاد شيبوط، أولاد ناير، أولاد الدايم، أولاد حدو، أولاد دحو، أولاد بن حاجة.

وكل عائلة من العائلات تتفرع إلى مجموعة أسر ولتفصيل ذلك (ينظر للملحـــق ص 145 والملحق ص 146) . فيما يخص توزيع الأعراش الرئيسية على منـــاطق القصـــر فيقطن عرش أولاد سحنون بجنوب القصر وأزوقاغ بوسطه وبجنوبه الشرقي ويقطـــن عرش أولاد شريف بالشمال الغربي للقصر مع وجود مسكن واحد تابع للعرش لكنـــه يتوسط حي أولاد أزوقاغ ،أما العرش الأخير وهو عرش الجبـــابرة أو أولاد جبـــور فيسكن الجهة الغربية للقصر (من الشمال إلى الجنوب).

يلاحظ أن كل حي كوحدة عمرانية تتماسك مع أجزاء من الوحـــدات العمرانيـــة الأخرى أي مع الأحياء الأخرى وتتلاصق معها وهذا ما يجعل بعض دروب وأزقـــة القصر مسقفة ،وفي هذا الشأن يقول الرسول صلى الله عليه وسلم "لا ضرار للرجـــل أن يضع خشبة في حائط جاره وإذا اختلفتم فاجعلوها أذرعا" وهناك حكمة من هـــذا التلاحم تتمثل في مبدأ التعاون والتكافل الذي حرص الإسلام على تأكيده.

إن قصر مغرار التحتاني مثله مثل "باقي المدن الإسلامية القديمة لم تشـــكله حاجـــات بيولوجية أو اقتصادية فقط بل شكله الإيمان بالدين الواحد الذي يدعو إلى التكـــافل

والتضامن ويشعر الأفراد بالانتماء إلى أصل واحد"[1] مما جعل النظام داخل القصر لا يتناقص مع طموح الأغلبية.

الشوارع: وتسمى أيضا بالمسالك أو الطرق، وهي عنصر هام من عناصر تشكيل القصر فهي "بمثابة شريان المدينة يوصل بين قلبها وبقية أطراف جسدها فينظم بذلك حركتها"[2]. يخترق القصر شارعان رئيسيات هما:

1- شارع بابات علي الذي يتجه من الشمال الغربي نحو الشمال الشرقي في اتجاه نقب، أولاد شريف (ينظر للشكل ص 125).

2- شارع الشرافة ويتجه بداية من الجنوب الغربي نحو الشمال في اتجاه نقب ، اولاد شيبوط (ينظر للوحة ص 125).

ويلاحظ أن الشارعين الرئيسيين لقصر مغرار التحتاني يختلفان عن الشوارع الرئيسية للقصور المجاورة ،وعن المدينة الإسلامية القديمة في شوارعها أيضا ،التي عادة ما تكون بدايتها مدخلا ونهايتها مدخلا آخر حفاظا على مبدأ التناظر للمداخل ،لكن الشارع الرئيسي لقصر مغرار التحتاني بدايته مدخل أما نهايته فهو نقب.

يلتقي الشارعان الرئيسيان عند رحبة مكرورب*، يتفرع عن الشارع الرئيسي المسمى بالشرافة شارعين ثانويين الأول على اليسار والثاني على اليمين ،فأما الشارع الموجود على اليسار فهو يؤدي إلى حي أولاد علي كما يسمى درب أولاد علي بالناحية الغربية أين يوجد بعض مساكن اولاد دحو وأولاد الدايم. ويوجد بهذه الجهة أيضا دار الشيخ بوعمامة التي تخضع حاليا لإعادة بناء من جديد وبتصميم مخالف لتصميمها القديم. أما الشارع الواقع على اليمين فهو يفضي إلى درب النسحانين

---

[1]- George Marçais: OPCIT. Page 517.

[2]- ابراهيم بن يوسف: إشكالية العمران والمشروع الإسلامي. مطبعة أبو داود. 1992. ص83.

* رحبة مكرورب: وهو مصطلح أمازيغي يقصد به المنحدر وسميت بذلك لأن هناك انحدارا من الساحة باتجاه مدخل بابات علي.

متصلا بشارع باب أقراو* الذي يؤدي بدوره "إلى درب مسدود مغطى آخره مسكن يؤدي إلى نقب السحانين. يتفرع أيضا عن شارع الشرافة في اتجاه رحبة مكرورب دروب وعددها أربعة: الأول على اليمين ويقود إلى مسكنين فقط من درب أزوقاغ، والثاني ينحرف إلى اليسار ويقود إلى 3مساكن ،اثنين لأولاد دحو واحد على اليمين والآخر على اليسار ،أما نهاية هذا الدرب فهو مسكن لأولاد الدايم. الدرب الثالث يبدأ من ساحة مكرورب التي يتقاطع فيها الشارع الرئيسي للشرافة بالشارع الرئيسي لبابات علي ويتجه إلى اليسار إلى مدخل بابات علي، أما الدرب الرابع فهو على اليمين ويتجه إلى درب أولاد شريف.

ويلاحظ أن الشارع الرئيسي المسمى بالشرافة جاء مغطى بداية من درب أولاد أزوقاغ إلى غاية رحبة مكرورب ،ويمكن الإشارة إلى نقطة الاختلاف الموجودة بين هذا الشارع وشارع بابات علي تتمثل في كون هذا الأخير جاء مكشوفا وبعض دروبه مغطاة ،أما شارع الشرافة جاء مغطى ودروبه مكشوفة، يتفرع عن الشارع المؤدي من باب الشرافة والمار عبر درب السحانين شارع ضيق يفضي إلى البحيرة**[1] وينحرف يمينا إلى غاية نقب تمسلوت، وبعد ذلك يسارا ثم يمينا إلى المخرج الثاني لنقب تمسلوت***.

ويلاحظ على شوارع قصر مغرار التحتاني أنها ليست متصلة بعضها ببعض عكس شوارع قصر الشلالة، تيوت، بوسمغون. وفي حالة انعدام الشارع الرئيسي الثاني يستحيل لباب الشرافة أن تلتقي الشوارع، ولا يمكن الانتقال من حي لآخر. ويفسر ذلك كون التركيبة البشرية للقصر لا تنحدر من أصل واحد، فكل حي له درب أو دروب خاصة به تبدأ من الشارع الرئيسي.

يبدو(من خلال الشكل ص 125) أن شوارع قصر مغرار التحتاني قصيرة من حيث الطول وجاءت كلها مسدودة بما في ذلك الشوارع الثانوية والدروب ،ويبلغ عدد

---

*باب أقروا: وهو مصطلح أمازيغي والمقصود به الباب الذي يفضي الى الساحة أو فضاء مبني غير مسقف

**البحيرة: مصطلح متداول بالجنوب وبمناطق القصور ويقصد به البستان أو الحقل الصغير

***تمسلوت كلمة أمازيغية يقصد بها المسلك الضيق.

شوارع القصر 25 منها اثنان رئيسية واثنان ثانوية أما الباقي فكله دروب، 10 منها مغطاة والباقي مكشوف. ومن بين الملاحظات التي سجلتها أيضا فإن شوارع القصر جاءت على شكل حرف T و Z باللغة الفرنسية والسبب في اعتقادي هو أن هذا التخطيط له وظيفة دفاعية ،حيث ما إذا تمكن العدو من الدخول للقصر فهو يسهل عليه أن يكتشف بسرعة آفاق الشارع ونهايته إن كان ممتدا طولا لكنه من الصعب أن يعرف ما تخبئه الدروب وهي بالتخطيط المذكور.

وربما قد يكون مثل هذا التخطيط من الأسباب التي دفعت بالشيخ بوعمامة لاتخاذ القصر قلعة له. كما أن هذا التخطيط يفسره العامل المناخي المتمثل في التلطيف من الحرارة خاصة في فصل الصيف والحد من دورة الرياح المحملة بالرمال أثناء العواصف.

إن الدروب المتفرعة على الشارع الرئيسي خاصة شارع الشرافة جاءت عمودية على الشارع الرئيسي. هذه الشوارع الرئيسية والثانوية للقصر عقارها ملكية عامة "فالحق للجميع في استعمالها كما أن واجبهم نحوها يتمثل في صيانتها"[1] فكثيرا ما كان أهل مغرار التحتاني يخصصون بعضا من وقتهم خاصة أيام الجمعة لترميم ما قد تأثر بالمناخ أو بكثرة المارة وتسمى هذه العملية بالتويزة*، أما الدروب التي تقود إلى الأحياء فعقارها ملكية جماعية أي خاصة بجماعة أهل الحي أو القبيلة، ولا يستعمل ساكن حي درب حي آخر إلا للضرورة وذلك تفاديا للاختلاط فكما هو معروف في مثل هذه القصور قد تنتقل المرأة من مسكنها إلى مسكن جارتها دون ارتداء اللحاف المستعمل كلباس لخروج المرأة ،ويكون غالبا ذلك وقت وجود الرجال في حقولهم أثناء العمل.

إن عرض هذه الشوارع يتراوح ما بين 2,5م إلى 3م والارتفاع أيضا بنفس القياس. وإن كان ما لحق بالقصر من غزو للرمال نتيجة العواصف جعل من الارتفاع يتقلص إلى 2م ،مما يضطر الداخل للقصر للانحناء في بعض شوارعه أثناء السير. أما طريقة

---

[1]- د.ابراهيم بن يوسف:نفس المرجع السابق. ص84.

* التويزة: وهو مصطلح متداول في المنطقة ويقصد به تعاون الجماعة على إنجاز عمل قد يكون بناء أو حرثا أو حصادا دون أجر يدفع.

تسقيف هذه الشوارع فقد كان بنفس الطريقة التي سقفت بها المساكن أي جـــذوع النخيل ويتوسطها القرناف ثم طبقة الطين من الفوق، وهنا تجدر الإشارة إلى ملاحظـة تتعلق بأصل هذا السقف ،الذي هو في حقيقة الأمر يجمع المساكن التي تتكون مـــن طوابق علوية ،حيث أن الطابق العلوي للمسكن كما ســـبق توضيحـــه في عنصـــر المساكن أكثر مساحة من الطبق السفلي ،ويلتقي هذا الطابق بطابق علوي لمســـكن آخر مكونين بذلك شارع مسقف.

وفي نقطة الارتفاع يمكن أن أقف عند ملاحظة مفادها أن الفقه قد أكد في بناء المدينة الإسلامية "على أن يكون الارتفاع بالنسبة للشوارع المسقفة لا يترل على قامة راكب فوق جمل وهو ما أمر به عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الكوفة والبصرة"[1].

ولكن هذا المقياس لم يحترم في بناء قصر مغرار التحتاني وتخطيـــط بعـــض شـــوارعه ودروبه وأزقته ،ويمكن تفسير ذلك بصغر القصر مقارنة مع المدن الإسلامية القديمـــة الكبيرة فهو لا يضاهي هذه المدن كالبصرة والكوفة في شساعتها وكبر شوارعها مـــن طول وعرض وارتفاع ثم هذا دليل على "أن الجمال لم تكن وسيلة نقل وتنقل داخـــل القصر ،فقد استعملت للعمل خارج القصر ونقل البضائع في إطار التجارة الخارجيـــة أما داخل القصر فقد استعمل الحمير كوسيلة نقل"[2].

إن الدروب والأزقة فيلاحظ (من خلال الشكل ص 125) أنها مســـدودة (غـــير نافذة) لا مخرج لها غير النقب أحيانا وهي لا تتجاوز في عرضها 1,80م أما فيما يخص الارتفاع فهي بنفس قياس ارتفاع الشوارع، وملكيتها كما سبق الإشارة إليه فـــهي جماعية أي خاصة بالجماعة أو العرش الذي يقطن الحي وهؤلاء أحـــرار في تنظيمـــها وصيانتها.

إن هذا الضيق الذي تتميز به شوارع ودروب قصر مغرار التحتاني له ما يبرره مـــن الناحية الوظيفية حيث يقول إسمهان صوفي في هذا الشأن "عندمـــا يجتـــاز الإنســـان

---

[1]- د.ابراهيم بن يوسف:نفس المرجع السابق. ص85.

[2]- Noêl: OPCIT. Page 67.

المعاصر الشارع العريض ليصل إلى مسكنه الذي لا يتعدى 80م[2] يشعر بضيق في النفس لعالمه الصغير بينما لو سار الإنسان في المدينة القديمة وشوارعها الضيقة ليصل إلى مسكنه الرحب الواسع فكأنه يملك العالم بأسره"[1] هذا ما يؤكد أن المعمار المسلم الذي خطط للمدينة الإسلامية القديمة لم يهمل الجوانب النفسية أثناء عملية التخطيط للمدينة وهذا ما يؤكده أيضا جورج مارسي Georges Marçais[2] حيث يرى أن معظم المدن الإسلامية القديمة جاءت ضيقة في شوارعها إلا أن هذا الضيق كان غائيا حيث أن أكبر وقت يقضيه الإنسان بين أهله وأبنائه لذا كان الاهتمام بالمسكن وما داخله أكثر من الاهتمام بالخارج.

[1]– إسمهان صوفي: الحي السكني في المدينة العربية المعاصرة. إصدار معهد إنماء المدن. الرياض. 1401هـ. ص ص79–80.

[2] Georges Marçais : OPCIT … P 518

3الأسواق

لقد عاش الإنسان قديما بمعزل عن الجماعة ولما كان من الصعب عليه أن يحافظ على بقائه بهذا الشكل ويضمن استمرار النوع البشري نظرا لعدم استطاعته تلبية جميع حاجاته اهتدى إلى ضرورة التجمع فكانت الأسرة، القبيلة، العشيرة ثم المدينة ومنه ولد النشاط التجاري بميلاد هذه العلاقات الاجتماعية فالسوق* إذن ضرورة حتمية حيث ذكر ابن قدامة في الموضوع قائلا: "هذا يبذر لهذا قمحا يتقوته وهذا يعمل لهذا ثوبا يلبسه وهذا يصنع لهذا بيتا يسكنه ويستره وهذا ينجز لهذا بابا يغلقه على بيته وهذا يخرز لهذا خفا يمنع به الآفات عن رجله وغير ذلك مما لا يكاد العدد يدركه من فنون الصناعات وضروب الحاجات لأنه لم يكن في استطاعة إنسان واحد أن يكون فلاحا، نساجا، بناء، نجارا، إسكافا"[1].

أما فيما يخص تخطيط الأسواق ومواقعها فإن المقاييس المحددة لذلك لم تكن موجودة قبل ظهور الإسلام في أسواق شبه الجزيرة العربية كأسواق بني قينقاع والنبيط إلى غير ذلك من الأسواق التي عرفتها المدن العربية ،وبعد مجيء الإسلام كان الرسول صلى الله عليه وسلم أول من قام باختيار وتحديد موقع السوق في المدينة المنورة حين ذكر الهذلولي في هذا الموضوع بأن "الرسول صلى الله عليه وسلم قد قام باختيار بقيع الزبير المجاور للمسجد كموقع للسوق ثم اعترض لعب بن الأشرف ونقله الرسول صلى الله عليه وسلم إلى موقع آخر يعرف اليوم في المدينة المنورة بالمناخة وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم عن تحديده لموقع السوق قوله "هذا سوقكم لا تتحجروا ولا يضرب عليه الخراج"[2]. أما الإشكال الذي لابد من طرحه هو: هل وجدت الأسواق بقصر مغرار التحتاني ؟ أين هو موقعها من القصر ؟ هل هي داخل القصر أم خارجه؟ هل هذه الأسواق من النوع المغطى أم من النوع المكشوف؟ ماهو التخطيط الذي يقوم عليه هذا السوق ؟.

---

* السوق: جمع أسواق. موقع البضائع والأمتعة (يؤنث ويذكر) سميت بذلك لأن التجارة تجلب إليها وتساق المبيعات نحوها. عن المنجد

[1]- جعفر ابن قدامة: الخراج وصناعة الكتابة. شرح وتعليق محمد حسن الزبيدي. دار الرشيد للنشر 1981. ص432-433.

[2]- صالح بن علي الهذلولي: المجتمع والعمران. المنهل العدد599. المجلد56. أكتوبر نوفمبر 1994. ص73.

لما كانت السوق ضرورة حتمية نتيجة التجمع كان لزاما على أهـــل قصـــر مغـــرار التحتاني ممارسة التجارة التي ارتبطت أساسا بالمنتوجات الزراعية، فكما يرى علمـــاء الاجتماع من شروط البناء الاستقرار ومن شروط الاســـتقرار الارتبـــاط بـــالأرض وزراعتها لذا فقد كان سوق قصر مغرار التحتاني في بداية الأمر على حوافي الواحـــة والوادي وتعلقت تجارتهم بمقايضة منتجاتهم الزراعية بسلع القوافل التجارية للبدو. لقد اختص سكان القصر بالزراعة مثلهم مثل سكان بقية القصور المجاورة وإن كان تفـوق أهل القصر واضحا في زراعة النخيل خاصة. وفي هذا الشأن يقـــول ابـــن خلـــدون "الزراعة أقدم الصنائع لما أنها محصلة للقوت المكمل لحياة الإنسان غالبـــا، إذ يمكـــن وجوده من دون جميع الأشياء إلا من دون القوت ولهذا اختصت هذه الصناعة بـالبدو المستقرين، فكانت هذه الصناعة لذلك بدوية لا يقوم عليها الحضر ولا يعرفونها"[1].

لقد قايض سكان القصر المحاصيل الزراعية من تمور أغراس والحبوب والخضر والفواكه وذكر نوال Noël في الموضوع أن "قبيلة حميان باختلاف أعراشها كانت من بـــين أهم المتعاملين التجاريين لقصر مغرار التحتاني حيث جعلت قبيلة حميان منطقة مغـــرار التحتاني منطقة عبور فاتخذت من الصحراء مكانا لها في فصل الشتاء ومنطقة الشـــمال مقرا لها في فصل الصيف، وكانت أهم السلع تتمثل في الصوف، الدهان و الكليلة*"[2]

إن العلاقة التجارية القوية التي ربطت حميان بقصر مغرار التحتاني دفعت بالقبيلة بعـــد استئذان شيوخ القصر بحفر مطامير لوضع سلعهم أثناء العبور وهي من بين الأســـباب التي جعلت من حميان حمية مدافعين على القصر من اعتداء الغزاة، ومما يؤكد وجـــود الأسواق على حوافي الحقول والواد رأي " أندري برنيان "ولقد كان القصوريـــون يتعهدون بمهمة السواقي الموزعة انطلاقا من الأودية ويفلحون قطع الأرض البدويـــة

---

[1] – ابن خلدون: نفس المصدر السابق. ص724.

* الكليلة: وهو مصطلح متداول في منطقة الجنوب الغربي والقصد به هو الجبن المجفف تماما حين يبقى لشهور غير متعرض للفساد.

[2] Noël : OPCIT. Page 73

فيغرسونها أشجارا مثمرة مختلفة ونخيلا في جنوب الأطلس...وكان لهم سوقا حيث يقع تبادل تجاري بينهم وبين تجار القوافل..." [1].

إضافة للنشاط الزراعي فقد عرف سكان مغرار التحتاني بتربية الحيوانات والصيد حين ذكر غنار Guenard في هذا الموضوع أنه زيادة على تربية الأنعام والإبل فقد وجد بمغرار التحتاني قبل سنوات من الآن أي قبل 1881 حيوان النعام بشكل كبير وبمقدار امتلاك البدو لعدد الأغنام كان يمتلك أهل مغرار عدد النعام..." [2]

ويضيف أن كل ساكن كان يملك ما بين 10 إلى 40 نعامة وكانت تباع ما بين 50 فرنك قديم إلى 250 فرنك أحيانا.

إن التعامل التجاري لسكان القصر لم يقتصر على قبيلة حميان فقط بل كان مع سكان القصور المجاورة وحتى مع مناطق بالشمال الجزائري يذكر غنار Guenard "أن تجار مدينة تلمسان ووهران كانوا يأتون لقصر مغرار التحتاني لأجل شراء الرمادة* والفوشال**" [3]. وكان لحم هذا الحيوان من بين القوت اليومي لهم أما شحومها فقد استعملها السكان لصنع زيت يسمونه بالزحام وهذا لأجل المداواة، كما اهتم سكان القصر بتربية النحل وإنتاج العسل المعروفة به مدينة مغرار حتى في الوقت الحالي ويمتاز بجودته وفعاليته في معالجة بعض الأمراض، وتعتبر مغرار المدينة الوحيدة في المنطقة التي ينتج سكانها العسل.

لقد كان موقع السوق من القصر بالخارج وهذا لأجل التبادل، لكن وجد في المقابل سوق صغير داخل القصر وهو خاص بالسكان فقط يقع بوسط القصر في ساحة مكرورب التي كانت تتوسط القصر (ينظر للمخطط ص 124) قبل توسعه على الجهة الجنوبية والشرقية وهي نفسها الساحة التي وجد بها المسجد العتيق الأول للقصر

---

[1] أندزي برنيان: نفس المرجع السابق ص 882.

[2]- Guenrd :opcit… P76.

[3]- Guenrd : Ibid… P78.

* الرمادة: وهي أنثى النعام وكانت تبيض من 2 إلى 3 بيضات.

** الفوشال: صفار النعام.

وهذا ما يؤكد أن سوق مغرار التحتاني لم تشد في موقعها عن أسواق المدن الإسلامية في المغرب العربي التي كانت عادة تتوسط المدينة وبالقرب من المسجد وهذا لأنه أمام المسجد يلتقي عدد كبير من السكان لأداء الصلاة ومنه تكون فرصة التجارة أوسع حيث يقول الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الشأن "الرزق في زحام الخلق" وذكر البكري في الموضوع أنه "كان في القيروان سوق مجاور للمسجد من جهة القبلة وكان له سقف حوى جميع الحوانيت والحرف"[1] ويذكر أيضا محمد عبد الله الحماد في وصفه لقرطبة "قامت غالبية الأسواق حول جامع قرطبة"[2] هذه السوق نصل إليها بعد الدخول من مدخل بابات علي والمرور بالساحة المسماة بساحة بابات علي أيضا. وقد لعبت هذه السوق دورا كبيرا في الحياة التجارية للقصر نظرا لموقعها فهي تجمع بين درب أولاد جبور ودرب أولاد دحو ودرب أولاد شريف .

ما نوع هذه السوق ؟ هل هي مغطاة أم سوق مكشوفة ؟ لقد كانت هذه السوق مغطاة في جزء ومكشوفة في جزء آخر، أما المغطاة فهي عبارة عن 3دكاكين موجودة على يسار الساحة والمكشوف هو ما تبقى من الساحة التي تظهر بتخطيط مستطيل (ينظر للشكل ص 124) . إذن سوق مغرار التحتاني (الأولى) جمعت بين المغطى والمكشوف وإذا كانت الأسواق بالمدن الإسلامية قديما مكشوفة ،حيث ذكر إبراهيم بن يوسف في الموضوع: "أن السوق التي استحدثها الرسول صلى الله عليه وسلم كان ذا طبيعة اقتصادية في شكل فضاء غير مبني"[3]. ونفس الشيء راح إليه الهذلولي بقوله: "كانت الأسواق في بدايتها الأولى في مدن الأمصار تترك مكشوفة دون ما بناء وروي أن أول بناء للأسواق في المدينة الكوفة كان في عهد هشام بن عبد الملك 105هـ/724م-125هـ/743م"[4]. بنيت الدكاكين الموجودة بالساحة على جدران

---

[1]- البكري أبو عبيد: المغرب في ذكر بلاد إفريقا والمغرب باريس 1911. ص25.

[2]- محمد عبد الله الحماد: الخصائص العمرانية والإدارية لمدن الأندلس الإسلامية.

[3]- د.ابراهيم بن يوسف: نفس المرجع السابق. ص90.

[4]- صالح بن علي الهذلولي: نفس المرجع السابق. ص74.

أحد مساكن درب أولاد شيبوط الموجود بالجهة الشرقية وقد فتحت أبوابها على غرب القصر مقابلة لحي الشرافة الدخلانية وللمسجد العتيق الأول.

تخطيط هذه الدكاكين مستطيل حيث نجد أحد هذه الدكاكين بطول وعرض أما الارتفاع هو نفسه ارتفاع الطابق السفلي للمساكن بحوالي 3 م ، مبني من الطين مثله مثل المساكن وهي تقنية وضع الأسقف فهي نفسها التقنية المستعملة في أسقف المساكن حيث تقوم على جدران رافعة بواسطة جذوع نخيل يفصل بين هذه الجذوع القرناف أو جريد النخيل وبعدها طبقة من الطين، باب الدكان هو من النخيل دائما.

لماذا جاءت هذه الدكاكين بالتخطيط المستطيل ؟ جاءت بهذا الشكل من التخطيط نظرا لطول جذع النخيل الذي لا يتجاوز 025 , م حتى يكون قادرا على حمل السقف.

سؤال آخر يطرح نفسه: لماذا عرف قصر مغرار التحتاني بهذه السوق الصغيرة ؟، لقد سبق القول أن القصر شهد توسعا من الناحية الشرقية والجنوبية حيث أن السوق كانت تتوسط القصر ،مما يعني أن عدد السكان كان قليلا و لم يكن هذا القصر مثله مثل القصور المجاورة ليعرف سوقا كبيرة تحتوي أنواعا كثيرة من التجارة والحرف خاصة وأن هذه الأنواع كانت تتم في الخارج.

لقد قامت تجارة القصر على الضروريات كما يرى نوال Noêl[1] وذكر ابن خلدون في هذا السياق "أن العمران البدوي أو القليل فلا يحتاج من الصنائع إلا البسيط خاصة المستعمل في الضروريات من نجار أو حداد أو خياط أو حائك أو جزار وإذا وجدت هذه بعد فلا توجد كاملة ولا مستجادة وإنما يوجد منها بمقدار الضرورة إذ هي كلها وسائل إلى غيرها وليست مقصودة لذاتها"[2].

ألم تشهد هذه السوق توسعا موازاة بتوسع القصر ؟ لقد كان من الضروري أن يزداد عدد الدكاكين حتى يتمكن السكان من تلبية حاجاتهم اليومية فاستحدثت سوقا

---

[1]- Noël: OPCIT... Page 75

[2]- ابن خلدون: نفس المصدر السابق. ص ص714-716.

أخرى لكن هذه المرة خارج القصر نظرا لعدم سعة الساحة الوسطى لاحتواء دكاكين أخرى وهذه السوق حديثة في بنائها مقارنة مع السوق الأولى و لم يشر نوالNoêl ولا غنار Guenard لهذه السوق في دراستهم لقصر مغرار التحتاني.

تقع هذه السوق بالجنوب الغربي للقصر برحبة أكثر مساحة من الرحبة الأولى ،وهـــي بموقعها مقابلة للمدخل الجنوبي المسمى بمدخل الداير ،تخطيطها إلى حد ما غير منتظـم (ينظر للشكل ص 124) . ولقد سجلت ملاحظة تتمثل في أن هذه السوق تشـــبه أسواق قصر الشلالة الظهرانية وقصر بوسمغون وهذا من خلال زيارتي الميدانية لهذيـــن القصرين، فكلاهما يحتوي سوقا خارج القصر برحبة مقابلة لأحد المداخـــل، وهـــي سوق مغطاة بـــ 7دكاكين في فضاء مكشوف ويرجع أهل الاختصاص ومن بينـــهم الهذلولي تاريخ السوق المغطاة في المغرب العربي إلى وقت بعيـــد حيـــث يذكـــر أن "للقيروان التي أسست في زمن معاوية بن أبي سفيان سنة 50هـــ/670م سوق مسقوفة بنهاية القرن الأول أي بداية القرن الثامن"[1].

ويشير في نفس الموضوع إبراهيم بن يوسف "أن كثيرا من الأسواق في المدن الإسلامية تكون في وسط القصر، وفي خارجه حيث أن السوق الداخلية عادة ما تكون للسكان والخارجية ترتبط بالمتبادلات التجارية ،كما أن السوق الخارجية هي التي تحتوي على رحبات واسعة أين يمكن أن تتجمع الإبل محملة بالسلع"[2] إلا أن رحبة سوق مغـــرار ليست بالشكل الذي أشار إليه إبراهيم بن يوسف فهي لا تتسع لإبل كثيرة ،مما يؤكد أن التبادل التجاري كان دائما خارج القصر على حافة البساتين .

تخطيط الدكاكين مستطيل كسابقاتها لكن الاختلاف تمثل في المواد المستعملة للبنـــاء حيث بنيت بالحجارة المنحوتة وقامت على أعمدة من الإسمنت .أسقفها إسمنت مسلح في بعض الدكاكين وأخرى بلوائح حديدية، لم تأت على خط واحـــد كدكـــاكين

---

[1]- صالح بن علي الهذلولي: نفس المرجع السابق...ص74.

[2]- إبراهيم بن يوسف: نفس المرجع السابق... ص91.

السوق الأولى بل جاءت متناظرة 5 فتحت أبوابها مقابلة للمدخل و2 بنيت على سور القصر بأبواب مفتوحة على الدكاكين الأخرى.

هل كانت التجارة في القصر ترتكز على الزراعة وتربية الحيوانات وإنتاج العسل ؟ ألم توجد حرف أخرى عرف بها سوق القصر وأهله ؟.

لقد قامت تجارة القصر أيضا على بعض الحرف أهمها حرفة النسيج أو ما يسمى بالحياكة، وهذه الصناعة غالبا ما تكون بالمناطق البدوية البعيدة عن حضارة المدينة وإذا كان ابن خلدون قد رد هذه الحرفة والتجارة بها إلى المغرب العربي ككل حيث ذكر أن " الصنائع بالمغرب قليلة وغير مستحكمة إلا ما كان من صناعة الصوف في نسجه ،والجلد في خرزه ودبغه ،فإنهم لما استحضروا بلغوا فيها المبالغ لعموم البلوى بها وكون هذين أغلب السلع في قطرهم لما لهم عليه من حال البداوة"[1]. وقد اعتمدوا في في حرفة النسيج على الصوف الذي كان سكان القصر يتحصلون عليها أثناء المقايضة مع قبيلة حميان حيث أن عدد الأغنام التي كان يملكها أهل القصر لا تعطي اكتفاء في هذه المادة الولية حيث يقول غنار Guenard في هذا الموضوع "لقد استعان أهل قصر مغرار التحتاني في صناعة الألبسة الصوفية والبرانيس* والحياك** بحميان لتزويدهم بالصوف في حين كانت الأقلية من السكان التي كان مستواها المعيشي أرقى نسبيا تشتري البرانيس والملابس من القوافل التي تأتي من مدينة فقيق"[2].

وبخصوص هذه الحرفة دائما فقد ذكر ناصر الدين سعيدوني وهو يتحدث عن الصناعة الصوفية بالجزائر قديما "أما الأنسجة الصوفية المعتمدة على الإنتاج المحلي من الصوف فكانت تصنع الأغطية والجلابيب والأحزمة"، وقد انتشرت صناعة البرانيس في أغلب جهات البلاد وإن كانت أشهرها برانيس الأطلس الصحراوي التي كانت تباع

---

[1]- ابن خلدون: نفس المصدر السابق ... ص 718

[2]- Guenard: OPCIT. Page 79

* البرانيس : ج برنوس و هو لباس مصنوع من الصوف معروف بكل مناطق الجنوب وهو يشبه الجلباب لكنه مفتوح من الأمام

** الحياك: ج حايك وهو أحد الإنتاجات الصوفية يستعمل للتغطية في فصل الشتاء

بـ100 فرنك للبرنسو الواحد"[1]، زيادة على التجارة بالبرانيس والجلاليب فقد سوق أهل القصر منتوجات أخرى من الصوف تمثلت في الزرابي حيث ذكر في نفس الموضوع دائما ناصر الدين سعيدوني "أن الزرابي عرفت كل جهة بأسلوبها الخاص ورسومها المميزة فهناك زرابي الشلالة والأطلس الصحراوي وهي نماذج تميزت بالدقة في صنعها وبطابع محلي عريق وأشكال ورسوم جميلة"[2].

[1]- د.ناصر الدين سعيدوني: نفس المرجع السابق... ص69.

[2]- د.ناصر الدين سعيدوني: المرجع نفسه... ص70.

الفصل الرابع

العمارة العسكرية

1 السور والمداخل

2 الأبراج

1السور والمداخل

لقد سبق الإشارة إلى أن للموقع الجغرافي منذ القدم دورا هاما في اختيار مواقع المدن والقلاع، وهو أمر كان لابد من اتخاذه كمقياس لبناء قصر مثل قصر مغرار التحتاني حيث مثلت السلسلة الجبلية التي تحيط بالقصر من الجهات الثلاث (الشمالية، الجنوبية، الشرقية) حماية طبيعية حين ذكر البيذق في هذا الموضوع وهو يتحدث عن المرابطين "أنهم أقاموا حصونهم* في مواقع دارت بها الجبال من جميع الجهات لكي ينتصروا بها على الموحدين أعزهم الله. ومن هذه القلاع قلعة أمرجو، وقلعة بني تلودا وقلعة تاسغيموت..." [1] لكن رغم ما للموقع الجغرافي من دور في التحصين إلا أنه لم يكن لهذا الموقع ولوحده أن يفي بالغرض و لم يكن ليقي التجمعات البشرية غزو الآخرين لهم ونهب وسلب ممتلكاتهم، ومنه جاءت ضرورة زيادة التحصين فبنى السكان سياجا أو سورا يدور حول مساكنهم، ويذكر ابن خلدون في حديثه عن البدو المعتدلين الذين لم يتخذوا الكهوف مساكن لهم واتخذوا البيوت للمأوى "أنه قد يتكاثرون فتكثر بيوتهم في البسيط الواحد، بحيث يتناكرون ولا يتعارفون فيخشى من طروق بعضهم بعضا بياتا فيحتاجون إلى حفظ مجتمعهم بإدارة سياج الأسوار التي تحوطهم ويصير جميعها مدينة واحدة ومصرا واحدا"[2] وفي نفس الموضوع ذكر بيتر فارب أنه "قد برزت الحاجة إلى تحصين المدن منذ عهد قديم عندما نشأت المدن وزاد عمرانها وثراؤها ،وبدأت تتعرض لهجوم الأعداء الذين يطمعون في السيطرة عليها أو نهب ثرواتها مما أدى إلى بناء الأسوار عليها واتخاذ الجند والقادة الذين يتولون الدفاع عنها"[3].

---

[1]- البيذق أبو بكر الصنهاجي: كتاب أخبار المهدي بن تومرت. تحقيق الأستاذ لفي برفنسال باريس 1928. ص123.

[2]- عبد الرحمان بن خلدون: نفس المصدر السابق. ص725.

[3]- بيتر فارب: بنو الإنسان. ترجمة زهير الكرمي. سلسلة عالم المعرفة. الكويت 1980. ص139.

* الحصون: ج حصن وهو أكبر عمائر الاستحكامات الحربية ، وهو بناء يحيط بمساحة من الأرض ليحميها و يحصنها ضد اعتداء داخلي كان أو خارجي و من ثم فإن أسوار المدن كانت تعرف في العصور الوسطى باسم الحصون مثال ذلك أسوار بغداد و القيروان و المهدية ...وغيرها. عن د . سعاد ماهر محمد العمارة الإسلامية على مر العصور ج 2 ص 819

من خلال هذه الأفكار يتبين أن الكثير من المدن في القديم كانت دون سور خاصة تلك التي كانت في مأمن من الغزاة واللصوص و لم تكن بحاجة إلى تحصين إلا بعدما وطئت أراضيها أقدام هؤلاء المغيرين.

وفي الإطار نفسه ذكر محمد عبد الله الحماد: "أن الأرباض لم يكن يحيطها سور في الأصل إلا بعد أن شاعت الفتنة فأقيمت الأسوار وشقت الأنفاق"[1].

إن سور قصر مغزار التحتاني (كما يوضحه الشكل ص 125) غير منفصل عن مساكن القصر بل الجدران الخلفية للمساكن الجانبية هي التي تمثل السور حيث توضحه النوافذ التي تطل خارج القصر وارتفاعه هو نفسه ارتفاع المساكن الذي بلغ 6 متر في بعض الجهات، و 8 متر في جهات أخرى. أما سمكه فيتراوح ما بين 60 إلى 70سم،(ينظر للوحة ص 131) ، إذن فسور القصر لم يكن ليأخذ تخطيطا منتظما لأنه ليس سابقا في إنشائه على المساكن، بل المساكن والمرافق الأخرى للمدينة هي التي بنيت أولا وبعد ذلك سدت الفراغات بينها فأصبحت تمثل سورا.

لقد انهارت أجزاء كبيرة من السور وهذا بسبب التوسع الذي أحدثه السكان بعد الاستعمار في المساكن الجانبية، وهذا ما وضحه المخطط الذي وضعه مهارى أمين M'hari Amin[2] للقصر، أما الجزء الوحيد الذي لم يشهد توسعا فهو من الجهة الغربية بين مدخل بابات علي ومدخل الشرافة نظرا لقربه من الطريق العامة التي تقود إلى القصر.

هذا فيما يخص السور أما المداخل* فتعتبر من أهم العناصر المعمارية العسكرية في المدن والقصور القديمة.

لقد عرفت المدينة الإسلامية كبقية المدن الأخرى نظام المداخل والأبواب، ولعل أول

---

[1]- محمد عبد الله الحماد: نفس المرجع السابق. ص206-207.

[2] M'hari Amin : OPCIT ... page 35

* المداخل ج مدخل و هو المكان الذي يستعمله السكان للدخول و الخروج و هو عنصر من عناصر التحصين و يمثل عادة بداية للشارع الرئيسي .

نموذج لذلك المدينة المنورة حيث ذكر محمد بن عبد الرحمان الحصين في حديثه عن التوسع الذي شهدته المدينة المنورة "أن انتشار المدينة العمراني بدأ في شرقي المسجد النبوي الشريف حيث تقع بيوت أبي بكر وعثمان وأبي أيوب وخالد بن الوليد رضوان الله عليهم في هذه المنطقة ،وقد امتد العمران إلى الجهات الأخرى من المسجد...ثم اتسعت رقعة العمران فتكونت أحياء جديدة أحيطت بأسوار خارجية وكان لها مداخل أهمها مدخل الكومة ومدخل قباء والعنبرية"[1].

ولقد عرفت المدن الإسلامية الأخرى هذا النظام من السور الذي يحتوي مداخلا وأبوابا في تاريخ التمدن الإسلامي حيث ذكر ابن خلدون في الموضوع أن "أمراء بني تغلب اهتموا بتحصين مدن إفريقية حيث أن أبا إبراهيم أحمد بنى إفريقية نحوا من عشرة آلاف حصن بالحجارة و الكلس وأبواب من الحديد"[2].

وإذا كانت هذه الرواية تتضمن مبالغة واضحة على حد السيد عبد العزيز سالم[3] ولكن القول يكشف عن اهتمام هذا الأمير بتحصين البلاد وإعطاء الأهمية للسور والمداخل .ونجد أيضا محمد عبد الله حماد في وصفه لغرناطة يقول: "لقد كانت المدينة مسورة بأكثر من سور ،ولها العديد من الأبواب والقلاع العالية"[4] أما عن مدن المغرب العربي فذكر صلاح أحمد البهي في شأن طرابلس أنه "تخلل سور مدينة طرابلس عدة فتحات أبواب، بعضها فتح في تاريخ لاحق لبناء السور ،والأبواب هي باب زناتة نسبة إلى القبيلة ويسمى بالباب الأخضر أيضا ،وباب الستارة ويعرف باسم باب عبد الله...وهناك باب هوارة وباب البحر والباب الجديد"[5].

إن قصر مغرار التحتاني هو مثال من الأمثلة المذكورة وإن كان في تكوينه البسيط لا يضاهي المدن السابقة الذكر، فهو يحتوي على ثلاثة مداخل وهي: مدخل بابات علي

---

[1]- محمد عبد الرحمان الحصين: خصائص البنية العمرانية للأحواش بالمدينة المنورة. مجلة جامعة الملك سعود. العمارة والتخطيط 1412هـ. ص37-91.

[2]- عبد الرحمان بن خلدون: نفس المصدر السابق. ص429.

[3]- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير. ج2. دار النهضة العربية بيروت. 1981. ص448.

[4]- محمد عبد الله الحماد: نفس المرجع السابق. ص206.

[5]- صلاح أحمد البهي: طرابلس الغرب تاريخ وآثار. المنهل. المرجع السابق. ص258.

الموجود بالجهة الشمالية الغربية، وهو أقرب المداخل إلى الطريق الذي يقود إلى القصر بالنسبة لزائر المدينة، ويفصل هذا المدخل بين درب أولاد جبور ودرب الشرافة .سمي بهذا الإسم نسبة إلى قبيلة أو عرش أولاد علي والتسمية في أصلها أمازيغية حيث أن كلمة آت تعني آل ومنه باب آت علي هي باب آل علي، ويعتقد من خلال الوصف الأول للقصر في حملة الجنرال كافينياك Cavignac[1] وإن كان لم يبق إلا بعض البقايا من الآثار التي تشير إلى هذا المدخل ،فإنه المدخل الأول والرئيسي للقصر قبل استحداث المداخل الأخرى نظرا لاعتبارات منها أنه المدخل الذي يقود إلى ساحة بابات علي ومنه إلى ساحة مكرورب التي كانت تتوسط القصر، فكما هو معروف في تخطيط المدينة الإسلامية القديمة فإن المدخل الرئيسي يقود إلى ساحة المسجد والسوق ،والاعتبار الثاني يتمثل في كون هذا المدخل يحتوي على برج أسطواني الشكل على يساره وهي ظاهرة شاعت في معظم المدن الإسلامية حيث ذكر في الموضوع عبد العزيز سالم وهو يتحدث عن التحصينات الهامة أن "المداخل القديمة عند الموحدين كانت تتبع النظام البيزنطي وقوامه عقدان متقابلان، أحدهما ينفتح إلى داخل المدينة والآخر ينفتح إلى خارجها...ولم يسقفوا أجزاء من الممرات الواقعة بين مداخل الأبواب ومخارجها وبنوا أبراج بجانبها"[2]
والغاية من وجود البرج بجانب المدخل هو لكي يرموا المهاجمين وتكون فرصة الاحتماء لديهم ضعيفة.

مدخل بابات علي بسيط في تخطيطه ،فمن الناحية الشكلية لم يرق إلى مستوى مداخل المدن القديمة الكبيرة التي عادة ما تكون مزينة زخرفيا. إن وصف الذاكرة الجماعية له تبين إضافة لبعض البقايا أن المدخل كان يحمل عقدا نصف دائري ونموذج مماثل للنماذج التي عرفها القصر بالمسجد أو الأضرحة وبعض المساكن، ارتفاعه 2,5م

---

[1] - Mensier : Description du ksar de Moghrar Tahtani. Journal des opérations militaire de la coloni expéditionnaire au sud 1847. BSGO

[2]- السيد عبد العزيز سالم: المرجع نفسه. ص449.

أما عرضه فهو لا يتجاوز 2م لكنه بهذا القياس كاف لدخول السكان ودخول سلعهم محملة على الحمير والبغال.

في الجهة الغربية الوسطى للقصر فتح المدخل الثاني الذي يسمى بمدخل الشرافة نسبة إلى سكان الحي الذي يفضي إليه المدخل ،و هو غير واضح المعالم (كما يبينه الشكل ص 125) . إن الفتحة لا تمثل نقطة التقاء السور من الجهتين بل نجده من جهة يمتد إلى داخل القصر، ومن الجهة الثانية للسور عمودية على الجهة الأولى مما يجعله منفذا صغيرا ويتجاوز في عرضه 1م أما ارتفاعه فهو 2,5م. يوجد على يمين هذا المدخل بئر حاسي حمادي والمسجد ، أما على اليسار فيوجد مجموعة مساكن لعرش الشرافة. أما المدخل الثالث فهو مدخل الداير وكما يسمونه أهل القصر بمدخل أقراو أيضا سمي باسم الداير.

يقع بالجنوب الغربي للقصر، وهو المدخل الذي يوجد داخل الرحبة التي تحتوي السوق الجديدة. وهنا أطرح السؤال التالي: لماذا وجد هذا المدخل داخل الساحة في حين فإن مداخل المدن الإسلامية عادة ما تفضي هي إلى الساحة كما هو الشأن بالنسبة لمدخل بابات علي ؟.

"إن وجوده بهذا الموقع كان بعد عملية التوسع التي مست بعض مساكن القصر، حيث أن السوق كان خارج القصر، وعندما حدث توسع بالمسكن الأول على يسار المدخل شكل مع وضع دكاكين السوق رحبة توحي بأن المدخل بداخلها"[1] لكن في حقيقة الأمر المدخل قديم والساحة مستحدثة (ينظر للشكل ص 125) .

إن مدخل الداير هو الوحيد من المداخل الثلاثة الذي لا يزال قائما في تكوينه ومعالمه واضحة (ينظر للوحة ص 139). تخطيطه مستطيل ارتفاعه 2,30م وعرضه 1,18م، مبني بالطوب وبعض الحجارة المنحوتة "منارة" جذع نخيل يقود إلى مساكن درب السحاجين ولا يفضي للساحة.

[1]- M'hari Amin : OPCIT. Page 27.

إن المداخل الرئيسية للقصر كلها جاءت على الجهة الغربية ،وهـذا يجعلـني أطـرح التساؤل التالي: لماذا جاءت بهذه الجهة فقط ؟ ولماذا لم توجد مداخل أخرى مقابلة لها من الجهة الشرقية ؟. فمعروف أن المدخل يمثل بداية الشارع الرئيسي ونهايته ومعظـم المدن الإسلامية القديمة وجدت بها مداخل من كل الجهات.

لقد كانت التجارة الخارجية للمنطقة تعتمد في القديم على قوافل الإبل كوسيلة نقـل وتبادل السلع، وبما أن الجبال الصخرية تحيط بالقصر من كل الجهات عـدا الجهـة الغربية فكان من الضروري أن تسلك القوافل طريقها للقصر من هذه الجهة وليس من الجهات الجبلية، كما أن هذه الجهة تحتوي على الواحة و الـوادي ومنـه فحقـول السكان وبساتينهم كلها بهذه الجهة مما يجعل اتجاه السكان أثناء الدخول إلى القصر أو الخروج منه للذهاب إلى مكان عملهم اليومي أو لأجل الحصول على الماء هو الاتجـاه الغربي، إذن فالعامل الأول هو عامل تجاري إذا استثنيت عامل الموقع الجغرافي والعـامل الثاني هو دفاعي يتمثل في كون القصر محصن طبيعيا من الجهات الأخـرى ،ممـا لا يستدعي فتح مداخل من الجهة الشرقية مثلا، خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار المدخـل كعنصر هام من عناصر التحصين، وهو نفسه المبرر الذي جعل معظم أبراج القصـر تكون من الجهة الغربية، وعن أهمية المداخل والأبراج كعناصر أساسـية في العمـارة الحربية ذكر محمد عبد الستار عثمان أن "اتخاذ السور حول المدينة أمر مهم فتـأمين المدينة يكلفه بناء المداخل والقلاع والأبراج...والاقتصاد في بنائها يعود إلى ما يتوفـر للموقع من مميزات تحصينية طبيعية"[1].

ومعنى ذلك أن الجهة التي عادة ما اتخذها العدو للإغارة على قصر مغرار التحتاني هـي الجهة التي احتوت العناصر المعمارية الدفاعية ومن بينها المداخل، أما الجهات الأخـرى فهي لا تستدعي وجود هذه العناصر الدفاعية بالضرورة.

---

[1]- محمد عبد الستار عثمان: المرجع السابق. ص222.

إن الدراسة الميدانية التي قمت بها أثناء الزيارات المتكررة للقصر ومقارنتها بـــالقصور المجاورة كقصر الشلالة، بوسمغون، صفيصيفة جعلتني أقف عند ظاهرة عمرانية فريـــدة في نوعها ،وهي ظاهرة خلت القصور المذكورة منها وتتمثل في منافذ للخروج فتحـها سكان القصر بالجهة الشرقية ،وهي لا ترقى في أبعادها إلى مستوى المداخل سميـــت بالنقب*. كان النقب يستعمل للخروج وقت الحاجة الماسة أو للفرار أثناء الإغـــارة على القصر ودخوله من طرف العدو فمثلت "النقوب" بهذا الشكل مخـــارج نجـدة، وذكر نوال Noël في وصفه التاريخي للقصر أنه "في حملة 1847 عندما أرسل الجيـــش الفرنسي ببعض المفاوضين إلى شيوخ القصر بالداخل فلم يعد منهم إلا واحدا وقـــد قتل ثلاثة منهم ولما قصف القصر وهاجمه الجند في الداخل وجدوا القصـــر فارغـــا"[1] وهذا يدل على أن سكان القصر خرجوا من منافذ "النقوب" لأن المداخل الرئيســـية كانت حينها محاصرة. ومما يمكن تسجيله كملاحظة هو أن "النقب" حمل اسم سكان الحي أو العرش واستعماله لا يكون إلا من طرفهم ،ولم يكن هذا المنفـــذ ليستعمل للدخول إلى القصر من الجهة الشرقية لأن الكثير منها كان مفتوحا من مساكن فـــلا يفتح إلا بإذن من صاحب المسكن للخروج فقط أما الدخول منه هـــو الولـــوج إلى المسكن ومس بحرمته (ينظر للشكل ص 125).

أول نقب هو "نقب أولاد شيبوط" وقد فتح بالشمال الشرقي للقصر وهو موجـــود بالتناظر مع ضريح "سيدي عبد السلام" وهو خاص بعرش أولاد شيبوط وعرش أولاد جبور والثاني مفتوح في الجدار الخلفي لمسكن من مساكن أولاد شريف وبالقرب مـن هذا النقب وجد البرج الثاني الذي بني على سور القصر وهو يقع في الجهة الشـــرقية الوسطى، والنقب الثالث فتح في نهاية درب "تمسلوت"، وقد سمي باسم الـــدرب ثم يليه نقب آخر يحمل نفس الإسم وهو في نهاية درب .

* النقب: كلمة امازيغية يقصد بها الثقب أو المخرج الضيق.

[1]- Noël : OPCIT. Page 101

وآخر نقب فهو مفتوح بالجنوب الشرقي للقصر من مسكن لعرش السحاحين وهو يحمل اسم العرش موجود بالتناظر مع البرج الرئيسي.

تخطيط النقب يشبه من ناحية الشكل تخطيط المدخل لكن يختلف عنه في قياساته حيث لا يتعدى ارتفاعه 1م وعرضه ما بين 60سم إلى 80سم، وهو مصنوع من جذوع النخيل وطريقة غلقه هي نفسها طريقة غلق الأبواب الأخرى المعروفة "بالمشطة".

إن وجود السور والمداخل هي من المعايير المميزة للمدينة وفي ذلك تأكيد على الدلالة الحضارية فوجودها يعني الأمن والأمان لمساكن المدينة، وقد ذكر عبد الجبار ناجي في حديثه عن مقاييس تخطيط المدينة الإسلامية بقوله: "...فهناك عوامل أساسية تساعد على ازدهار حياة المدينة وأمنها كالحصن والأسوار والمداخل..." [1].

[1]- عبد الجبار ناجي: مفهوم العرب للمدينة الإسلامية. مجلة المدن العربية. نشر منظمة المدن العربية. عدد15. السنة الثالثة. سنة 1984م. ص58-62.

2الأبراج

يعتبر قصر مغرار التحتاني القصر الوحيد في المنطقة مقارنة مع القصور المجاورة الـــذي يكثر فيه عدد الأبراج* حيث يحتوي على 32 برجا كما تشير إلى ذلـــك اللائحـــة الحديدية التي يصادفها الزائر وهو يصل إلى مدينة مغرار، منها ما بقي بعـــض الآثـــار تشير إلى وجوده ومنها مالا يزال موجودا وعددها ثمانية أبراج، هذه الأبراج الـــتي لا زالت قائمة بعضها بني مع السور ،أي داخل القصر وعددها اثنـــان أحدهمـــا يقـــع بالشمال الغربي وبني بجانب مدخل "بابات علي"، والثاني بالشمال الشرقي قريب مـــن نقب أولاد شريف ومنها ماهو موجود خارج القصر وعددها ستة أبراج.

لماذا كثر عدد الأبراج بمدينة مغرار التحتاني ؟

يتحدث ابن خلدون في شروط بناء المدن إلى "أنه يجب أن تكون المدينة مجاورة لقبائل تلبي نداءها إذا داهمها العدو، فبالإضافة إلى عنصر الموقع هناك عنصر المجاورة لقبـــائل تساعد في الدفاع عن المدينة وحماية أهلها من الأخطار المحدقة"[1] وبما أن قصر مغـــرار التحتاني بعيد نسبيا عن القصور الأخرى القريبة من بعضها البعض كقصر تيـــوت، عسلة، الشلالة الظهرانية، وبوسمغون كان لزاما على أهل القصر تحصين مدينتهم ببنـــاء عدد كبير من الأبراج، أضف إلى ذلك فتحضير لمقاومة مثل مقاومة الشيخ بوعمامـــة يتطلب الزيادة في أبراج العسس التي يعتقد أن بعضها بني قبيل المعارك التي خاضـــها الشيخ ضد الاستعمار الفرنسي.

ملاحظة أخرى سجلتها وأنا أقوم بهذه الدراسة العسكرية للأبراج تتمثـــل في كـــون الأبراج الموجودة خارج القصر بنيت على الجهة الغربية ماعدا برجا واحدا يقع بجنوب شرق القصر، ومن بين الأبراج الموجودة على الجهة الغربية برجان قريبان من القصـــر أحدهما يقع في الشمال وهو محاذ للواحة من الجهة اليمنى والثاني يقع بالجنوب الغربي.

---

* الأبراج: ج برج و هو عبارة عن بناء حربي مستطيل و مستدير الشكل يبرز عن الجدار و الأسوار و يحتوي البرج على مساقط و مراقب و مزاغل لرمي السهام و لذلك يتحتم أن تزود أسوار الحصون و القلاع بعدد مناسب من الأبراج. عن د. محمد محمد أمين: المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية ـــ دار النشر بالجامعة الأمريكية القاهرة 1990 ص 21

[1]- ابن خلدون: نفس المصدر السابق ص 720

أما الأبراج الأخرى فقد بنيت على الضفة اليسرى لواد مغرار أي لا يمكن مصادفتها إلا بعد اجتياز الوادي والواحة. ويسمى هذا النوع من الأبراج بأبراج الواحة التي بنيت لأجل حراسة الواحة الكبيرة التي كانت تمثل مصدر رزق معظم السكان .
يوجد الأول منها في الشمال والثاني بالجنوب ،ويتوسطهما برج ثالث. جاءت الأبراج الثلاثة في خط واحد محاذ للواد ومتناظرة مع البرجين القريبين من القصر (ينظر للشكل ص 126).
لماذا بنيت معظم الأبراج بالجهة الغربية للقصر ؟ إن انعدام الأبراج بالجهة الشرقية والجهات الأخرى أمر يفسره الموقع الاستراتيجي الذي بني عليه القصر ،حيث مثلت السلسلة الجبلية التي تحيط بالقصر من الجهة الشرقية والشمالية والجنوبية "حصانة"* طبيعية، وحول أهمية الموقع الاستراتيجي يقول الهرثمي: "إن الحصون ليست هي القلاع الشامخة المبني عليها الأسوار فقط، هي القلاع والمطامير والجبال والخنادق والرمال والوحول والأجسام والبحار، كل هذه وما أشبهها حصون ومعاقل"[1].
هذه الحصانة جعلت من أهل مغرار يولون اهتماما للجهة الغربية المفتوحة ،والتي عادة ما اتخذها العدو كمنطقة استراتيجية لمفاجأة سكان القصر والدخول إليه ،وهذا ما أشار إليه نوال Noël[2] وسبق تقديمه في الدراسة التاريخية للمنطقة.

تخطيط الأبراج:

فيما يخص تخطيط هذه الأبراج وتصميمها الهندسي فقد جاءت مثلها مثل بقية الأبراج التي عرفتها المدن الإسلامية قديما، بعضها أسطواني الشكل والبعض الآخر مربع الشكل وبنيت بعض الأبراج بالتخطيط المخروطي (ينظر للشكل ص 127) .

*الحصانة: يقول ابن منظور:" الحصن من الأرض وكل أرض يبنى في اصطمتها فهي مدينة".
الإصطمة: هي معظم الشيء وتمامه. لسان العرب. طبعة بيروت. سنة 1970. ج17. ص28-289.

1- الهرثمي: مختصر سياسة الحروب. تحقيق عبد الرؤوف عون. مراجعة د.محمد مصطفى زيادة. نشر المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر. ص56.

2 – Noël (c) : OPCIT … P 77.

ان الأبراج الموجودة خارج القصر هي 6 أبراج نصفها جاء بالشكل الأسطواني ونصفها الباقي جاء بالشكل المربع ،فأما الأسطوانية توزيعها أعطى شكلا هندسيا وهو شكل المثلث، قاعدته جنوب القصر وارتفاعه أو قمته في شمال غرب القصر. وأما مربعة الشكل فأحدها بالشمال واثنان بالجهة الغربية بعد الواحة.

1- البرج الرئيسي: يقع هذا البرج والمسمى بالبرج الرئيسي بالجنوب الشرقي للقصر، وهو الوحيد الذي بني بهذه الجهة . لقد بني على ربوة صخرية كبيرة ،وكان الحجر المنحوت هو المادة الأساسية في بنائه (ينظر للوحة ص 143). لقد استغل المعماري بناء هذا البرج بهذه الربوة لما تمثله من ارتفاع كموقع استراتيجي للقصر وحدوده. وما كان لجهة أخرى لتشغل حيز بناء هذا البرج.

لماذا اعتبر هذا البرج رئيسيا ؟.

إنه رئيسي نظرا للوظيفة التي يؤديها وتتمثل في تغطية الثغرات الجغرافية الموجودة ومراقبة الأبراج الأخرى ،حيث أن وظيفة كل برج هي جزئية لا يستطيع الحارس بها أن يراقب عن بعد جميع أماكن القصر وكل حدوده في حين هي وظيفة نجدها بالبرج الرئيسي، أيضا في حالة الطوارئ يمكن إبلاغ سكان القصر وينذرهم بالأخطار المحدقة وهي وظيفة لا تتوفر في غيره ،كما يمكن لهذا البرج أن يمثل حلقة اتصال مع بقية الأبراج الأخرى ،وهنا أشير إلى أن وسيلة الاتصال هي إشارات في النهار وإشعال للنار بالليل ويحتمل أن البرج الرئيسي كان يستعمل للمراقبة الليلية.

تخطيطه: تخطيطه أسطواني الشكلّ، قاعدته هضبة أو ارتفاع من الصخور كما سبق الإشارة إلى ذلك، الوصول إلى هذا البرج يكون عن طريق سلم طويل بدايته درجات متناظرة مع "نقب السحانين" تنحرف نحو اليمين متجهة إلى المقبرة الجنوبية للقصر لتنحرف هذه الدرجات نحو اليسار وتمتد طولا بحوالي 50م. هذا السلم مبني من الحجر المنحوت سواء كان درجاته أو الجدارين الجانبيين ، سمك كل واحد منهما 60سم وارتفاعه حوالي 1م أما عرض السلم فهو 1,20م (ينظر للوحة ص 143) . لقد انهارت أجزاء كبيرة من درجات السلم نظرا لعوامل طبيعية تتمثل في جريان

الأمطار التي يكون اتجاهها من الأعلى إلى الأسفل لتجر معها الطين كمادة أساسية للبناء فتنهار الدرجات ،ونظرا كذلك لعدم اهتمام الإنسان بهذا الإرث الحضاري فهو يستعمل أحيانا للعب من طرف الأطفال .

تخطيط الباب: يرتكز باب البرج على صخرتين كبيرتين مائلتين إحداهما على يمينه والأخرى على يساره ،وهو مفتوح على الشمال الشرقي للقصر، بارتفاع 2,90 م بعقد نصف دائري وعرض 0,83سم من الخارج لكن يلاحظ أن هذا الارتفاع يتقلص إلى 2,10م والعرض كذلك إلى 0,75سم وهذا من الداخل. لقد استخدمت الحجارة التي بني بها الدرج كقوس أعطى شكلا زخرفيا دون استعمال ما يسمى بالمنار (ينظر للوحة ص 143) .

لماذا تقلص ارتفاع الباب وعرضه من الخارج إلى الداخل ؟.

أعتقد أن سبب التقلص كان قصديا يتمثل في الصعوبة التي يجدها العدو في الدخول إلى البرج واختراقه حيث يكون العدو وهو يحاول الدخول في مكان أقل ارتفاعا من الحارس الموجود داخل البرج فيسهل على هذا الأخير رد العدو وإبعاده.

فيما يخص ارتفاع البرج فقد بلغ ابتداء من القاعدة الصخرية إلى بداية السقف3,70م بني بواسطة الحجارة المنحوتة كما سبق القول دون طلاء جدرانه التي بلغ سمكها حوالي 60سم.

كيف وضع السقف على هذا البرج الأسطواني ؟:

إن جذوع النخيل كمادة أساسية محلية هي التي استعملها البناء في تسقيف هذا البرج حيث نجد بداية السقف وهي تظهر من الأسفل بداخل البرج جذوع نخيل بقياس 1,38م ،وسمك كل جذع يتراوح ما بين 15 إلى 17م، طرف من الجذع يرتكز على جدار البرج وتبدو نهايته خارجة عن الجدار بقياس 20سم (ينظر للوحة ص143) والطرف الآخر للجذع يرتكز على عمود أسطواني الشكل يتوسط البرج من الأسفل إلى غاية السقف بقياس 3,70م أي نفس ارتفاع البرج حتى السقف ، محيطه 2,52م ، بني هذا العمود بالحجارة المنحوتة أيضا.

لقد أعطى وجود هذا العمود بداخل البرج إضافة لدوره الوظيفي المتمثل في حمل أو رفع ثقل السقف في مركز البرج تميزا له عن الأبراج الأخرى من الناحيـــة الفنيـــة الجمالية، (ينظر للوحة ص 142) ولقد زاد من جمال هذا البرج جذوع السقف الـتي أعطت بوضعيتها تخطيطا شعاعيا مركزها العمود كما سبق الذك(ينظر للشكل 129) يغطي هذه الجذوع طبقة من الطين سمكها 40سم مما يجعل سمك السقف بمـــا فيـــة الجذوع وطبقة الطين 57سم، هذا الذي يفسر استعانة المهندس بالعمود الذي يتوسـط البرج لحمل هذا الثقل.

يوجد خمس فتحات على ارتفاع 1,20 م و هي عبارة عن مزاغل* من جهة ،و مـــن جهة أخرى فهي تؤدي وظيفة التهوية والضوء حيث أن الأشعة الشمسية التي تنــــير داخل البرج من الباب في غياب الفتحات غير كافية على إعطاء الضوء بكل جوانــب البرج الداخلية ،أضف إلى ذلك فإن الهواء ساهم بصورة فعالة في تمديد العمر الزمـــني للبناء. تخطيط هذه الفتحات مستطيل الشكل بطول 1,5سم وبعرض يتقلـــص مـــن الداخل نحو الخارج حيث نجد عرض الفتحة من الداخل يتراوح ما بين 32 إلى 35سم ليصبح هذا العرض بقياس 12سم من الخارج.

أما فيما يخص السلم الذي يقود إلى أعلى البرج فقد صمم بطريقة هندسية فريـــدة في نوعها ،تتجه درجاته من اليمين إلى اليسار، وتخطيطه لولبي (ينظر للشكل ص 128). الدرجة الأولى من السلم متناظرة مع باب البرج وهي عبارة عن حجر استعمل في بناء البرج ،لكنه لم ينحت لكي يأخذ قياس بقية الأحجار التي بني بها البرج بل بقي طويلا نسبيا يمتد هذا الطول إلى الداخل بقياس يتراوح ما بين 17 إلى 22ســـــم. والقيـــاس الموجود بين كل درجة ودرجة بلغ 40 سم.

* - المزاغل: وتسمى أيضا برامي السهام. والمزاغل هي فتحات قد تكون مستطيلة في غالب الأحيان وقد توجد بالشكل المربع في بعض الأحيان. وتأتي ضيقة من الخارج واسعة من الداخل وهذا لتفادي الإصابات من الخارج وتوجد على الأسوار وفي الأبراج وهي تجعل المدافع في مأمن من رماح ونبال العدو، ويلاحظ أن هذه المزاغل بدأ المهندس يعمل على توسيعها عند ظهور المدفعيةو لكي تتسع لفوهته.

قد لا ينتبه الداخل إلى البرج لهذا السلم نظرا لكونه غير بارز مقارنة مع سلالم الأبراج الأسطوانية التي تشبه عادة سلالم المآذن اللولبية.

أعتقد أن هذا التخطيط للسلم كانت من ورائه غاية تمثل في الصعوبة التي يجدها العدو في التسلق والصعود لأعلى البرج لأنه لا يمكنه أن يحافظ على توازنه وهو يواجه الحارس الموجود بالأعلى.

بعد الصعود على الدرجة الأخيرة من السلم تقابلنا الفتحة التي من خلالها نصل إلى أعلى البرج، تخطيط هذه الفتحة ربع دائري بضلعين يمثلان زاوية قائمة ضلع بقياس 1,50م وضلع آخر بقياس 1,25م وهي بهذا التخطيط والقياس كافية لاختراق جسم الحارس أثناء الصعود (ينظر للوحة ص 128). إن البرج الرئيسي مثله مثل كل أبواج القصر من صنف الأبراج التي تتكون من طابقين أرضي وعلوي حيث نجد حجاجي ابراهيم أحمد يشير إلى أنواع الأبراج وهو يتحدث عن مهمتها ووظيفتها "فقد بنيت لأجل مراقبة العدو وكشفه عن بعد...وتتألف الأبراج عادة من طابقين أو أكثر..." [1].

إن الجذوع التي استعملت للتسقيف والتي امتد طولها خارج جدار البرج بحوالي 20سم كما سبق الإشارة إلى ذلك جعلت من محيط البرج يزداد اتساعا من الأعلى حيث يخيل للإنسان بهذا الشكل بداية برج ثان أكبر من البرج الأول. وهذه الطريقة من التسقيف شبيهة بوضع أسقف المساكن، هذه الطريقة التي سبق الحديث عنها في العمارة المدنية حين يكون المسكن من الأعلى أكبر مساحة من الطابق السفلي.

إن طول الجدار الذي بني بداية من السقف يبلغ مترا واحدا، هذا الذي يجعل ارتفاع البرج من القاعدة إلى القمة يصل إلى 5,27م. ويبدو أن هذا الارتفاع قليل نسبيا مقارنة بارتفاعات الأبراج الأخرى، وتفسير ذلك يعود لكون البرج الرئيسي بني بأعلى ارتفاع قريب من القصر، لذا فهذا الارتفاع كان كافيا لمراقبة القصر من كل جوانبه كما أن ظاهرة الشرفات المسننة التي قد يحتويها أعلى الأبراج غير موجودة بهذا

---

[1] - د.حجاجي ابراهيم محمد: القلاع وتطور فكرة الهندسة. مجلة المنهل. العدد 454. ص293.

البرج أو بالأبراج الأخرى للقصر "فأحيانا نجد بأعلى الأبراج شرفات مسننة تمكن المدافع من الاحتماء خلفها ورمي السهام على الغزاة"[1].

النموذج الثاني:

يقع هذا النموذج من الأبراج في الجهة الغربية للقصر ويبعد عن القصر بحوالي 1كلم والوصول إليه يكون بعد تجاوز الواحة والوادي.

لماذا بني هذا البرج في هذا المكان البعيد ؟

أعتقد أن وجود البرج بهذا المكان البعيد عن القصر كان من أجل حراسة الواحة التي تحتوي على عدد كبير من النخيل المثمرة وبها يوجد أيضا حقول وبساتين القصر، وهذه الوظيفة يشترك فيها هذا البرج مع البرج المتناظر معه، ثم هناك مبرر آخر لهذا الموقع يكمن في السياسة الدفاعية التي تعتمدها المدينة في الدفاع عن نفسها والمتمثلة في وضع أكثر من حزام أمني واحد قبل الوصول إلى المدينة، ويعتبر هذا البرج مع البرج السابق الذي يقع في شمال القصر بالتناظر أول حزام أمني يصادفه العدو عند محاولة الاقتراب من القصر، (ينظر للوحة ص 126).

تخطيطه: جاء تخطيطه مربع الشكل، بني على هضبة لكنها أقل ارتفاعا من هضبة البرج الرئيسي. لماذا جاء تخطيط هذا البرج بالشكل المربع و لم يأت كسابقه بالشكل الأسطواني ؟ ما الفرق بينهما ؟ وهل للموقع دخل في نوع التخطيط ؟

إن المسلمين في القديم دعموا أسوار مدهم بأبراج تختلف في أشكالها فتوجد أبراج مستديرة، نصف مستديرة، مضلعة وأخرى مربعة وظيفتها زيادة القوة والحماية للسور من الهجمات، لكن لم يكن من وراء هذا التنوع حس إبداعي بقدر ما كانت الوظيفة هي المحددة لهذا التنوع، حيث يقول في هذا الموضوع حجاجي ابراهيم محمد: " لقد استخدمت الأبراج المستديرة لأنها تترك منطقة دفاعية ميتة قليلة جدا فتكون فرص المهاجمين في الاحتماء من المدافعين قليلة"[2]. ولهذا أستخدم هذا النوع من

---

[1]- د.حجاجي ابراهيم محمد: نفس المرجع السابق ... ص 294

[2]_ د. حجاجي ابراهيم محمد: المرجع نفسه ... ص 295

الأبراج في نقاط الضعف في الأسوار...بينما استخدمت الأبراج المربعة في المناطق التي تكون أقل تعرضا للهجوم فهي تغطي مساحة اكبر وتترك منطقة دفاعية ميتة أقل...وهي تأتي منعزلة"[1].

وهذا هو الذي جعل من أهل القصر يبنون الأبراج الواقعة على السور بالشكل الأسطواني، أما الأبراج المربعة فجاءت بعيدة عن القصر.

بني هذا البرج بالحجارة المنحوتة وهي ظاهرة تكررت في معظم أبراج القصر بابه مفتوح في الاتجاه الشرقي للقصر. وجاء تخطيطه مستطيلا بارتفاع 1,02م وعرض 60سم دون عقد كما كان الحال بالنسبة للبرج الرئيسي، هذا الارتفاع القليل يحتم على داخل البرج الانحناء خاصة وأنه يجد سلما يقابله عدد درجات هذا السلم هي أربعة نصل من خلالها إلى داخل البرج ولكن هناك ظاهرة تتمثل في كون نهاية السلم هي نفسها ارتفاع باب البرج أي الطابق الأرضي للبرج يبدأ مع انتهاء ارتفاع الباب (ينظر للشكل ص 130) .سمك الجدار هو 60سم وطول كل ضلع هو 3,50م مما يعني أن مساحة البرج هي 12,25م^2. يلاحظ أن الجذوع وجريد النخيل التي كانت تحمل سقف هذا البرج قد اندثرت بفعل عوامل الطبيعة من جهة ،ومن جهة أخرى فإن بعد هذا البرج عن القصر جعله في منأى عن الترميم الذي خص به أهل القصر البرج الرئيسي، لكن بعض البقايا تشير إلى أن السقف كان على ارتفاع 3,50م ليزداد طول البرج بعد السقف بقياس 2م مما يعني بذلك ارتفاع البرج من الخارج هو 6,87م وهذا يعني أنه يفوق البرج الرئيسي من حيث المساحة ومن حيث الارتفاع.

[1]- د.حجاجي ابراهيم محمد: نفس المرجع السابق ... ص 295

الخاتمة:

ما يمكن أن أخلص إليه من هذه الدراسة ،هو أن الرسوم الصخرية التي اكتشفها الطابور الفرنسي بعد الحملة العسكريةسنة1847 لمنطقة الجنوب الغربي، والتي اهتم بها رجل الثقافة و العلم، وجسدت في أعمال رائعة لفلامون Flamandسنة 1921وفوفري Vaufreyسنة 1939 تبرز بصورة واضحة مدى تعلق الإنسان قديما بالمنطقة.و على وجه الخصوص بمغرار التحتاني التي احتوت على كل شروط الاستقرار، من وفرة المياه ، أرض خصبة ، واحة كبيرة ، وعناصر جغرافية دفاعية ، تتمثل في الجبال الصخرية التي تحيط بالقصر.

هذا الاستقرار يعود تاريخيا إلى العناصر الليبية البربرية في العصر الحجري الحديث، ثم بعد ذلك مع بداية التاريخ ، جابت المنطقة قبائل زناتة،منهم البدو الذين اتخذوا من تربية الأنعام طريقة للعيش، فعرفوا بترحالهم المستمر و منهم من ارتبط بفلاحة الأرض فعرف بالاستقرار.و من بين النتائج المتوصل إليها هي أن هذه القبائل لم تعرف المرحلة الفينيقية و الاحتلال الروماني، فمغرار التحتاني وما جاورها من قصور كانت بعيدة عن حدود الرومان في الجزائر ،و الرومان لم يصلوا إلى الهضاب العليا و مقدمة الصحراء و الصحراء إلا من ناحية الأوراس و الحضنة، هذا الذي جعل من سكان المنطقة أكثر قابلية لاعتناق الدين الإسلامي من غيرهم الذين قاوموا الفتوحات في بعض المناطق .وقد عرفت المنطقة الحكم الإسلامي بداية من الدولة الأموية إلى الدولة العثمانية مرورا بالدولة الفاطمية، المرابطية ، الموحدية .

و يلاحظ أن سكان المنطقة في مرحلة الدولة العثمانية عاشوا تحت سلطتها ، رغم أن الأتراك لم تطأ أقدامهم الصحراء الجزائرية.لكن قبيلة أولاد سيد الشيخ التي كان لها تأثير بالغا على أهالي المنطقة عن طريق الزاوية ،مثلت القبيلة كقبيلة المخزن واسطة بين الشعب و السلطة البعيدة.

و أخيرا الفترة الاستعمارية التي تعتبر من أهم المراحل التاريخية لما ظهر فيها من أحداث، ولما تتوفر عليه من مصادر كثيرة. لقد ظهر الشيخ بوعمامة بمقاومته للاستعمار الفرنسي كبطل يصنع مجد المقاومة الجزائرية في منطقة الجنوب الغربي ، وكان جهاده بذلك رمزا للحرية و المساواة و العدل.

هذا في ما يخص الجانب التاريخي الأثري. أما في ما يخص الجانب المعماري فقد خضع قصر مغرار التحتاني إلى نسف و هدم شبه كامل من المستعمر في شهر أبريل من سنة 1847 ، و أعيد بناؤه بعد ذلك ليصبح قلعة حقيقية اتخذها الشيخ بوعمامة لمجاهة العدو، ومثلت في ذات الوقت مركز عبور للقوافل التجارية التي كانت تتوجه من وإلى الصحراء .ومن خلال بعض الصور و الرسومات فقد كان القصر قبل هذه السنة مدينة إسلامية بمفهومها الصحيح ، فكان المسجد و السوق يتوسطان القصر، وكانت شوارعه و دروبه بالمواصفات التي عرفتها معظم المدن الإسلامية القديمة، من شوارع رئيسية و أخرى ثانوية ، ودروب خاصة بأصحاب الحي. و توفر القصر على مجموعة أبراج تحيط به منها ما بني على السور و منها ماكان في الخارج جاء تخطيطها مربعا أحيانا و اسطوا نيا أحيانا أخرى ،مع وجود برج رئيسي بأعلى قمة جبلية. كما أحاطت بالقصر عدد من الأضرحة تعبيرا عن الفكر التصوفي الذي ساد المنطقة و الجزائر في العهد العثماني خاصة.

أما بعد سنة1847 حدثت بعض التغيرات ، تمثلت على وجه الخصوص في تحويل مكان المسجد إلى مجموعة سكنية ليتم بناؤه في الخارج أمام أحد المداخل، و بناء سوق مغطاة بجانبه . ومن مميزات هذا القصر القديم ذو الشكل الهندسي الرائع مناسبته للمناخ وطبيعة الصحراء خاصة أنه بني من مواد كلها محلية، طوب ، جذوع وجريد النخيل،وكذا بساطة هذا الإنجاز المستعمل في بناء مساكن هذا القصر العتيق ومدى ملاءمتها و تحملها البرد شتاءا و الحرارة صيفا.

ورغم مضي قرون من تشييد هذه العناصر المعمارية فهي مازالت الشاهد الحي لذاكرتنا التاريخية، و هويتنا الوطنية الأصيلة أصالة أمجادنا و أبطالنا عبر التاريخ.

و إن كنت تعرضت لتاريخ المنطقة و المنشآت المعمارية للقصر، فإن ذلـــك لايعـــني بالضرورة اعتبار مغرار التحتاني وجها متميزا للعمارة الإسلامية بقدر ما هو تعبير عــن المعطيات الحضارية في مكان محدد و لفترة زمنية محددة ، التزم فيها المجتمـــع بقيمـــه الإسلامية الصحيحة. ولقد جاءت هذه الدراسة من منطلق التعرف على الـــتراث و تحديده و اقتباس الثوابت و المتغيرات .

إن موضوع القصور بمنطقة الجنوب الغربي و بالضبط،بجبال القصور من المواضيع الــتي لم توف حقها من البحث ،ولعل اختياري لهذا الموضوع ودراستي له سيسهم و لـــو قليلا في إبراز بعض الحقائق التاريخية التي تزخر بها المنطقة والتي تحتاج إلى كثير مـــن الاهتمام و العناية لأنها و إن عبرت عن تاريخ حضاري لجهة فهي تعبير عن جزء مـــن الموروث الحضاري للجزائر .

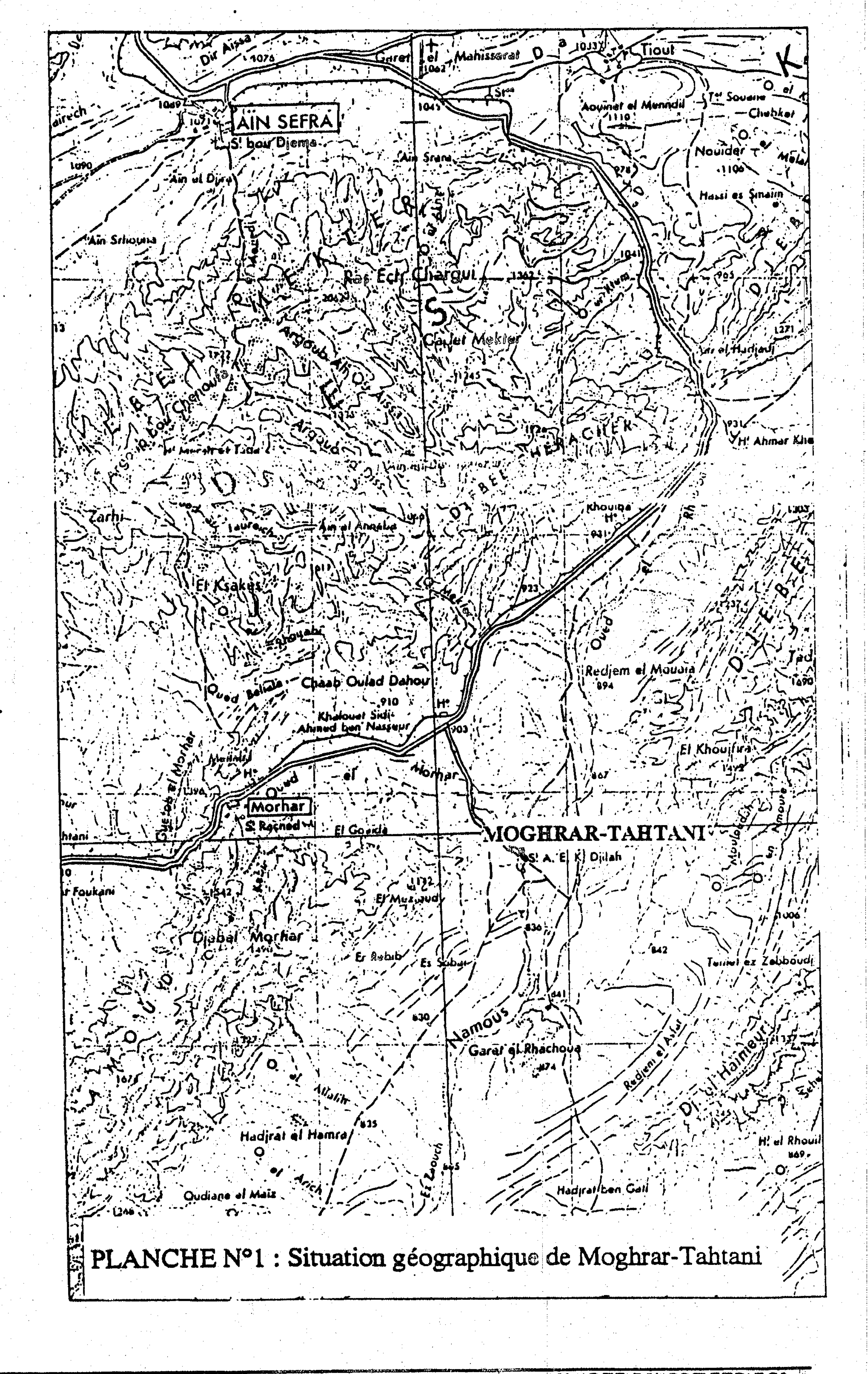
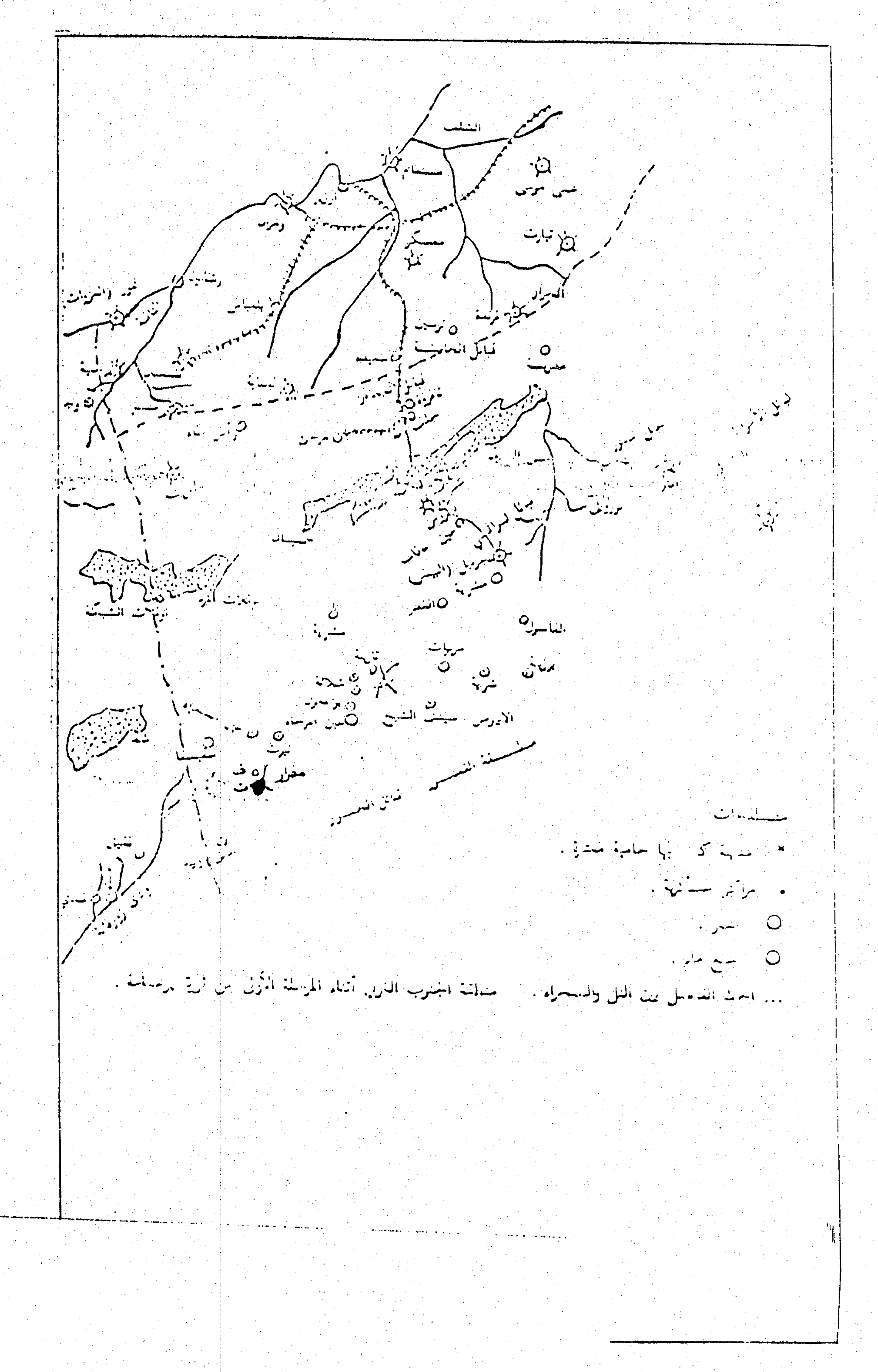


PLANCHE N°1 : Situation géographique de Moghrar-Tahtani


الشلف
مستغانم
تيارت
معسكر
الأغواط
الناصرية
مصطلحات
... الحد الفاصل بين التل والصحراء .

خريطة رقم (3)

بلاد المغرب في العهد الروماني

يمثل الرمز [-. . . -] حسب Demougeot الحدود الجنوبية للاحتلال الروماني في القرن 3 الميلادي أما الرمز [+ . + . +] فيمثل الحدود الجنوبية له في نهاية القرن الأول انظر :

Bulletin de la société d'Alger d'Afrique du Nord, N° 98, 2e trimestre (1924, p. 143).

وعند مقارنة هذه الخريطة بما ذكره Xavier de Planhol عن تقهقر الاستعمار الروماني

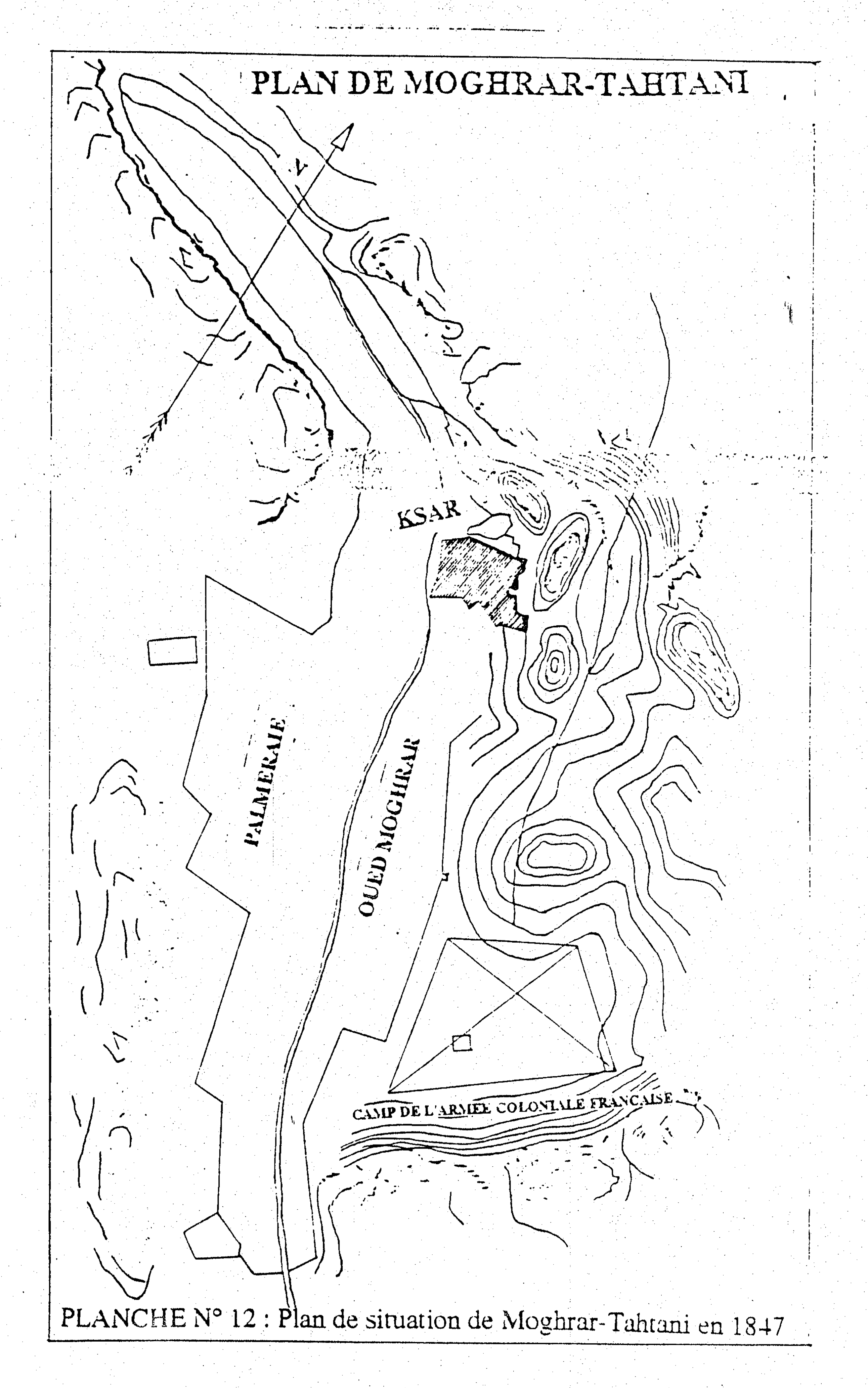
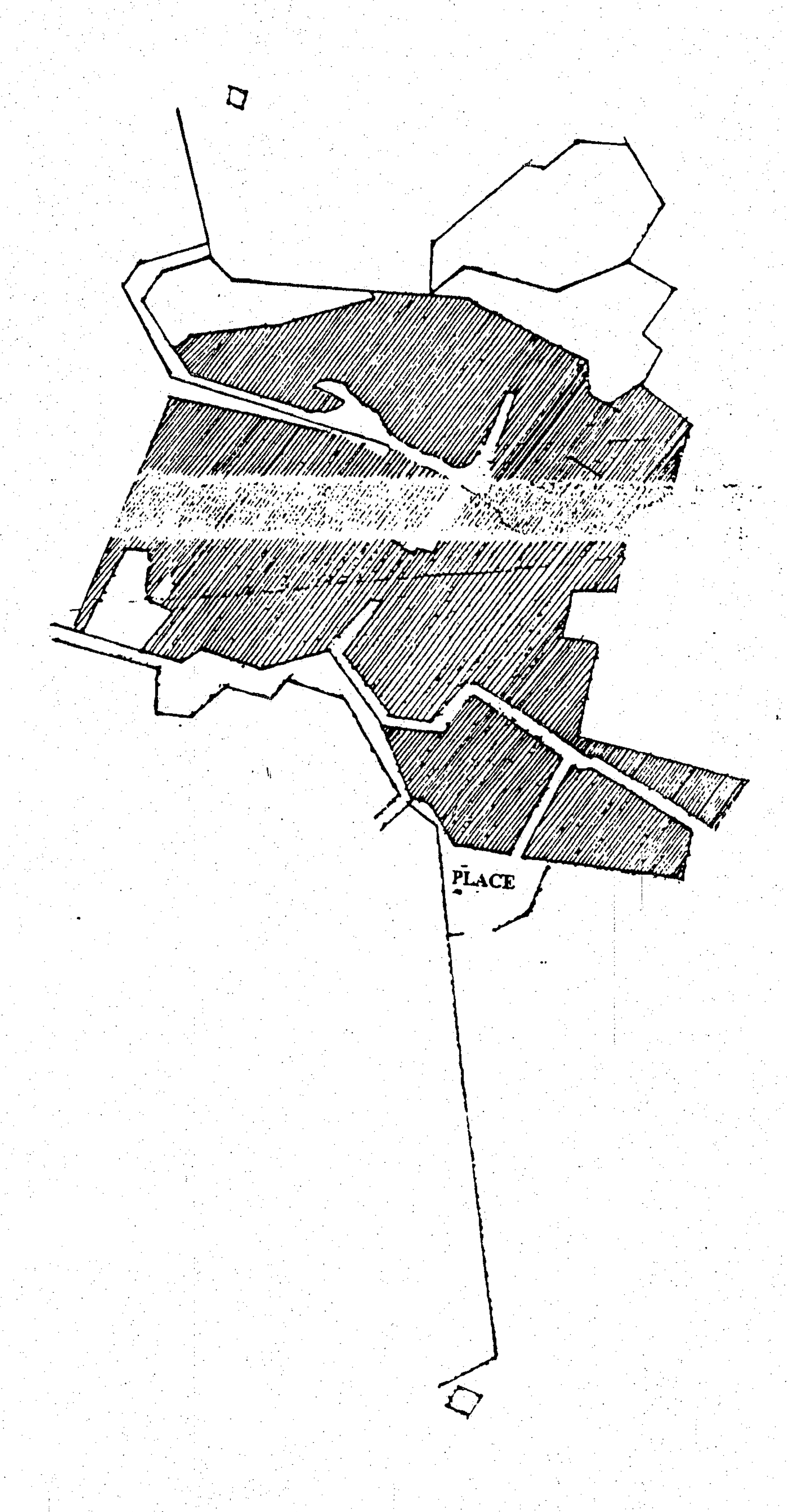


PLANCHE N° 12 : Plan de situation de Moghrar-Tahtani en 1847


PLACE

الشهور	يناير	فبراير	مارس	أفريل	ماي	جوان	جويلية	أوت	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر	المجموع
كمية التساقط	02	05	49	30	06	06	01	16	15	35	01	10	177

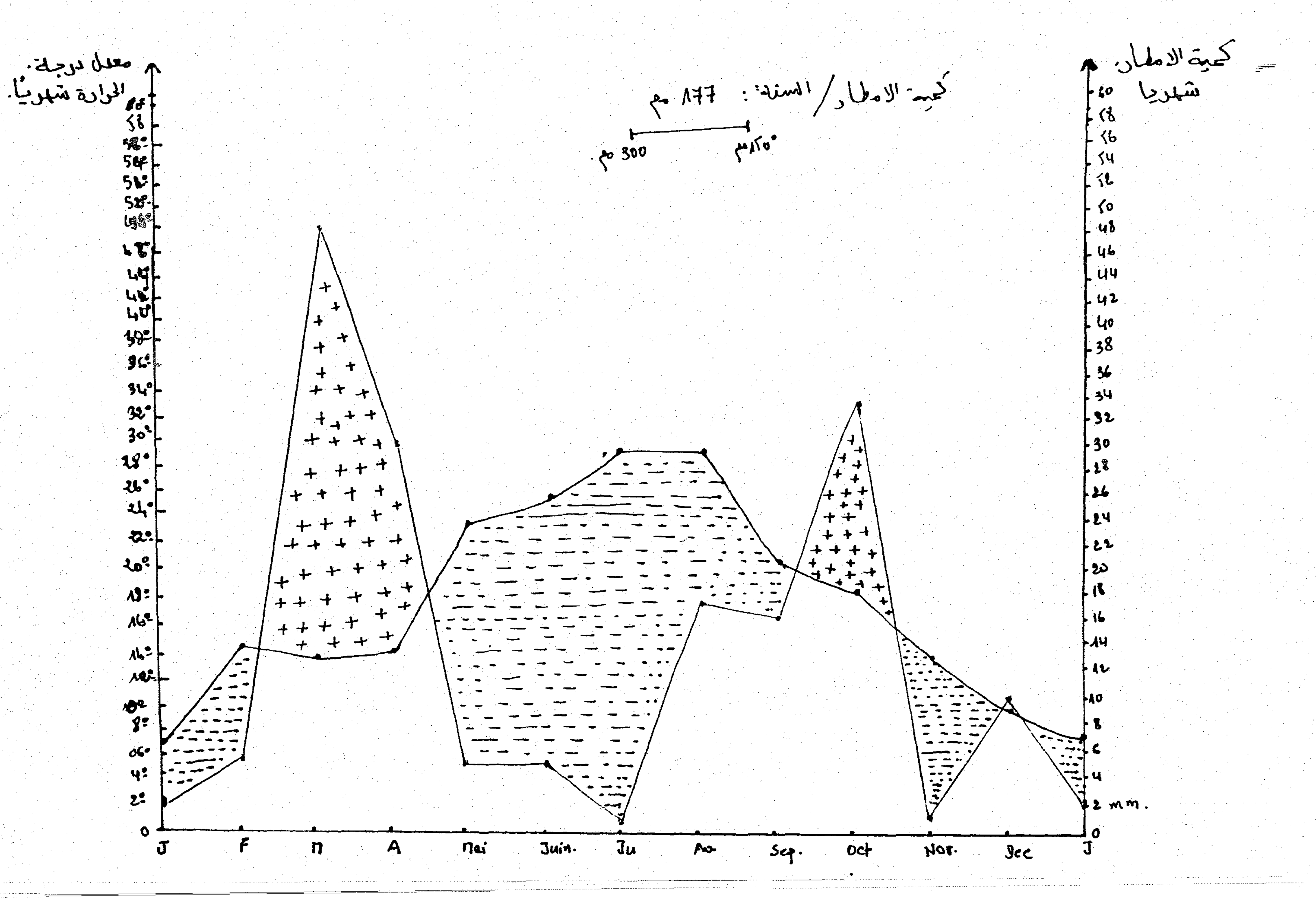
سقوط الأمطار حسب إحصائيات 1995

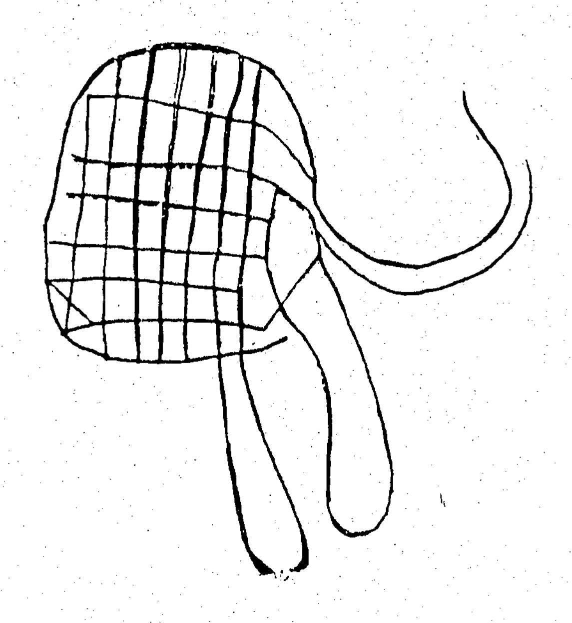
الشهور	يناير	فبراير	مارس	أفريل	ماي	جوان	جويلية	أوت	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر	المجموع
الحرارة السفلى	-06,9	03,2	03	02,8	09,8	11,7	16	16,8	06,7	06,4	-01,3	-02	06,9
الحرارة العليا	20,9	25,7	22,4	26,3	37,2	39,4	40,5	38,9	36,8	30	22	21,6	38,9

الحرارة السفلى / العليا حسب إحصائيات 1995

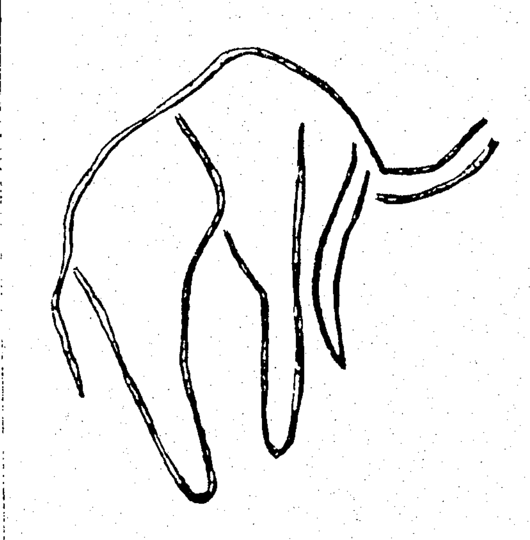
الشهور	يناير	فبراير	مارس	أفريل	ماي	جوان	جويلية	أوت	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر	المجموع
متوسط الحرارة	07	14,4	13,5	14,5	23,5	25	27	27,8	21,5	18,2	12,3	09,5	[illegible]

متوسط الحرارة السنوي حسب إحصائيات 1995


معدل درجة الحرارة شهريا.
كمية الامطار شهريا
كمية الامطار / السنة : ١٧٧ مم
300 مم
J
F
M
A
Mai
Juin.
Ju
Ao
Sep.
Oct
Nov.
Dec
J
2 mm.



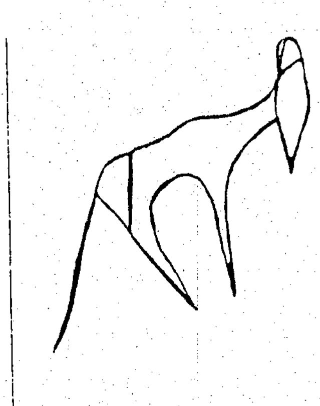
نقش يمثل حيوان
- النعام -

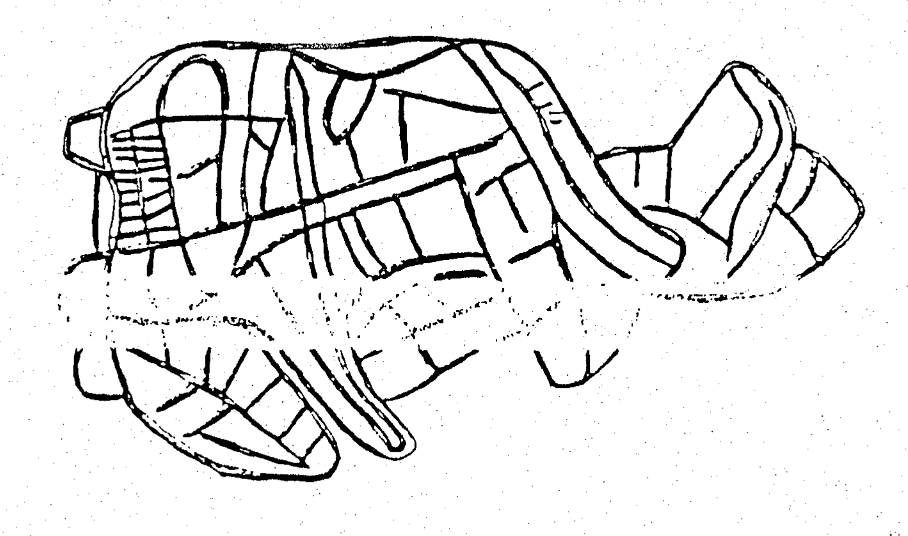


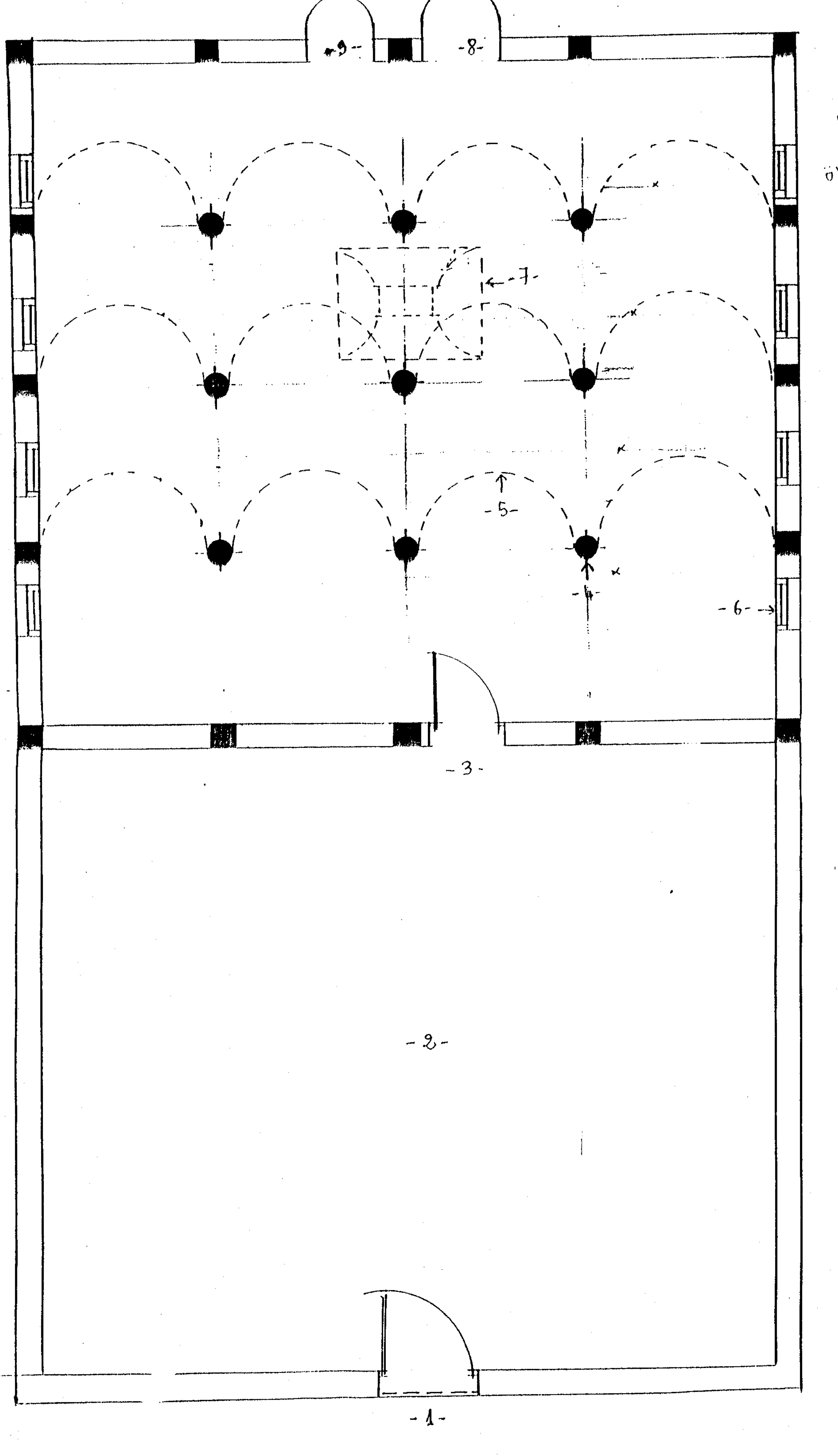
نقش يمثل صورة
الفيل





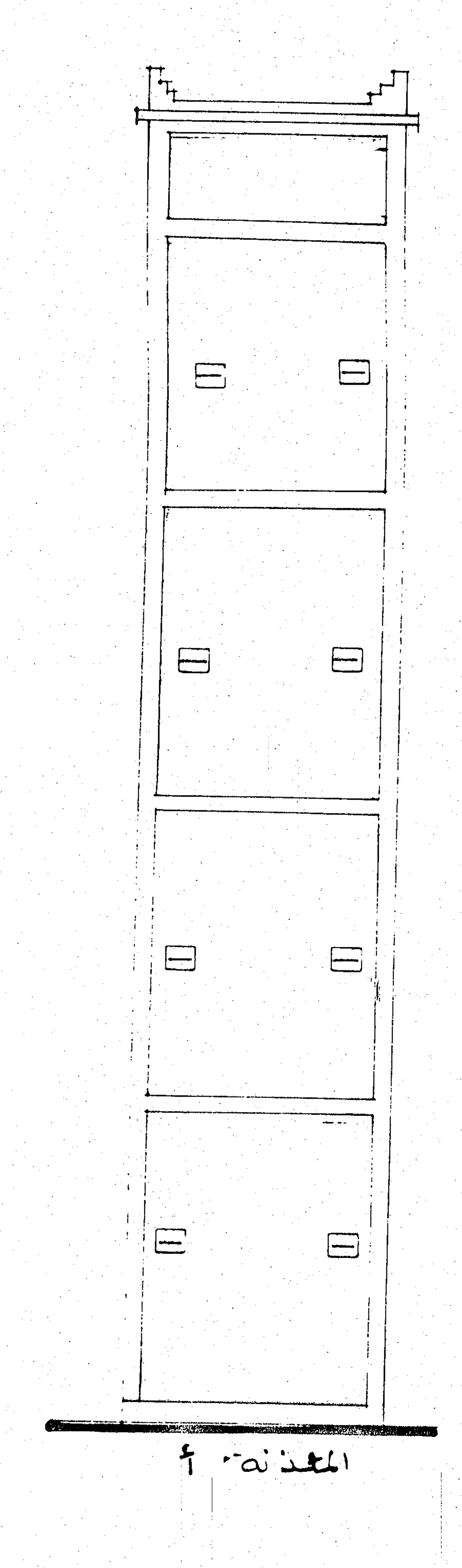




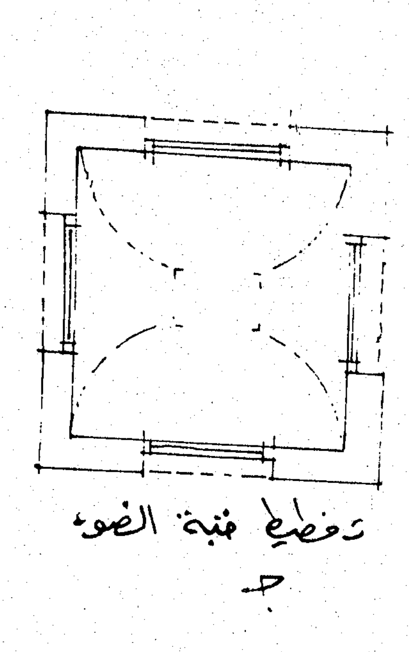


- العمارة الدينية -

- 1- مدخل الصحن
- 2- الصحن
- 3- مدخل بيت الصلاة
- 4- الأعمدة
- 5- العقود
- 6- النوافذ
- 7- قبة الضوء
- 8- المنبر
- 9- المحراب

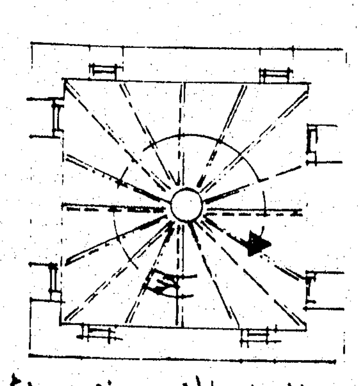


المئذنة: أ



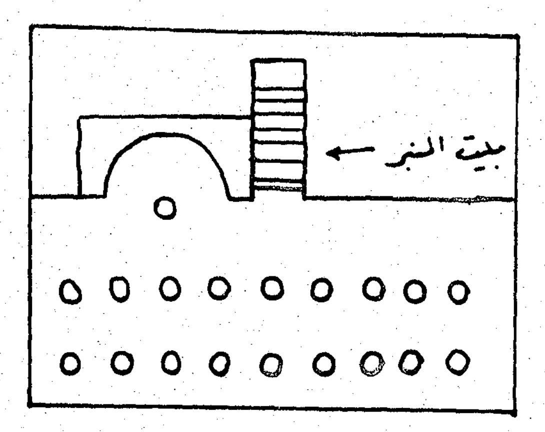
تخطيط قبة الضوء

ج

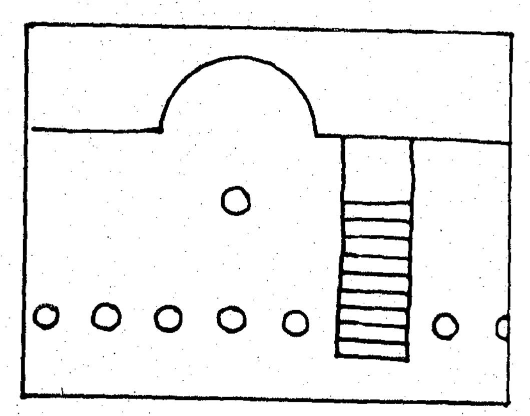


السلم الذي يقود لأعلى المئذنة

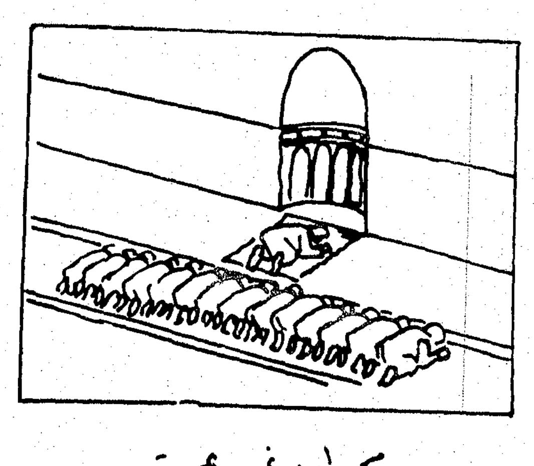
ب



منبر داخل جدار القبلة لا يقطع امتداد صفوف المصلين شكل أ



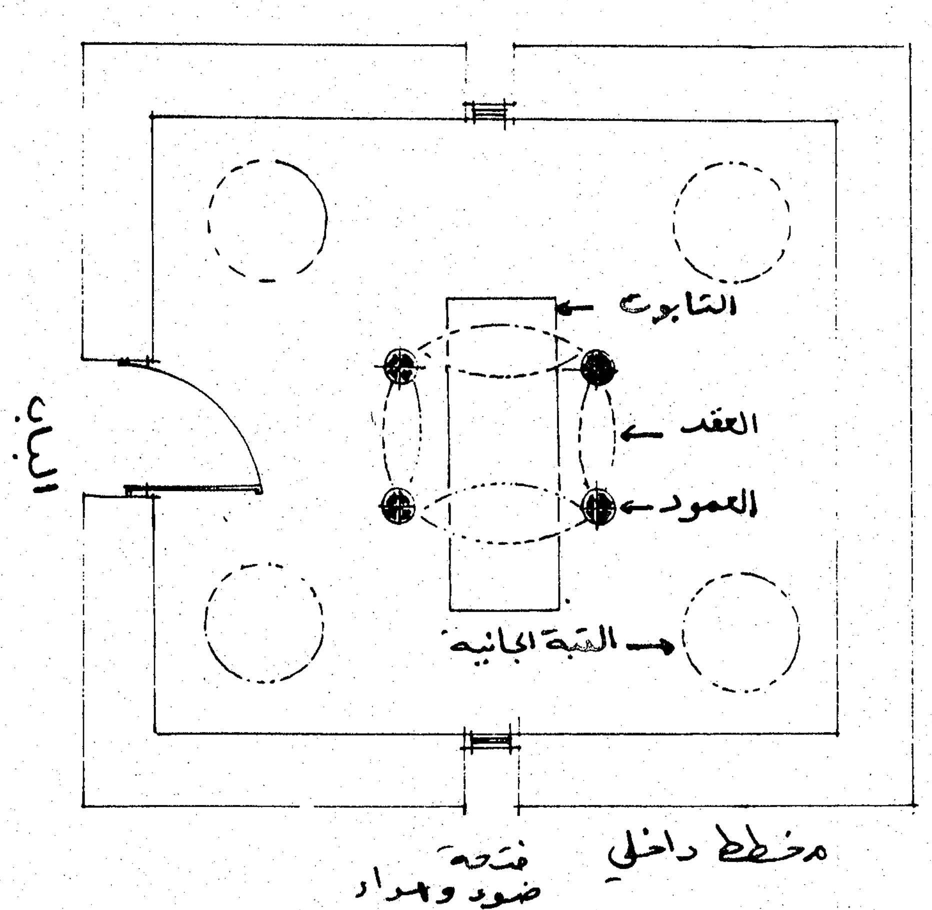
منبر خارج عن جدار القبلة يقطع امتداد صف المصلين شكل ب

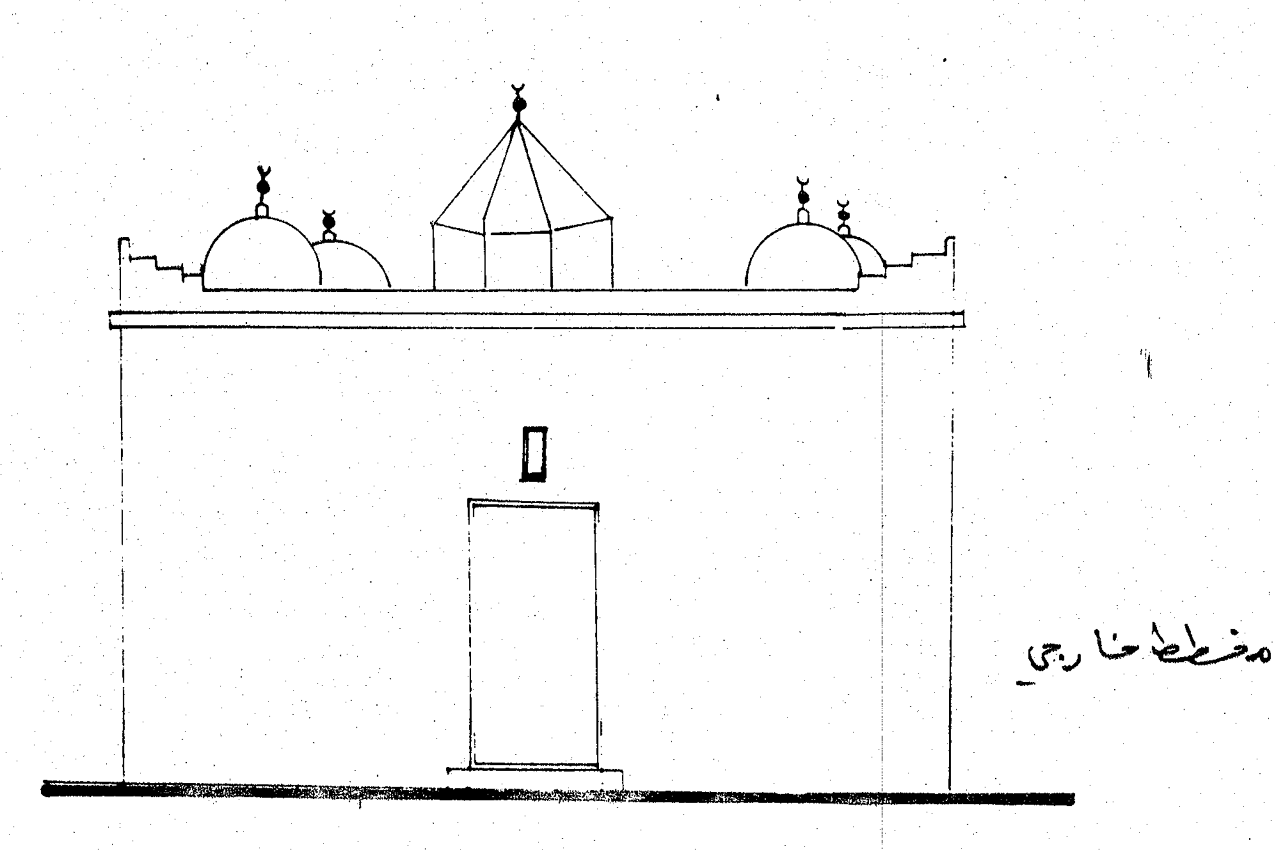


محراب غير عميق شكل ج


توزيع الأضرحة على القصر
-1- ضريح سيد الشيخ
-2- ضريح سيدي عبد القادر محمد
-3- ضريح مولاي عبد القادر
-4- ضريح سيد الحاج بلقاسم
-5- ضريح سيدي إبراهيم
-6- ضريح سيدي سليمان بلحاج
-7- ضريح سيدي علي بن عيسى
-8- ضريح سيدي عبد السلام

ضريح سيد الشيخ





الباب

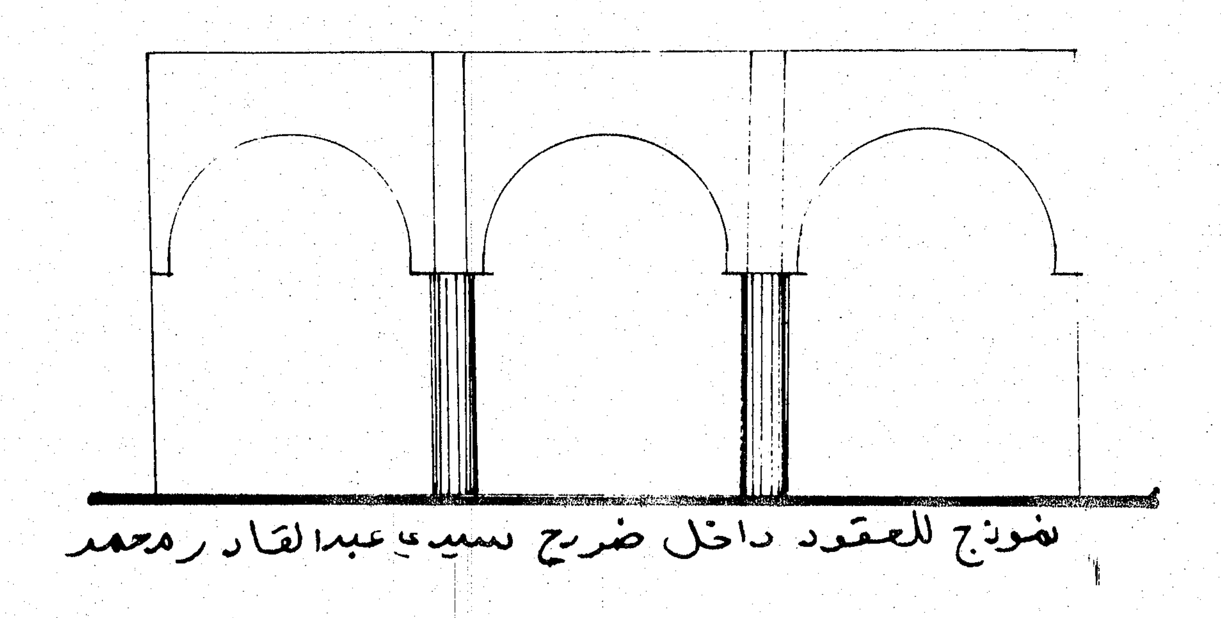
السلم الذي يقود لأسفل الضريح

العمود

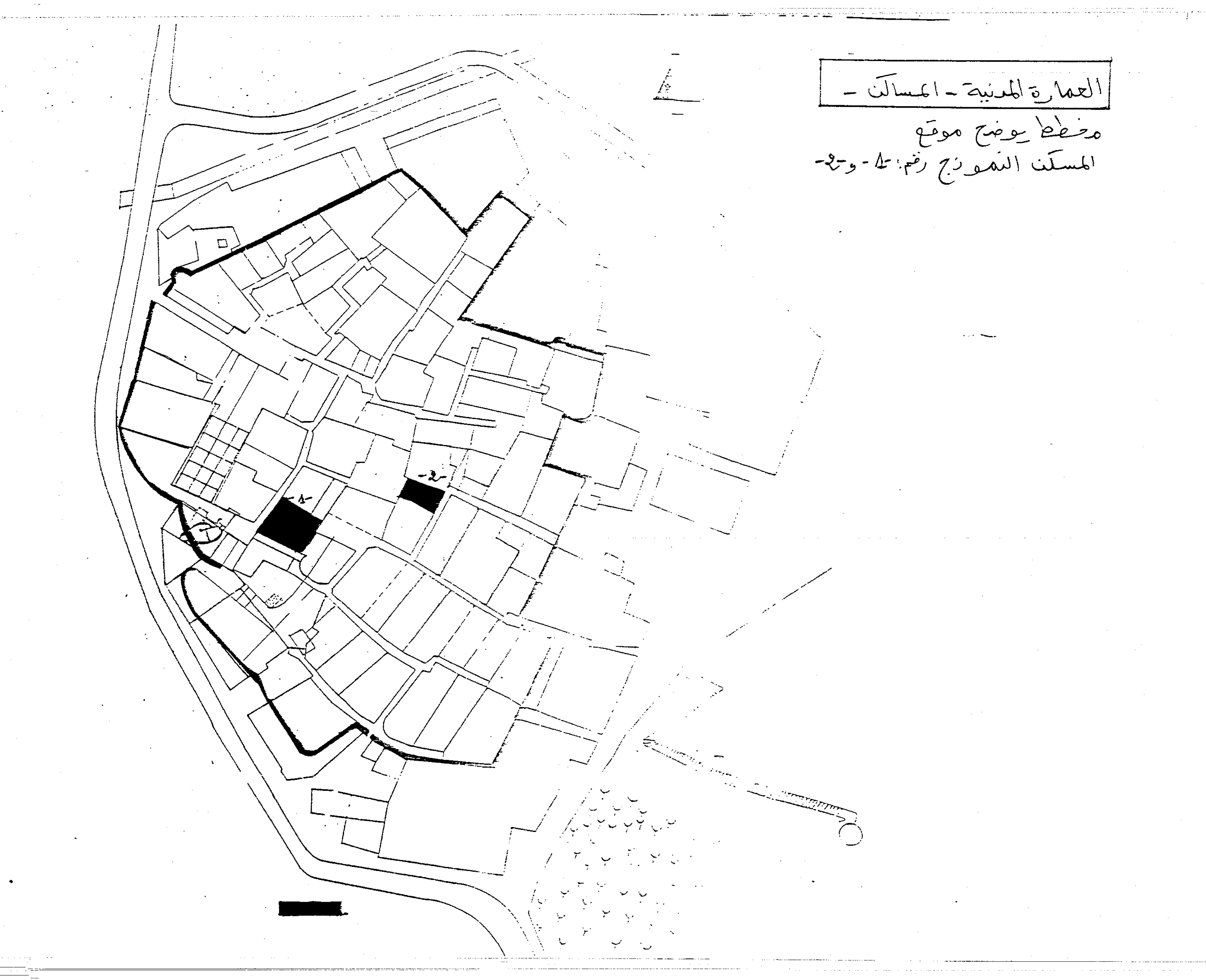
العقد

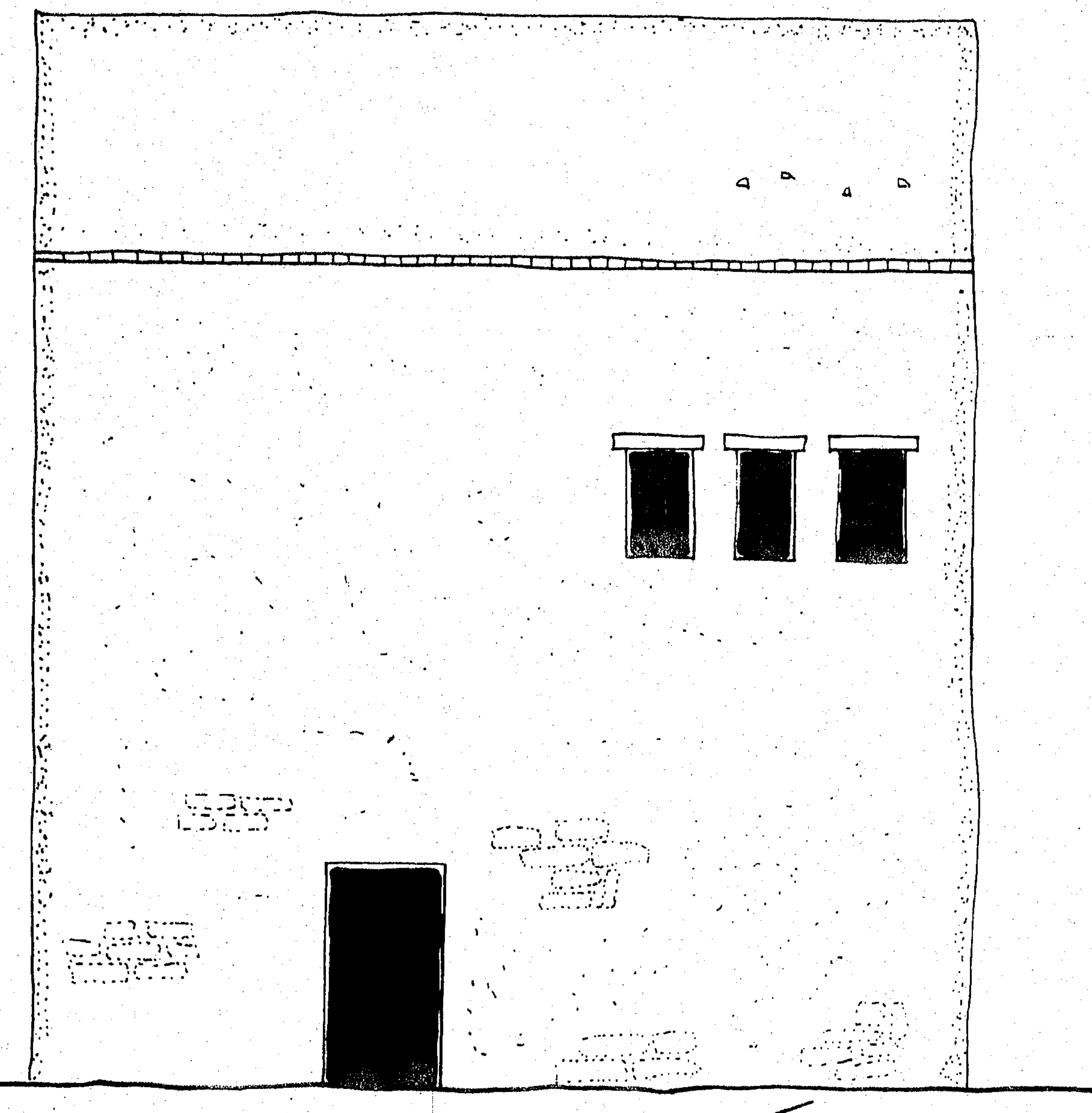
الفتحات الجانبية

مخطط داخلي

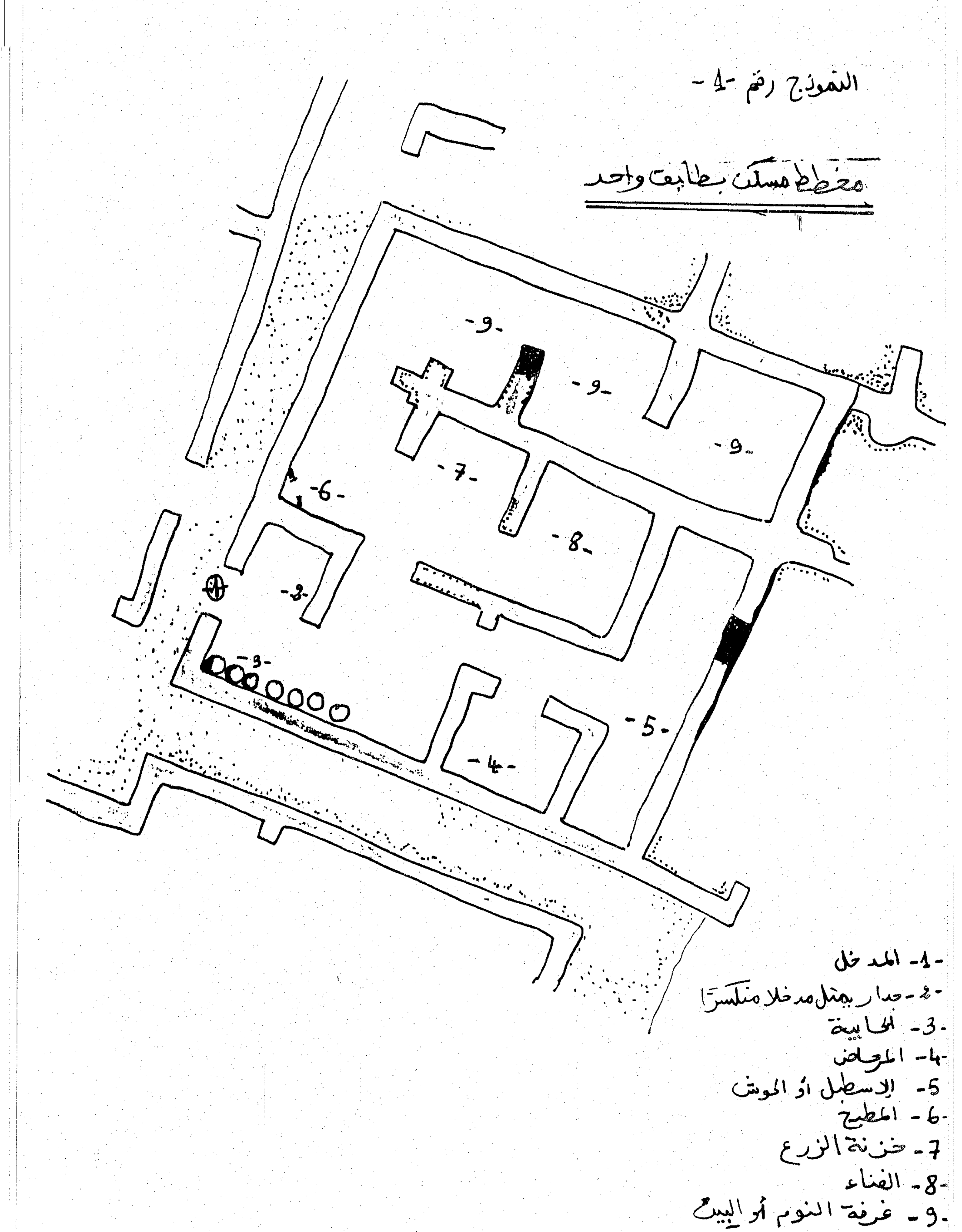


نموذج للعقود داخل ضريح سيدي عبدالقادر محمد


العمارة المدنية - المساكن -
مخطط يوضح موقع
المسكن النموذج رقم: -1- و -2-
-1-
-2-



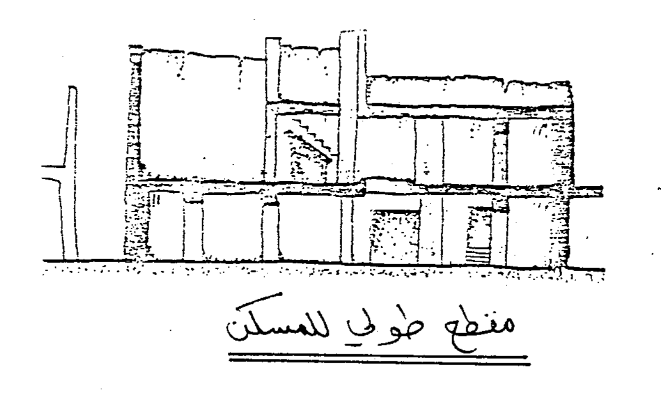
مسكن من طابق واحد (RDC) تبدو نوافذه
صغيرة وعالية حتى تحجب عن المار ما بالداخل .


النموذج رقم -1-
مخطط مسكن بطابق واحد
-9-
-9-
-9-
-7-
-6-
-8-
-2-
-3-
-4-
-5-
-1- المدخل
-2- جدار يمثل مدخلا منكسرا
-3- الخابية
-4- المرحاض
-5- الإسطبل أو الحوش
-6- المطبخ
-7- خزنة الزرع
-8- الفناء
-9- غرفة النوم أو البيت

-العمارة المدنية - المساكن-

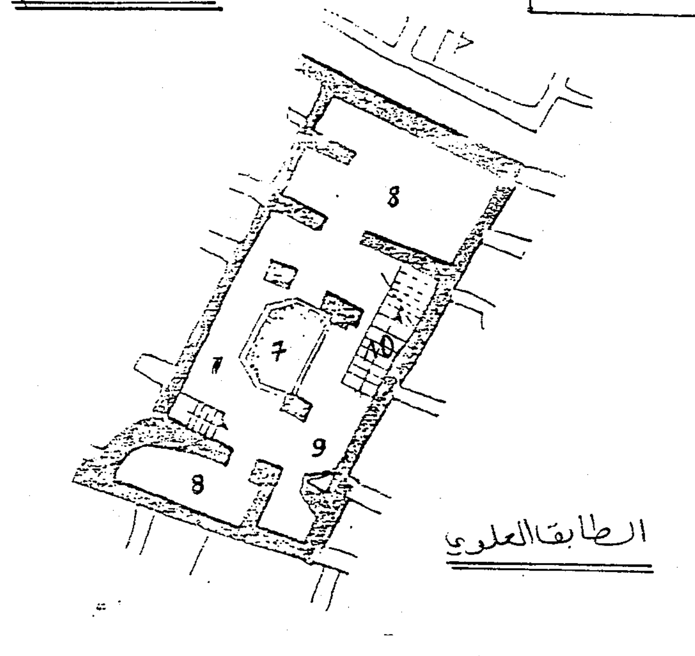
-نموذج لمسكن - رقم -2-

1 الإسطبل المسمى بالحوش
2 الغرفة التي تفصل الإسطبل عن بقية الغرف Antichambre
3 غرف حفظ المأونة وتسمى "بالقصرة"
4 المرحاض
5 خزنة الزرع: وتستعمل لتجفيف الزرع وحفظه
6 ○ الخابية: وهي جرات كبيرة نصفها داخل الأرض والنصف الآخر بالخارج
7 الفناء أو كما يسمى بالسواري "وسط الدار"
8 غرف نوم وتسمى بالبيت
9 المطبخ
10 السلم "السلوم"

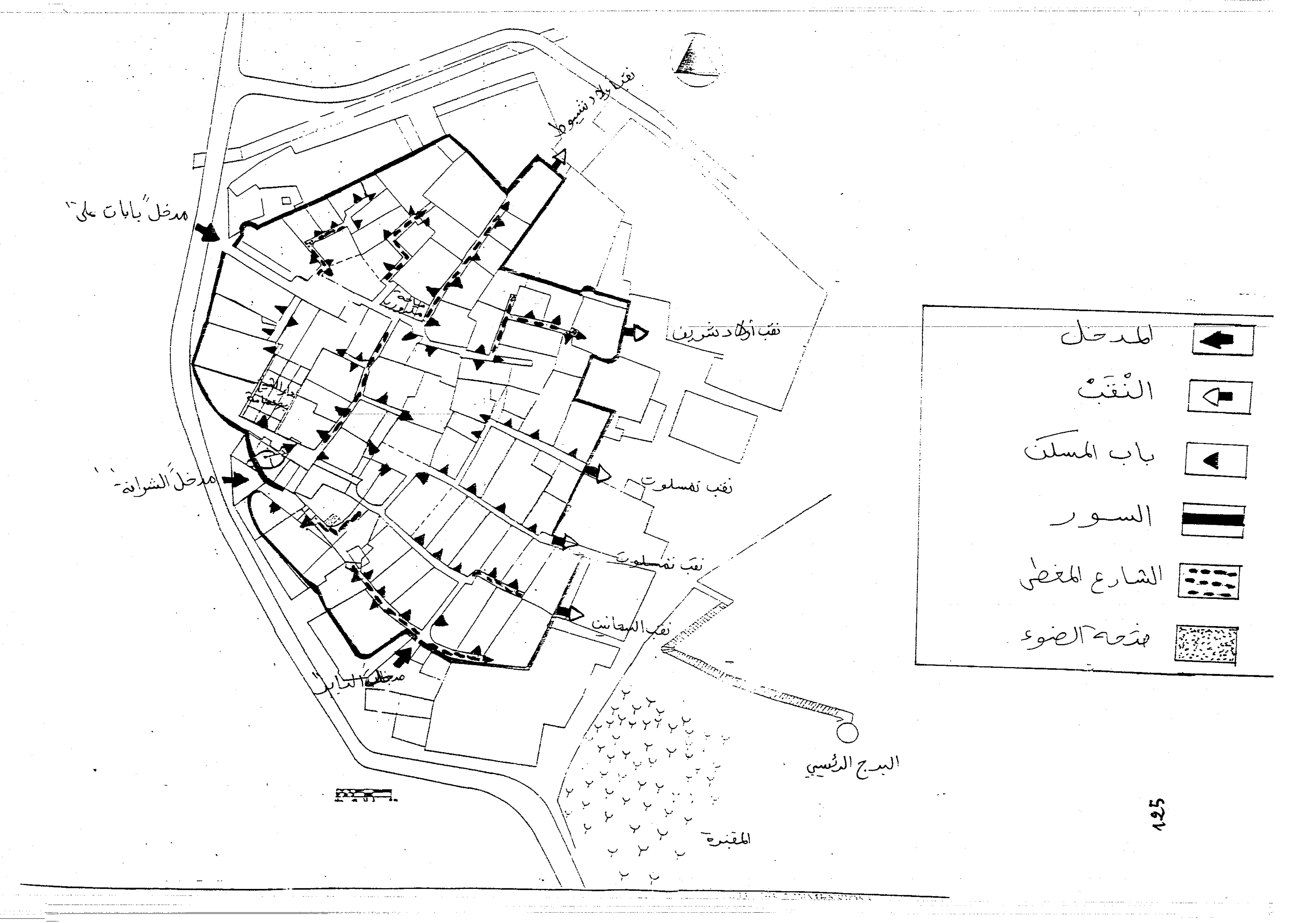


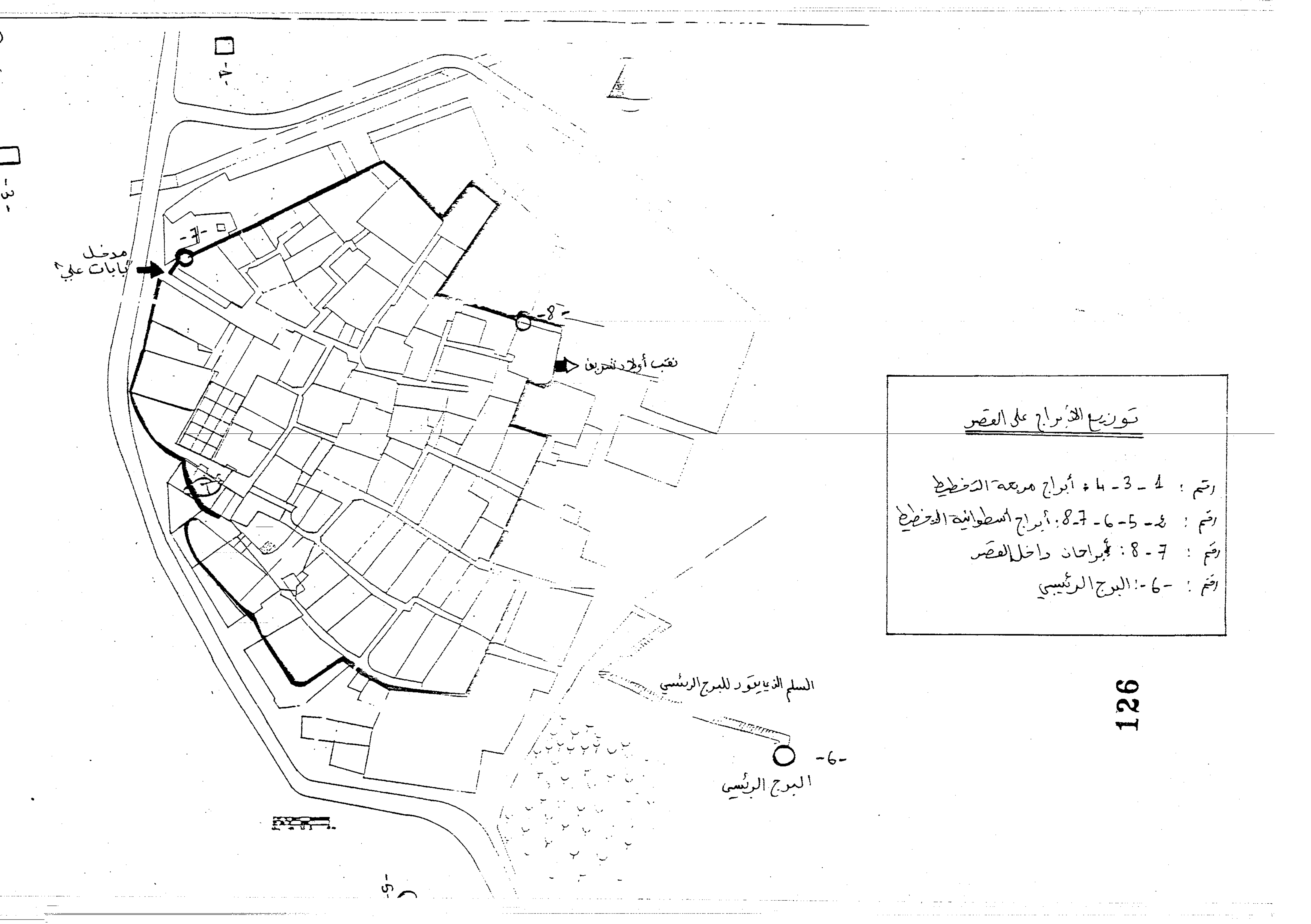
مقطع طولي للمسكن

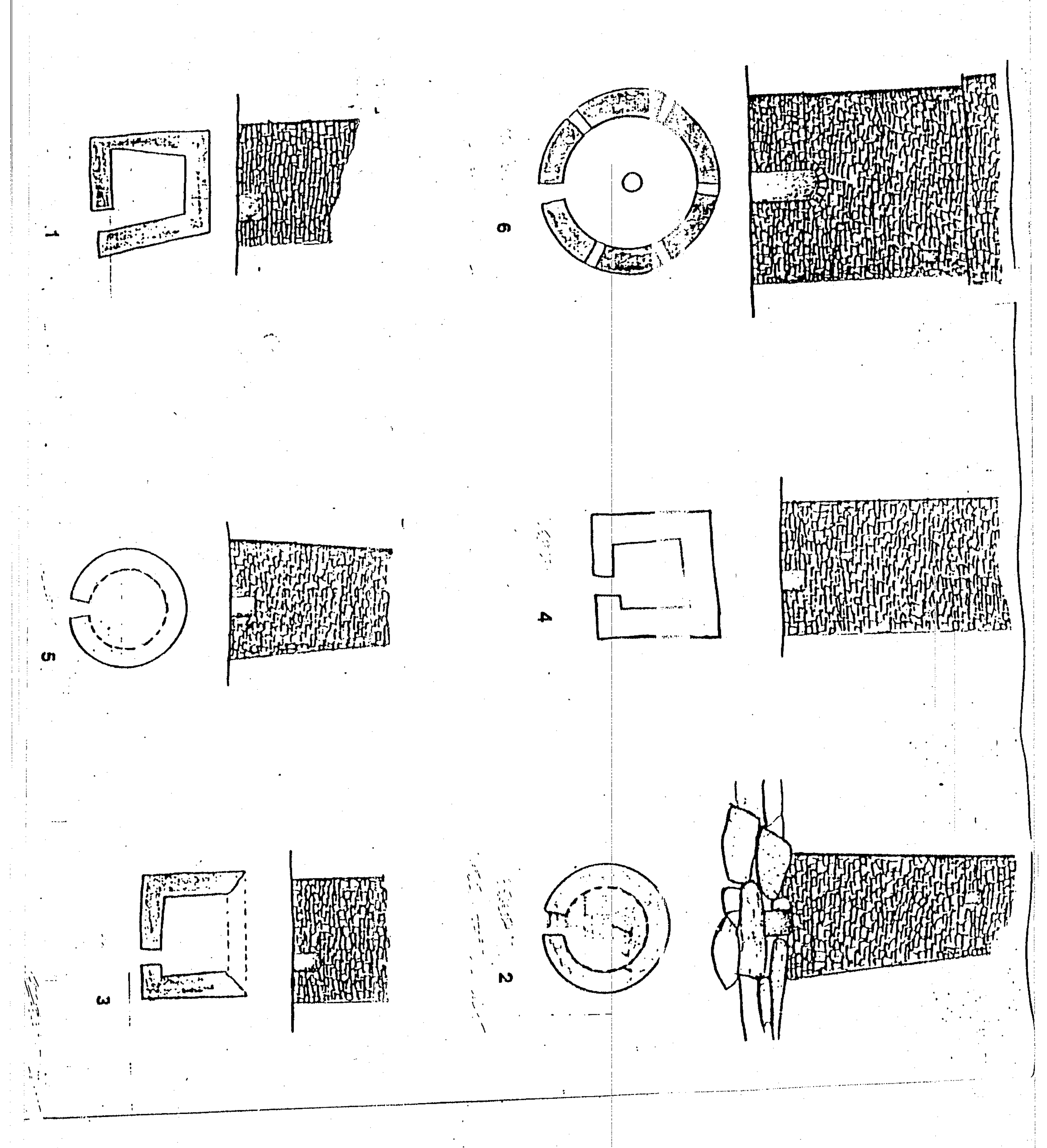
الطابق السفلي

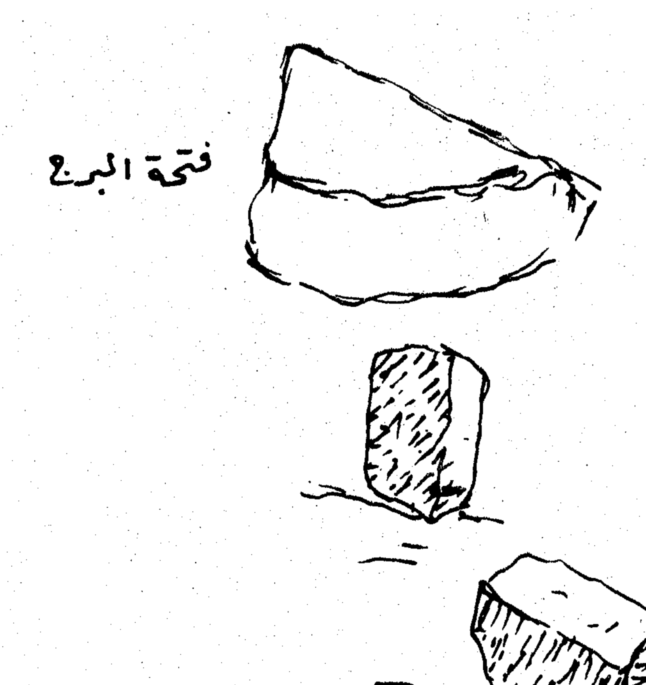


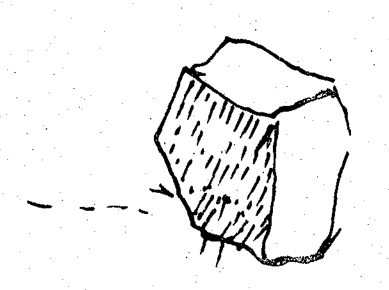
الطابق العلوي

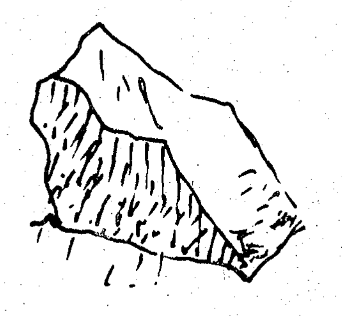

مدخل "بابات علي"
نقب أولاد تنيوط
نقب أولاد شريف
مدخل "الشرانة"
نقب نمسلوت
نقب نمسلوت
نقب السهانين
مدخل "الداير"
البرج الرئيسي
المقبرة
المدخل
النقب
باب المسكن
السور
الشارع المغطى
فتحة الضوء

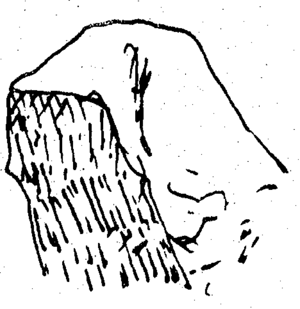

توزيع الأبراج على القصر
رقم : 1 - 3 - 4 : أبراج مربعة التخطيط
رقم : 2 - 5 - 6 - 7 - 8 : أبراج اسطوانية التخطيط
رقم : 7 - 8 : برجان داخل القصر
رقم : -6- : البرج الرئيسي
مدخل "بابات علي"
السلم الذي يؤدي للبرج الرئيسي
البرج الرئيسي
-6-
-7-
-8-
-3-
-4-
-5-


1
2
3
4
5
6

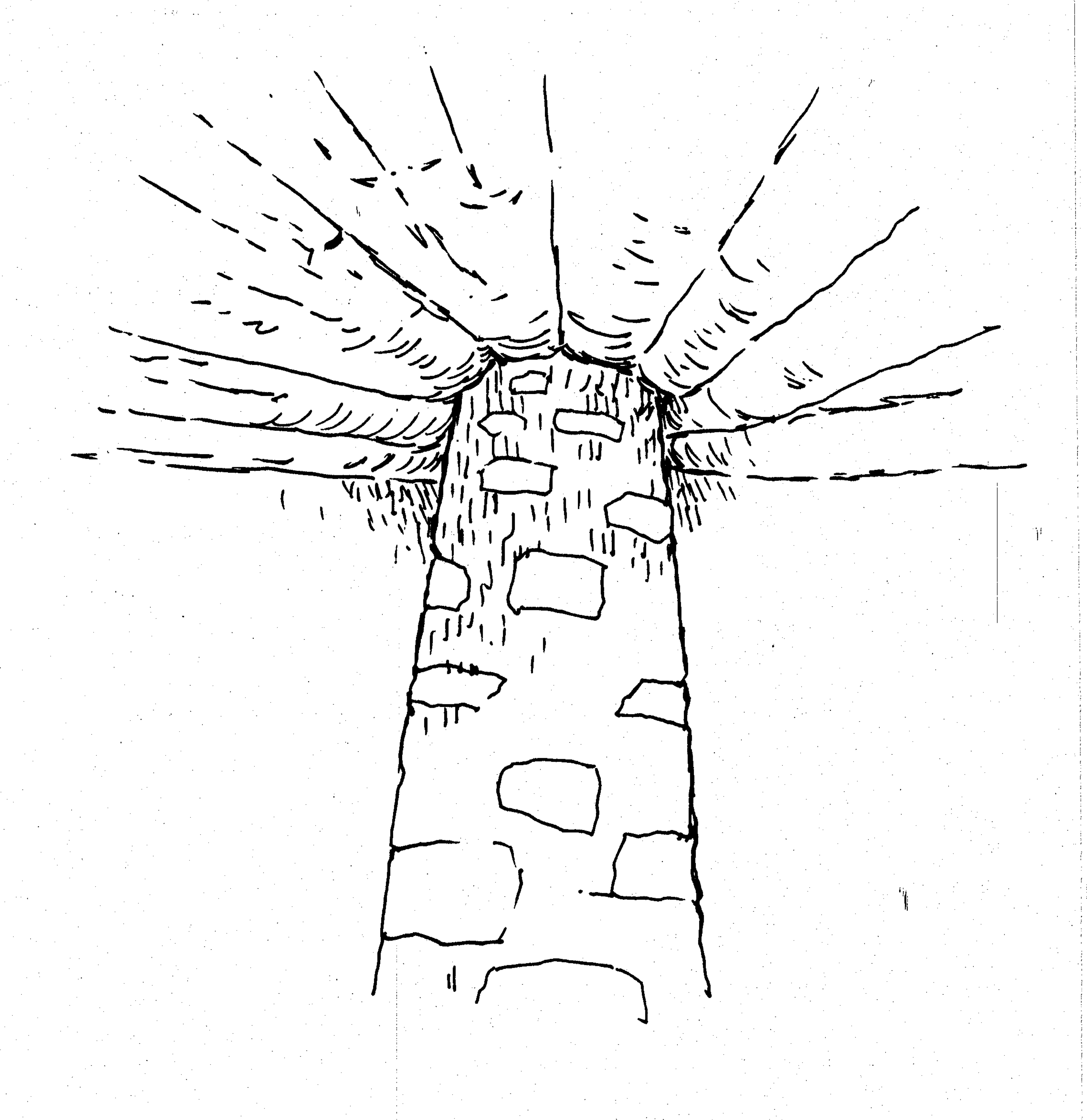




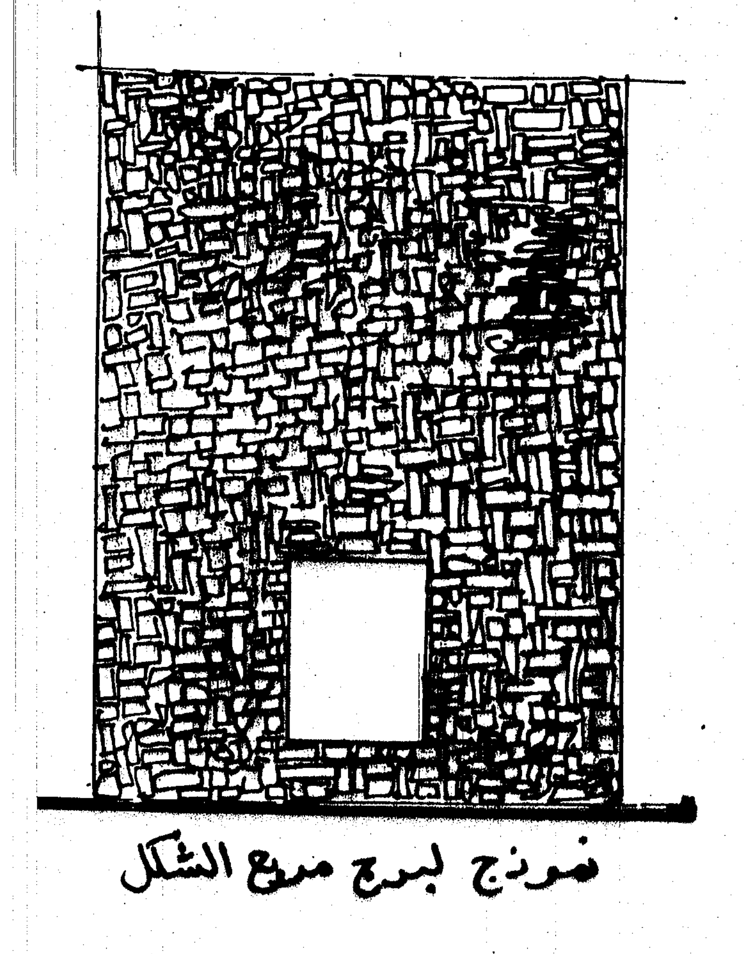




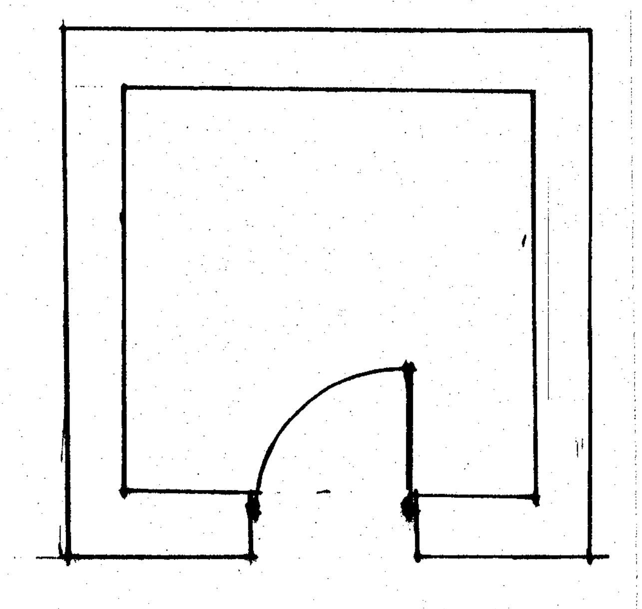
سُلم البرج

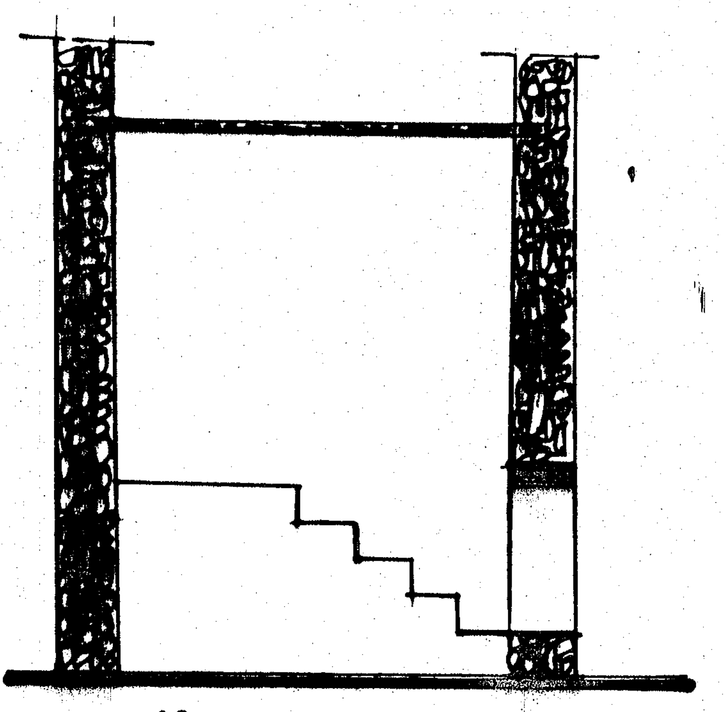


التخطيط الشُعاعي للجذُوع التي
تحمل السَقف.



نموذج لبرج مربع الشكل

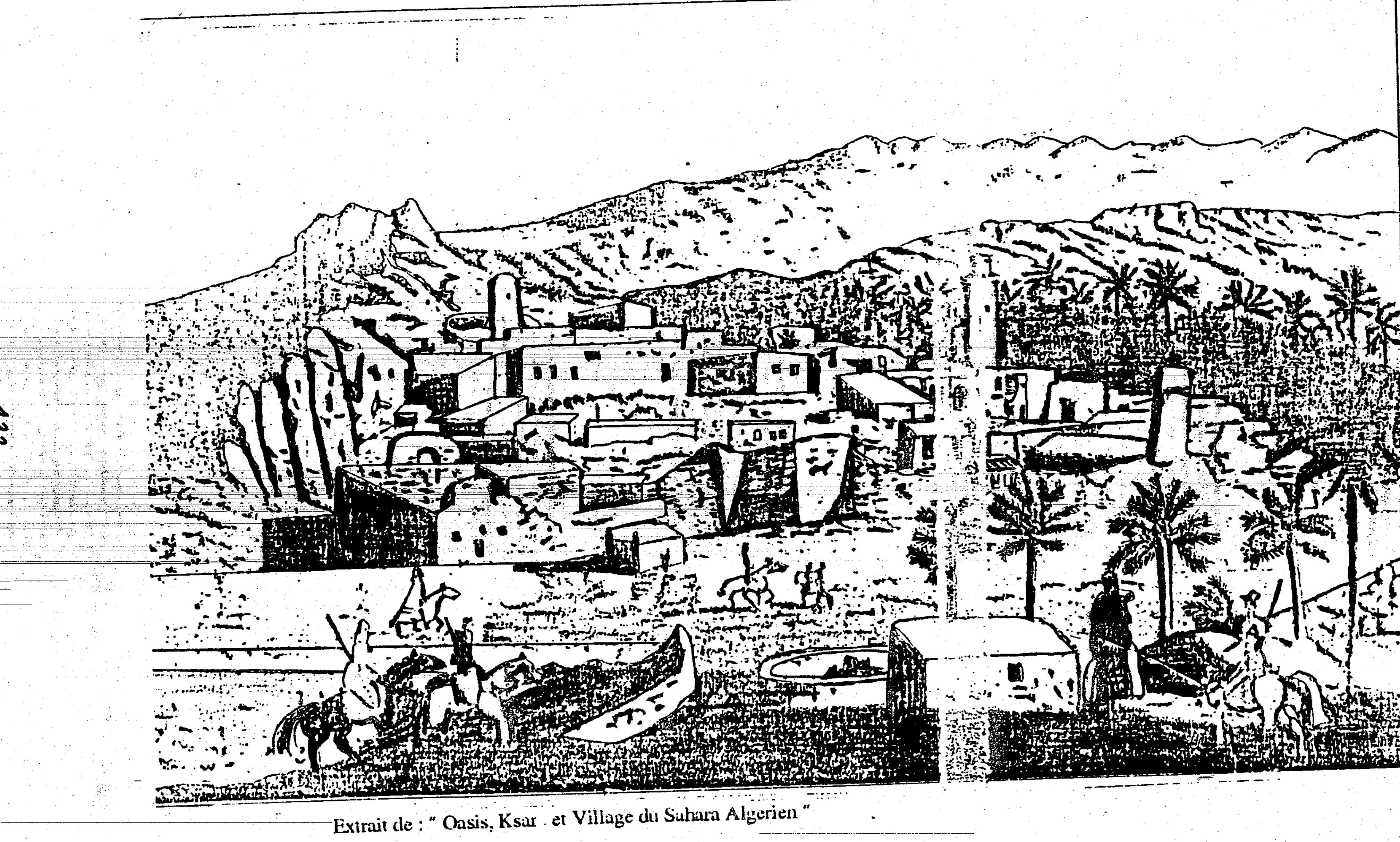




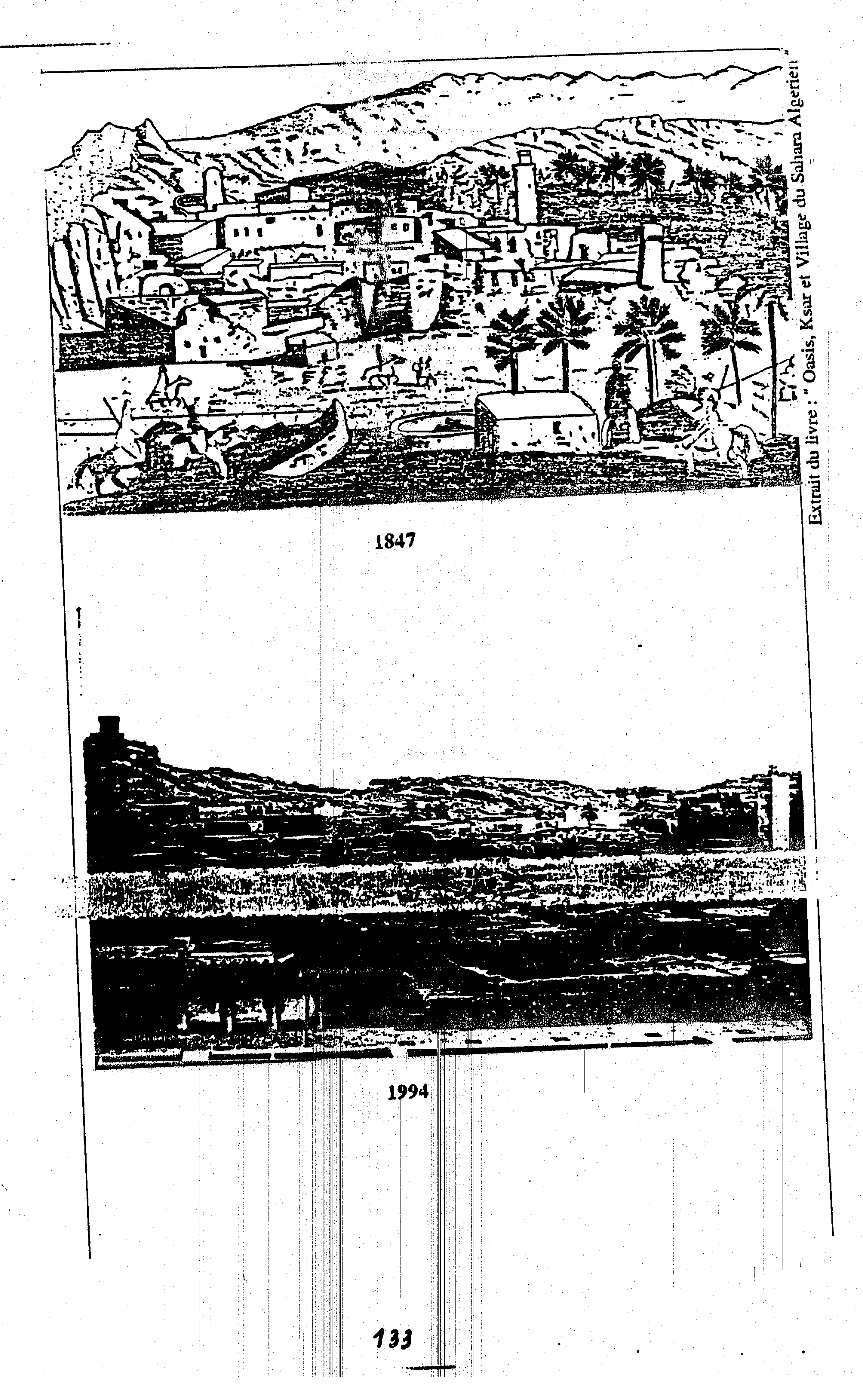
مقطع طولي للبرج







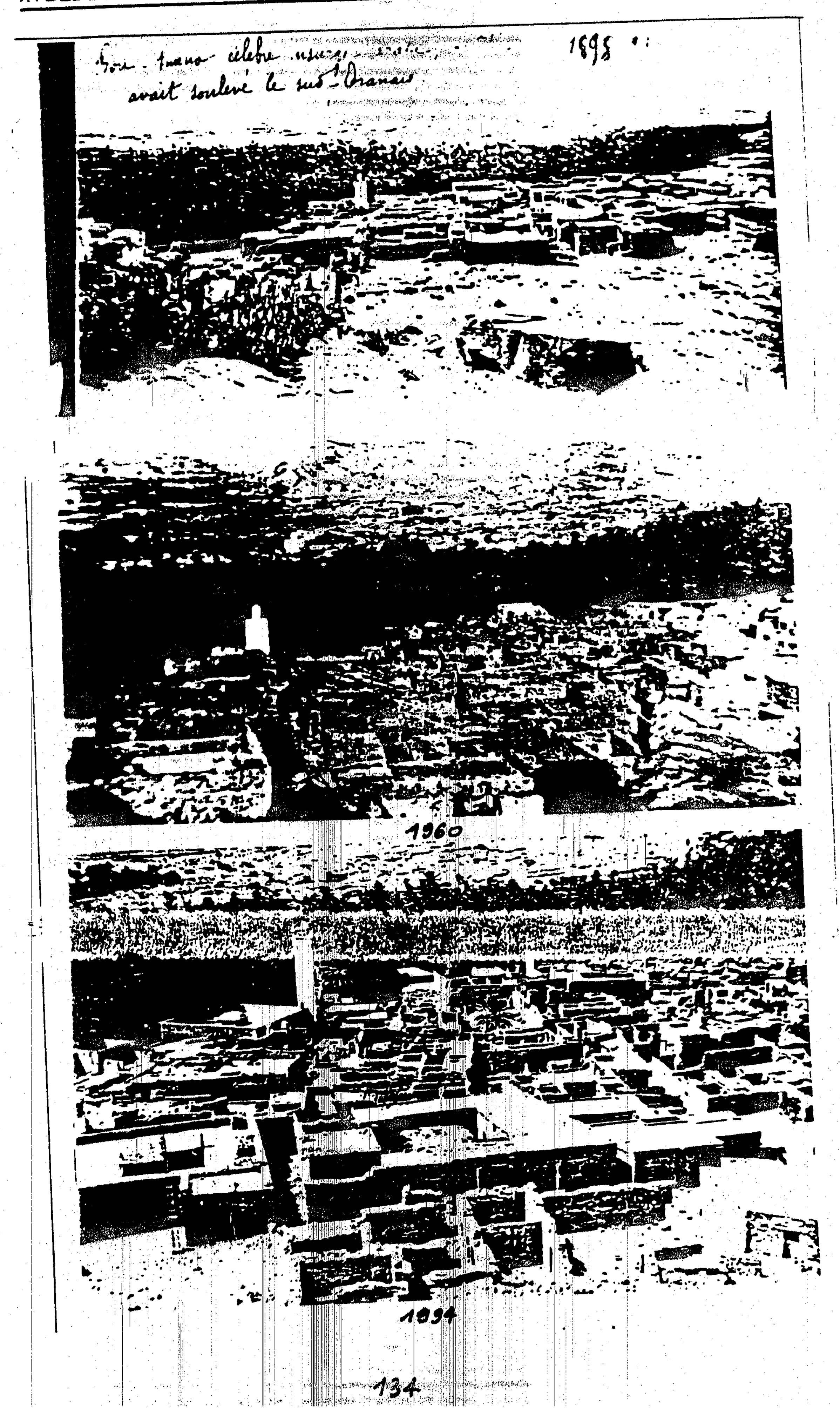
Extrait de : " Oasis, Ksar . et Village du Sahara Algerien "

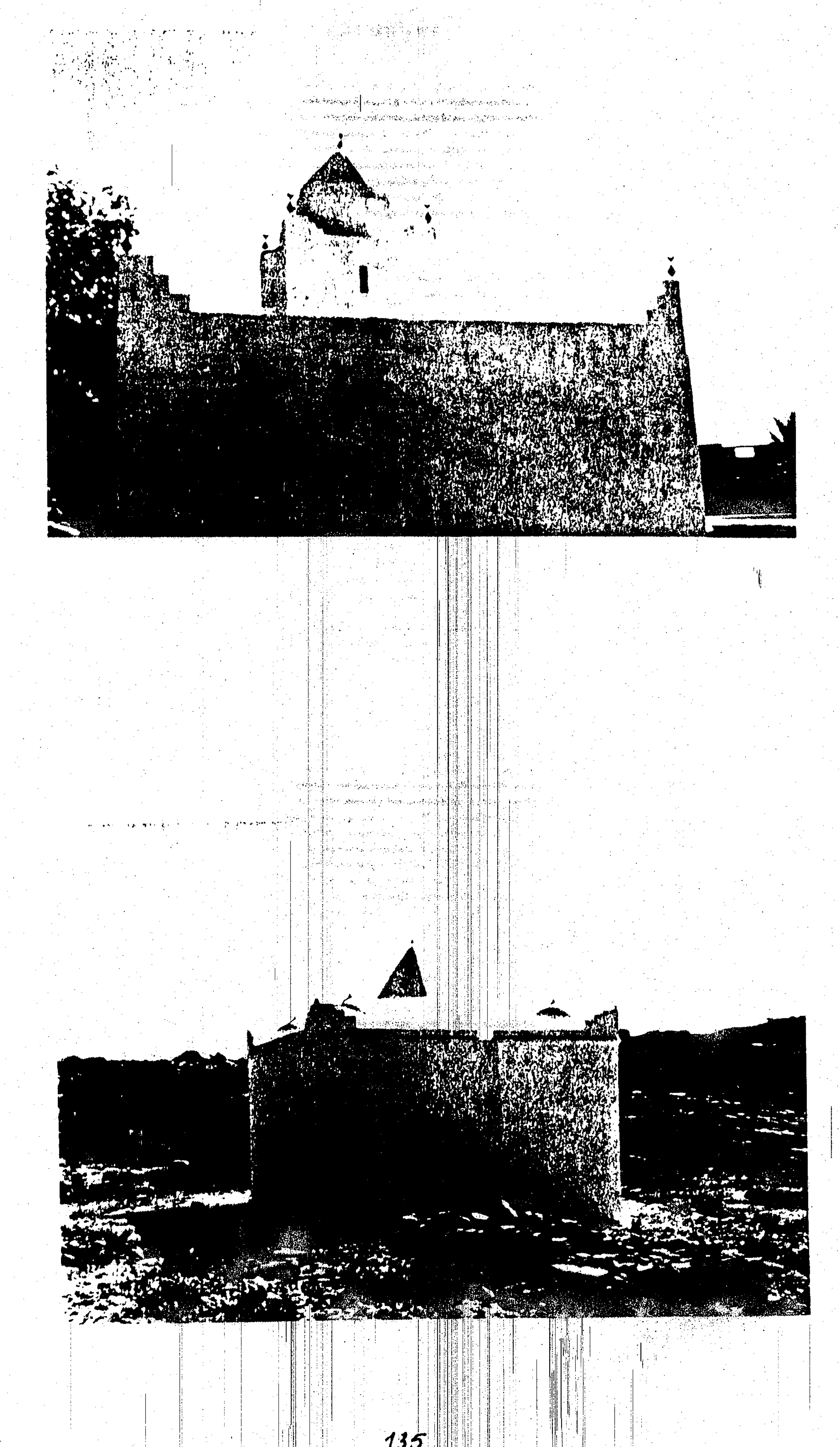


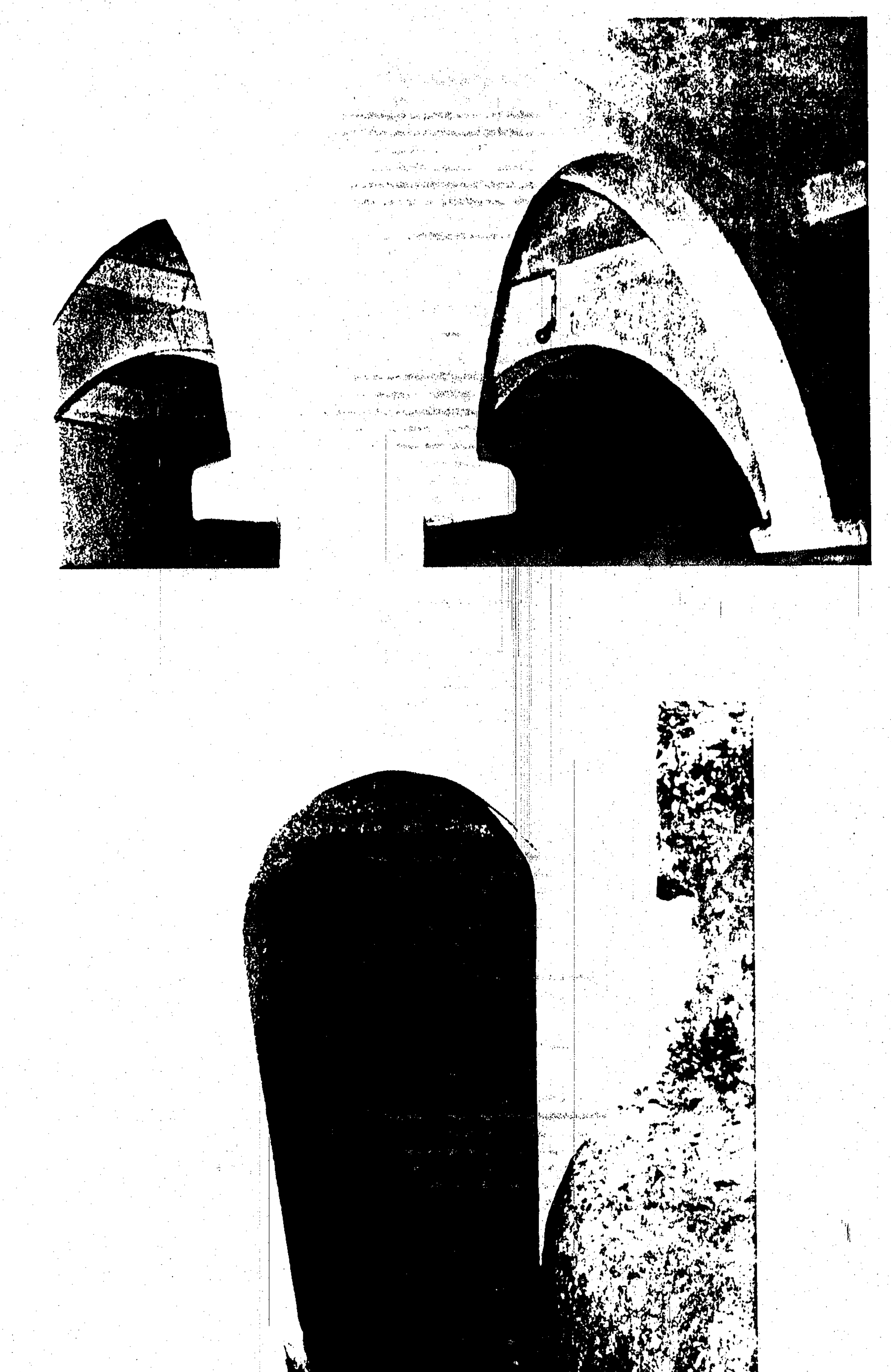
Extrait du livre : " Oasis, Ksar et Village du Sahara Algerien "

1847

1994

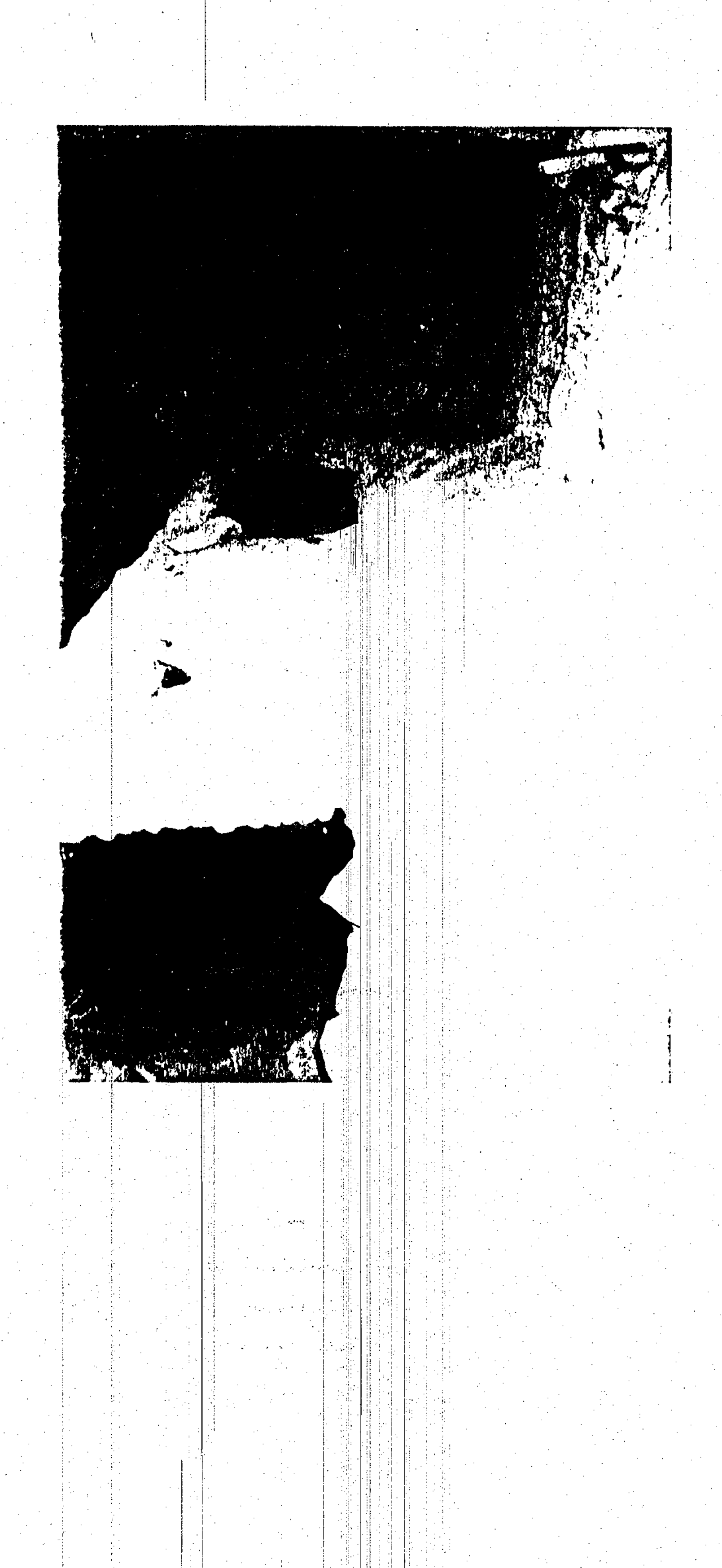

avait soulevé le sud-Oranais
1960
1994

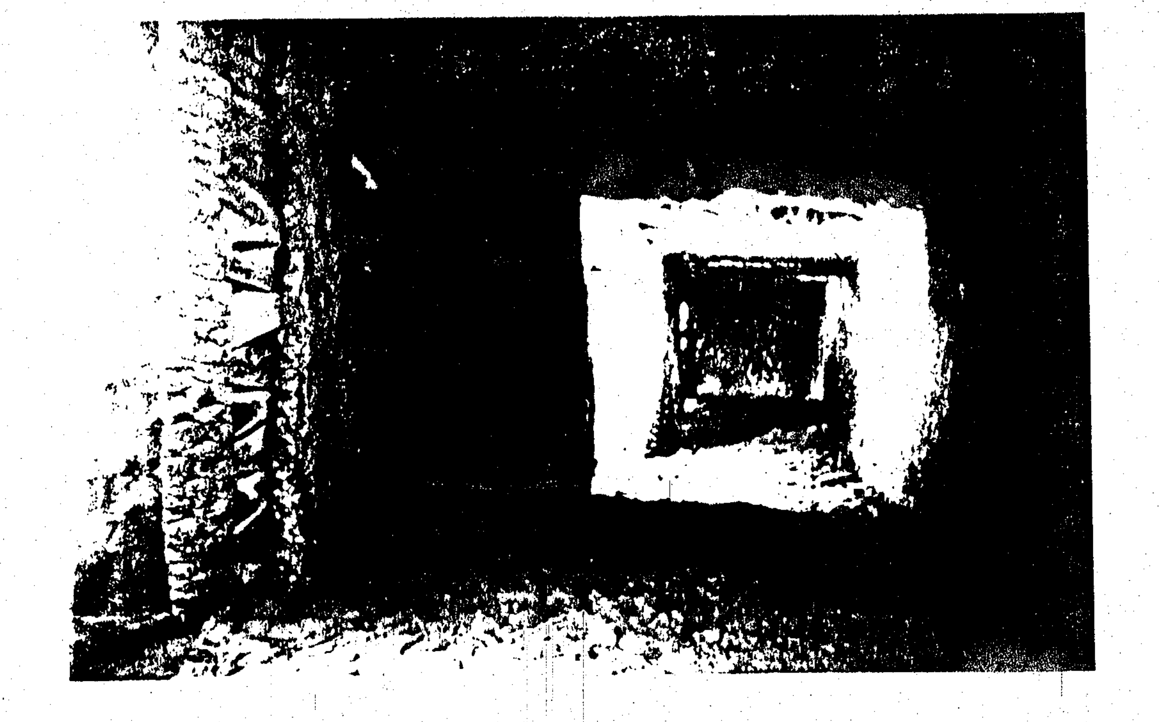




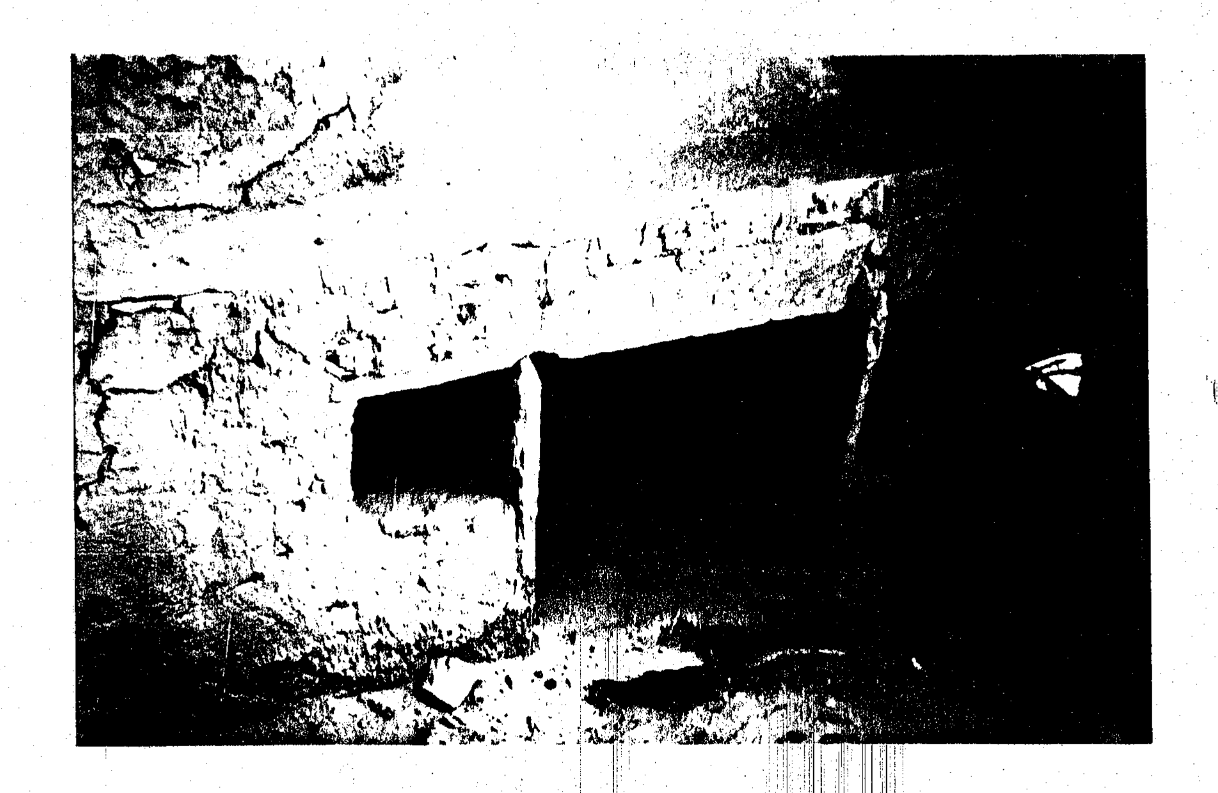


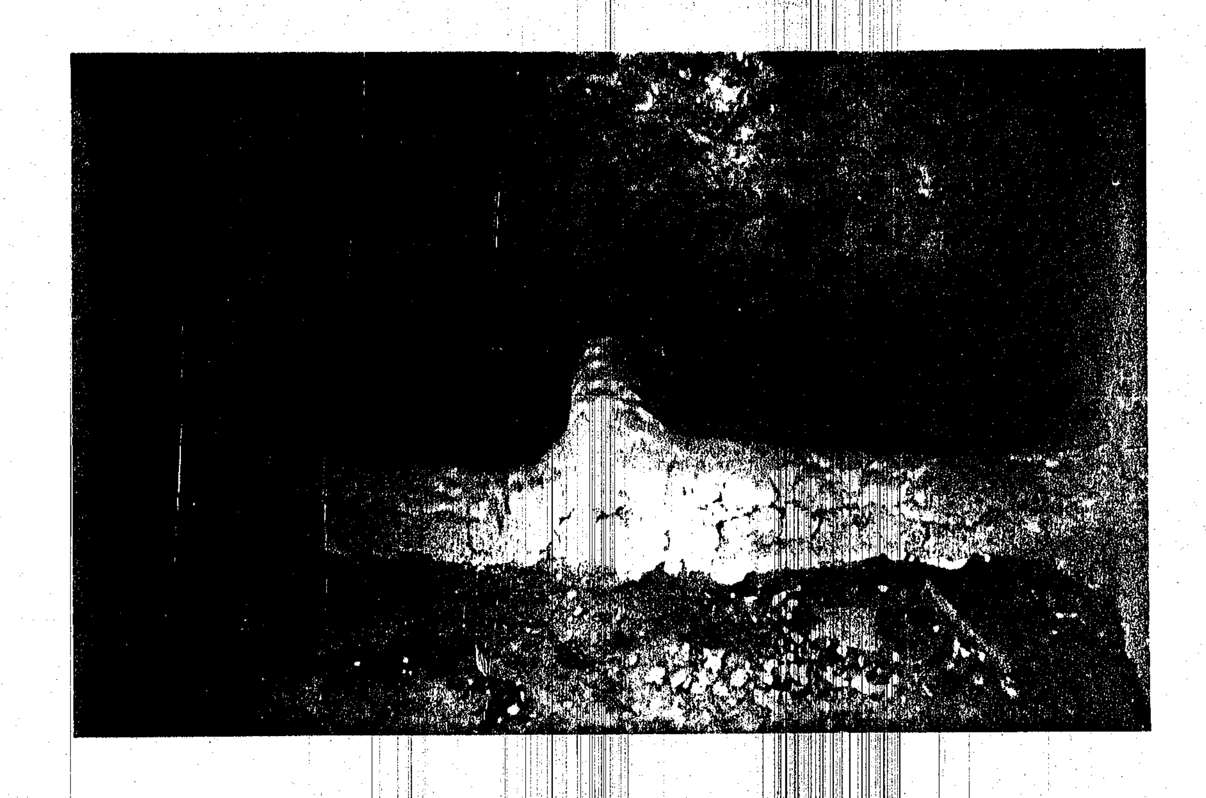


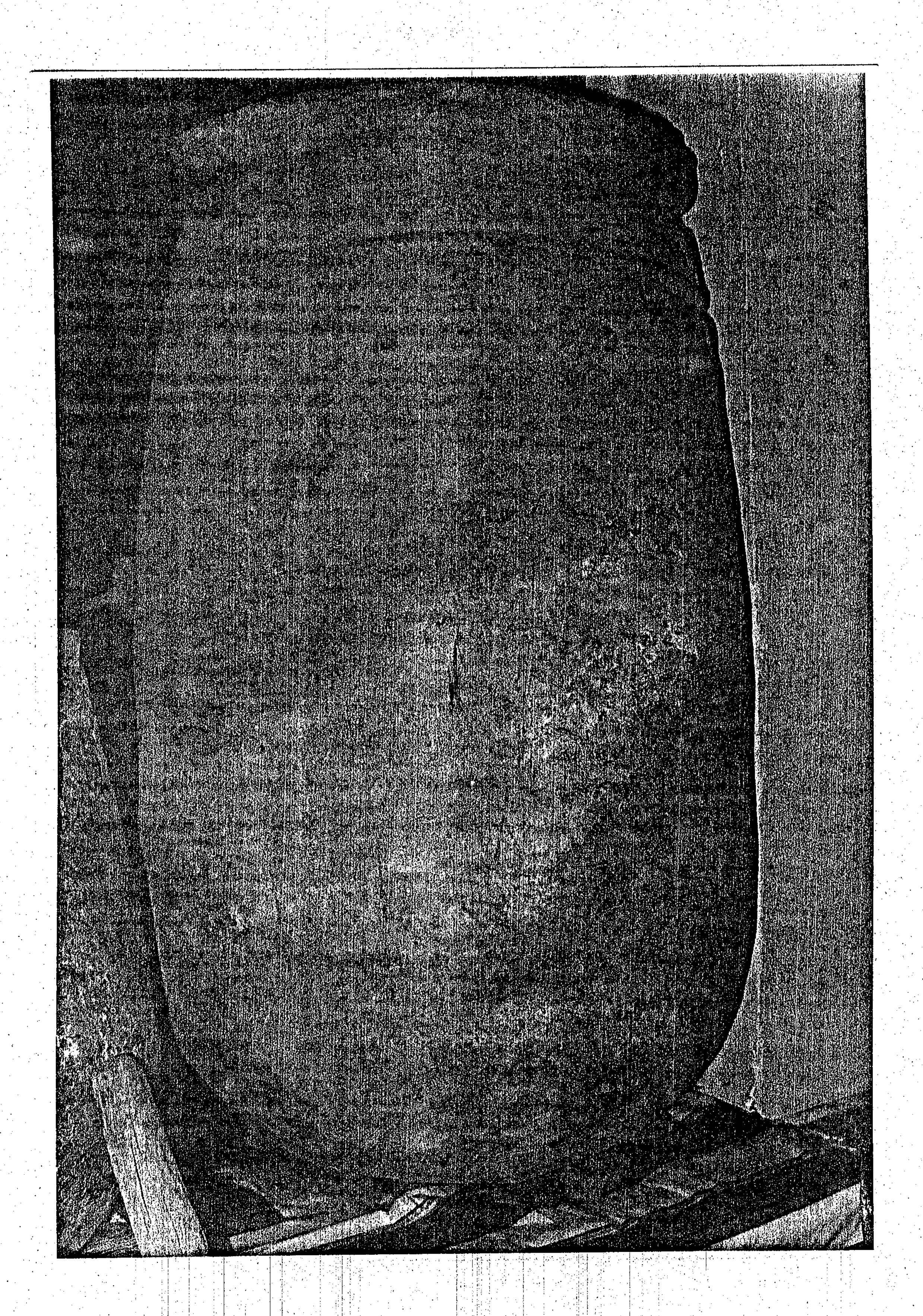


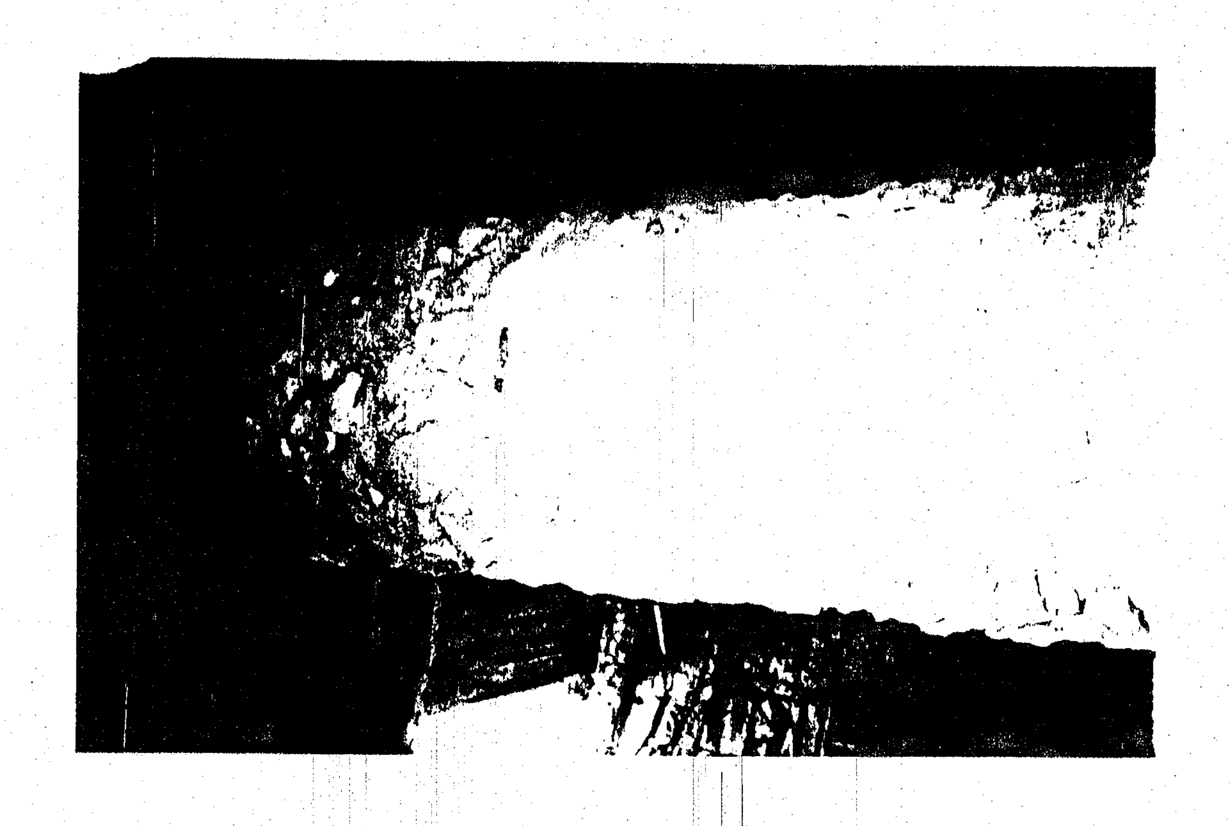


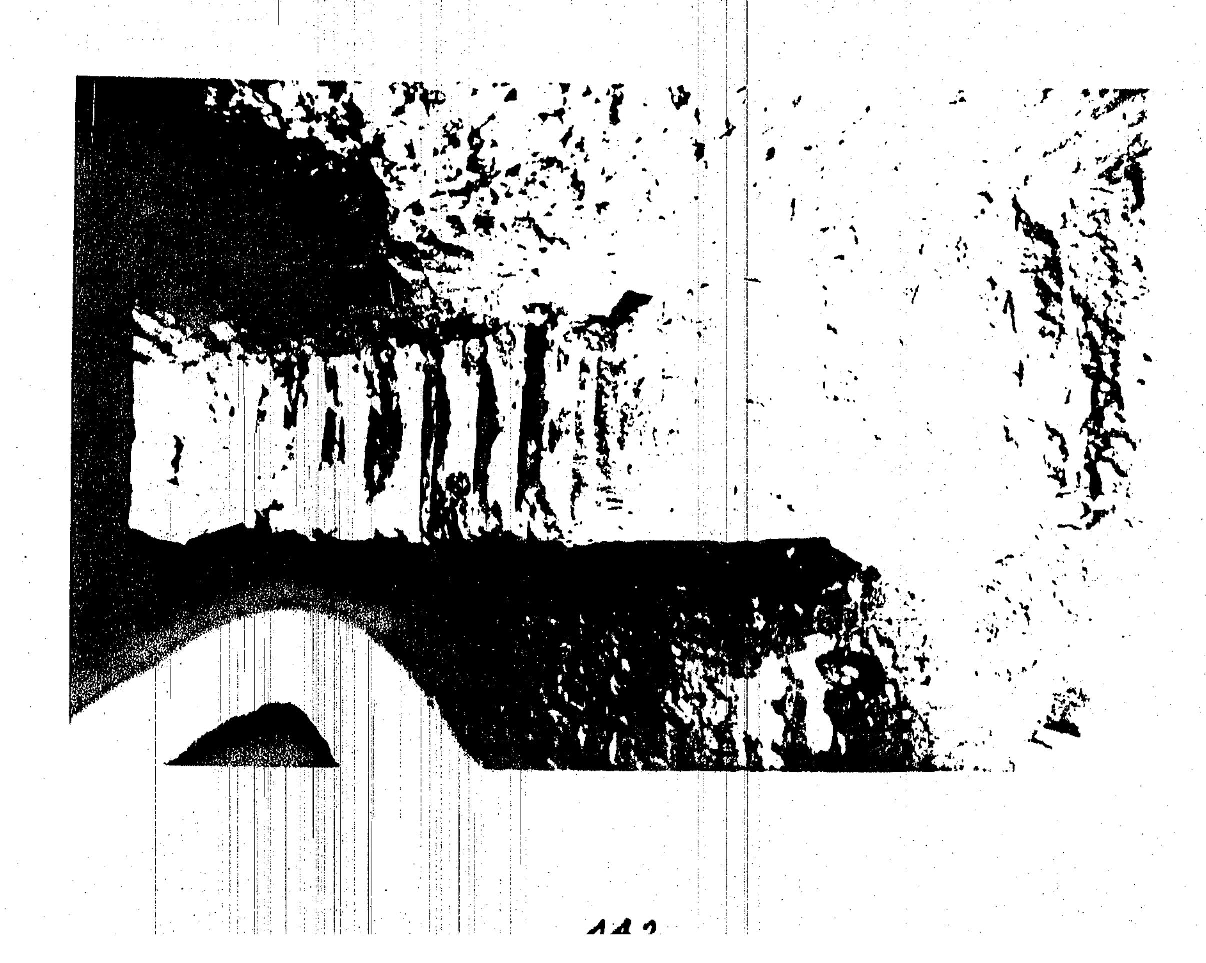






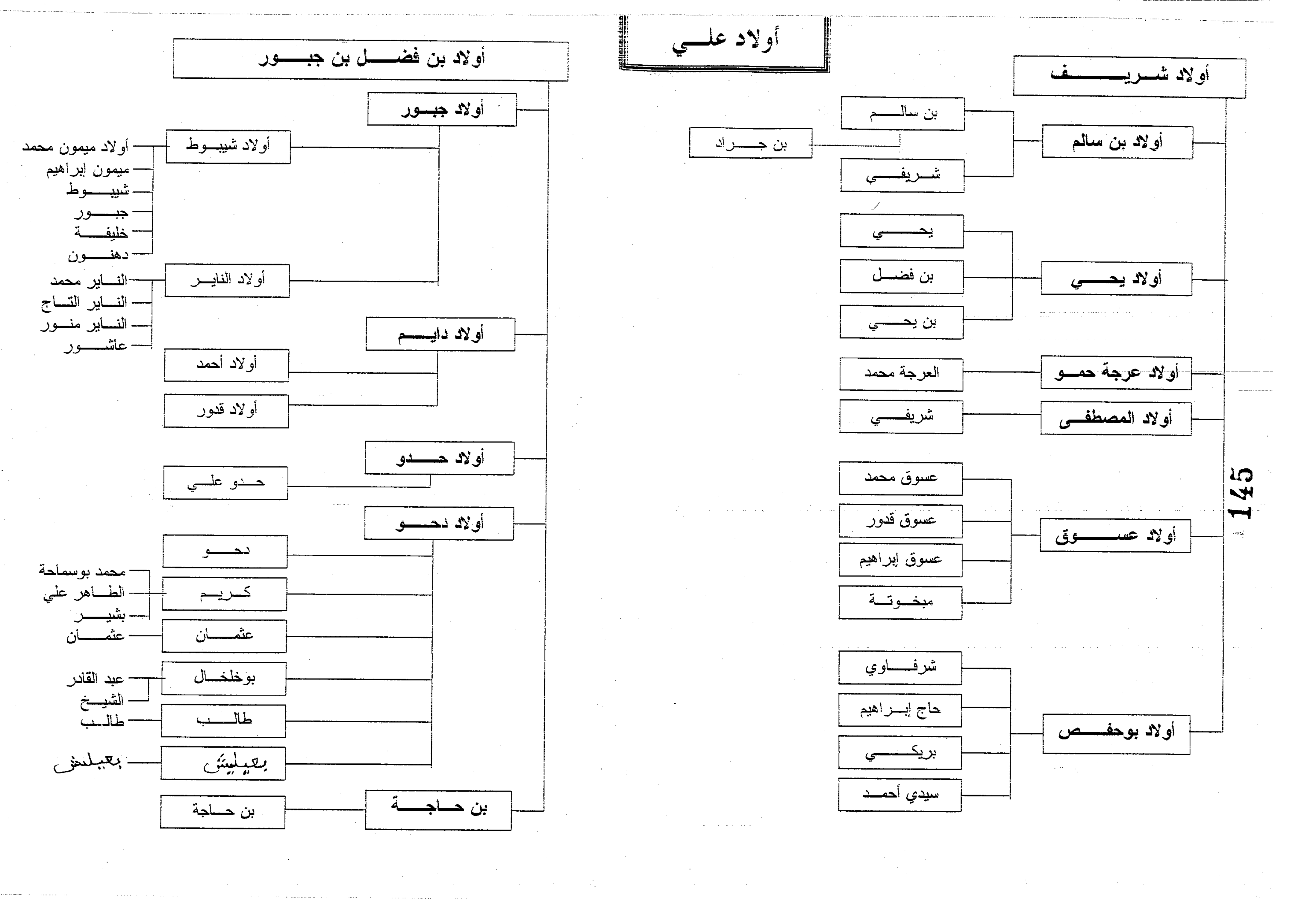


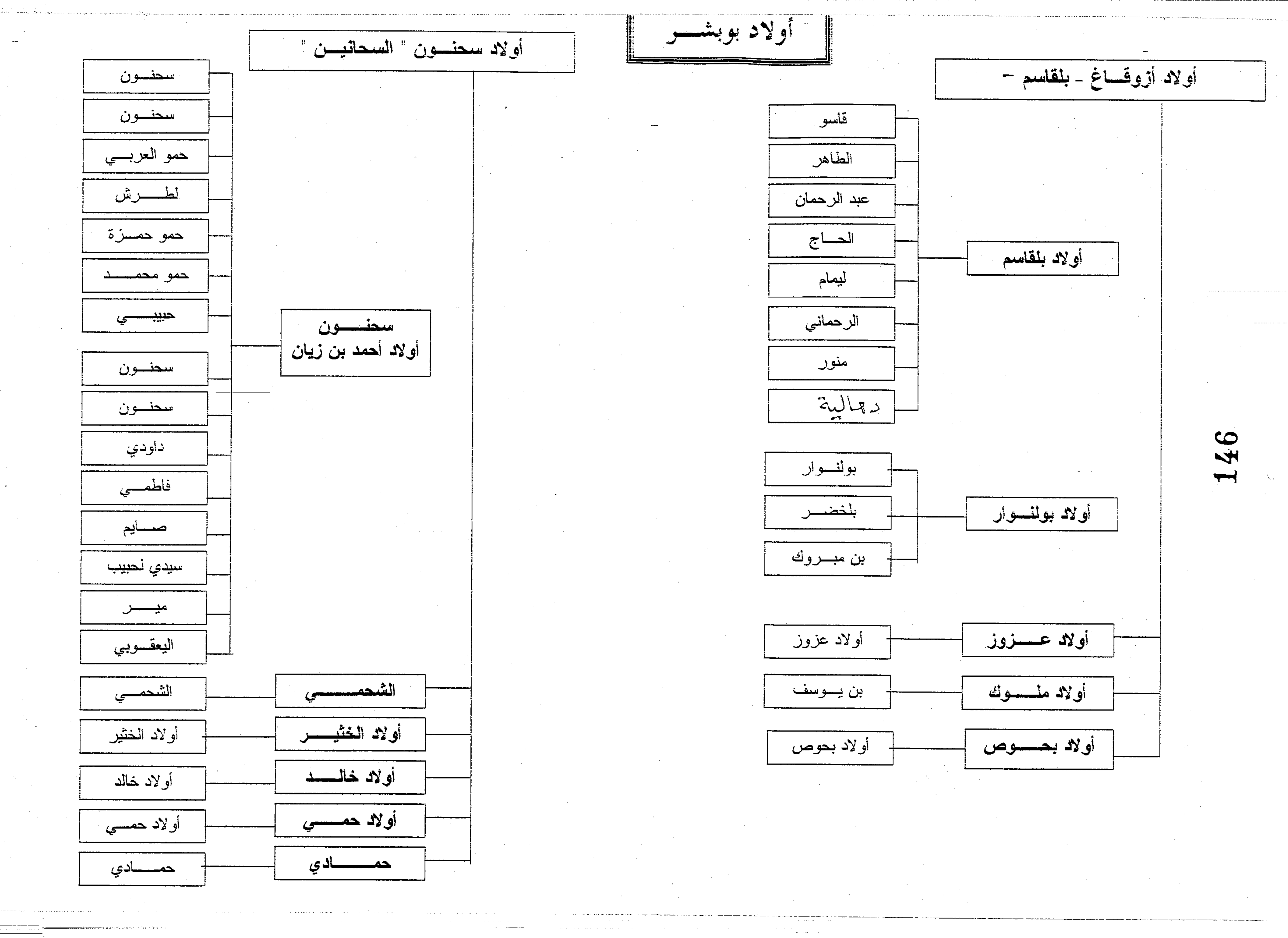









أولاد علي
أولاد شريف
أولاد بن سالم
بن سالم
بن جراد
شريفي
أولاد يحي
يحي
بن فضل
بن يحي
أولاد عرجة حمو
العرجة محمد
أولاد المصطفى
شريفي
أولاد عسوق
عسوق محمد
عسوق قدور
عسوق إبراهيم
مبخوتة
أولاد بوحفص
شرفاوي
حاج إبراهيم
بريكي
سيدي أحمد
أولاد بن فضل بن جبور
أولاد جبور
أولاد شيبوط
أولاد ميمون محمد
ميمون إبراهيم
شيبوط
جبور
خليفة
دهنون
أولاد الناير
الناير محمد
الناير التاج
الناير منور
عاشور
أولاد دايم
أولاد أحمد
أولاد قدور
أولاد حدو
حدو علي
أولاد دحو
دحو
كريم
محمد بوسماحة
الطاهر علي
بشير
عثمان
عثمان
بوخلخال
عبد القادر
الشيخ
طالب
طالب
بعيليش
بعيليش
بن حاجة
بن حاجة



أولاد بوبشر
أولاد أزوقاغ - بلقاسم -
أولاد بلقاسم
قاسو
الطاهر
عبد الرحمان
الحاج
ليمام
الرحماني
منور
دهالية
أولاد بولنوار
بولنوار
بلخضر
بن مبروك
أولاد عزوز
أولاد عزوز
أولاد ملوك
بن يوسف
أولاد بحوص
أولاد بحوص
أولاد سحنون " السحانين "
سحنون
أولاد أحمد بن زيان
سحنون
سحنون
حمو العربي
لطرش
حمو حمزة
حمو محمد
حبيبي
سحنون
سحنون
داودي
فاطمي
صايم
سيدي لحبيب
مير
اليعقوبي
الشحمي
الشحمي
أولاد الخثير
أولاد الخثير
أولاد خالد
أولاد خالد
أولاد حمي
أولاد حمي
حمادي
حمادي

رسالة الشيخ بوعمامة إلى الحاكم العسكري لدائرة غرداية
26 أفريل 1888.

الحمد لله وحده   هذه نسخة جواب

الطالب خديم اهل الله ابي عمامة بن العربي امنه الله امين
الداير متاعت الطابع لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

جواب

الى المعظم حاكم بني واغرداية وساير عمالاتها السلام عليك اما بعد كيف
بك يا عجابة تفعل الشي بمن ينسب علينا. واحنا وايلك في الخير التام وكلامي
ينسب عليك وسمعنا به نهوا به [illegible] اقدم نحونا ونتعلوا فيه ولا يرى
في نواحنا الا الخير ياكل ويشرب حتى يرجع لك في الامان وقد اتونا الشعانبة
مرارا بعد مرارا وقد علمنا بهم بانك رسلتهم ولا جانا منهم الا الخير
وكذلك الحاج محمد ولد سيدي الحاج عيسى الطيب وصاحبه اليعقوبي
خليفة القايد متاعهم واشباههم من الناس الذي ياتون من ايالتك واحنا
ناس مساكين لا نحب الخلاط وقد سكنا تلك البلاد الا مراجل لا نحب خلاط
لا ناسها مساكين وهي ضعيفة كما علمت وقد رسلت لك محمد بن عبد الرحمان
وقد رسلت له امحمد يغلتي وكذلك رسلت مرة اخرى ورد نت الناس
ورجع هاربا واما احنا رانا في ثنية نردها الناس ويقدم عند ناكل
واحد من سرحته لما يقضي مصالحه ويرجع سالما ولا تعرض له وانت
ذاك تقبض من ينسب علينا ومن وصلنا واخذت رايي الشياطين والخلاطين
واليوم تقبض عشرة [illegible] واما احنا ما عندنا حبيب الا الكلام بيني
الذي يبغون الخلاط ينوطوا بفضور بيننا وبينك لكي ينوضوا شواش
واليوم انت خبير لك تدعي هذا الامر بانك حبيت الخلاط وانا كانتبعوك
بيه ونعلموا بك الحكام الكبار الذي بيننا وبينهم الكلام وما علمناك
بهذا الكلام لا نحب الهناء والعافية وقلت التشواش وانا انت الي جيت
في هذا الامر تقبض من ينسب علينا بالكذب وتاخذ راي الخلاطين وتهرب
الناس الينا وينوض الشواش وتحسبه علينا وانت الي بعثته لا عزاضي
على الكذب وانت [illegible] تدوم العافية والهنا في الطاعة واحنا لا ذو علوا
[illegible] لكن نعلموا الحكام الكبار والسلام عن اذن ابي عمامة
بن العربي بن الحرمة [illegible] امنه
الله امين

الحمد لله وحده   ولا يدوم الا وجهه

الرسعادة المحل الارفع المحترم الانفع السيد المنسنيه القبير
حاكم امر الدولة السعيدة الفرنصاوية وسايس عمالتها وعليك
السلام التام يشتمل ما تحت حكمك من السادات الكرام بعد اعلامك
انه تريد تبني فجيج وما عندي فيه الا الضرر لاكرارة ذلك حيث
فيه صلاح الجميع والهناء والعافية وفضيات مصالح الدولة وغيرها
بلا تشويش ولا تعب اكثرها اشبيله فيما تحتوا العساكر بغير معنا
لاناس المغرب ولا ناس كل عندكم اذا انا رحلت وذلك من اجلهم من حب
السرقة يسرق ومن احب الهربة يهرب ومن احب العساكر والغلالة
ايلقها ويكثر الهول وينسبون علينا فيما تبني فجيج وفيه ضرر لنا
ونترك الرحلة وفيها صلاحنا فيمن ظلمت رعيتهم هو معنا
يرجع لكم والذي تحت العساكر وغيره من جيهتكم يرسنا ويتهمنا
لم نجد شيئ والذي تحت العساكر من جيهة المغرب كذلك يتهمنا
لم تبقى حيلة للعساكر ولا سبيلها ونحيا من شر حتى لا يكلمنا
ما يكون عليه تعريفي ويكون عليه الامان بالله يطمئن القلوب فمن
كان من جيهتكم يستلام ويرجع للبلاد كحين ما يرى منكم الا الخير
لان البلاد عزيزة اذا هو شاف الخير منكم يرجع اليها ومن كان من
ناس المغرب يتولف عقله ويتوجه لكم ويما يدخل حكمكم الا هلي
لان الخير والاحسان يحيي القلوب وان الناس كلها كانت متوحشة
لكم حيث سمعت ذكرتم علينا بالامان والخير وصارت تطلب الامان
منكم مثل ذوي منيع وتراها تحببت منه واسمعت حاكم اجنان الدار
قتل ستة رجال من اصحابنا كنا سرحناهم بقطعون الليل من [illegible]
وماتوا زوج رجال الخر كانوا قادمين بخمسة من الابل واخذ تلك الداحي
عشر زايلة بفرسيج العمور اهل الجبل على بعض العين الصفراء الذي
قدمت نحوهم ولد اعلي واخوانه السيد الكريم ومن معهم لكن من يحب
الخير والهناء يصبر فيما يتوقع عليه وانا وجهت لك الاحب
السيد بوزيان يتكلم معك انه موضعي وخبير الكتابة انه رجل عاقل
ومولا خير وتحبه العامية وابن خادم الزاوية فنطلبك لا زوجار [illegible]
وحد من حاجة والاخرى باقي الآن وعلى العهد والمحبة جمادى الثانية والسنة
عام 1318

عبيد ربه [illegible] محمد [illegible] الله

رسالة من الشيخ بوعمامة الى [illegible]

الحمد لله الرحمن الرحيم — وصلى الله على سيدنا محمد وآله

حفظكم الله ورعاكم ومن البلاء نجاكم ومع جميع اللهم كفاكم القايد محمد
بن محمد الله والقايد ابو بكر بن التكلا والقايد اعلا بن حسين ... السلام عليكم
عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته بعد بما نعلمكم يحفظون اوعا فيه
ان هذا الناس الذي ... بعض المغادير انا الذي رسلت لهم لاجل الفقيه
متاع السلطان نصره الله طلب على منو يلتقي معه منكم بعد ما تكلمت
معه في شانكم وانا حسنت ظني فيه لاجل هو الذي يصلح لذلك
يفعون وينفعكم في المصالح وتروه فدى والنا والتفوا مع الفقيه
وتكلموا معه فيما يصلح بالجميع وراهم بن ... الجواب بانهم واما نحنا
رانا نجو الا على الهنا والعافية والخير لنا ولكم ليس نرجو فيما بيننا و
لا نحن نشطون للخلاط واليوم الى انتم نعاونا في الخير وما يهني
الناس ... من هنا وانتم من هناك فنهتهني في ذلك الواجب فيجب
ان تسلوا لهم الامان وتعلمونا بما امكن فيمن سلوهم لكم وان كان غير ذلك
واحببتم غيره من التشكيب والخلاط فعلموا وانا لا نفعل بذا لكن
رانا نشدهم ونرسل لما يبغي من الفقها فلجوا انتم كيف كهم لكم ولذا
هو اتانا للهنا والعافية والامان التام من جانبكم ورفع به
الجواب من عندكم ان نصح لكم والسلام مرا بوعمامه
بن العرب بن الحرمه امنه الله

L'original porte ici l'empreinte du cachet
[illegible]

Pour copie conforme
L'interprète [illegible]

Le Commandant
sup. du cercle de [illegible]

رسالة من بوعمامة إلى قائد (قياد) قبائل الشعانبة
بوزانة، ماي/جوان 1888

الحمد لله وحده والملك لله

حضرة المعظم الارفع حاكم دايرة فردية وسايد اقطارها وعليك السلام بعد منة واستنى وانا الطلبا الدولة الامان ولم ياتني وها انا الطلبه الى الان تتكرموا علينا به كما تكرمتم على جميع الناس الحسيبة والمعتوبة وكل من كان يلتي بمتاع الدولة نردوه الى اهله وكل من كان باني واحب يرجع نسرحه يرجع الى الحكام وننفع وكل ما يكون يجلب بين الدولة ونبين لعقابا لطردنا لكل العمد في الغ اتاها رجل امر عندكم وقال لنا يحبانه حسنوها الحكام لا بد ان نضربوا مع يخلف لجبانة التي سمعتم عنا جميع القبايل ومن جبر لم نجد فينا عراك فيرمنا وكان يخوض حتى ما ظهر به شي وطلبنا منه التسريح ورجع ولى اعمر كان يخوض زاد علينا لاجل بطرنا يخوضوا ومنه واما ظهر به شي وكان يقتل الناس وبلكل متاع الدولة وغيرها ولم ينتهي فجعلنا لله ما سمعتم ورجع وطلبنا التسريح وسرحتاه وكذلك الغايبة ابريك وابنه ولخواته وكل من اراد التسريح سرحوه وذلك من اجل نحب منكم الامان والعافية تتكرموا علينا به ولوما انا باغي الرجوع بامانكم الا قربنا للبعد وارض الله واسعة ومنه واذطرنا وعففنا بكم اهل الخير وكل الناس نعانكم معهم وطلبوا منكم الامان واخذوه منكم ورجعوا هو الذي نرجوه وخففنا واينما لولا احنا نطلبوا منكم الامان وحابين الخير والعافية وتاركين التشويش والخلاف نحن قد منعنا لم يخونا ثلاثة اجمال منها اثنين بلا دجران والثالثة فدينا للمحمور بالنموس واحنا نعرو منهم ومن بينه منهم وما بغي في لسان ازبادن بن محمد وفي شهر الله المحرم عام 1312 والسلام عن اذن ابو عمامة بن العرب خلقه الله [illegible]

محمد

تطليع المعظم الارفع حاكم دايرة فردية وسايد اقطارها [illegible]

رسالة من الشيخ بوعمامة إلى حاكم دائرة غرداية.

صورة «الأمان» الذي أرسله لافريير الى بوعمامة في 8 نوفمبر 1899 (1)

الحمد لله

من عند خليفة ابي عمامة خليفة الشيخ الى سيد مجلس الجزاير المعظم لافيرير
وعليكم السلام بعد وان ورود كتابكم الاعز [illegible] هو خبير من النظام [illegible]
دولتكم الذي نعلم من غير [illegible] المانع بومدين [illegible] مزالي المغصوب من
شهرة [illegible] ونحن كانت [illegible] [illegible] [illegible] الشواش [illegible]
[illegible] الدولة [illegible] علبه [illegible]
[illegible] على [illegible] الاشهر [illegible]
[illegible] التهنئة والراحة ما يكون
[illegible] في الوقت [illegible]
[illegible] وعلى [illegible]

صورة الأمان الذي أرسله لافريير الى بوعمامة
في 8 نوفمبر 1899.

المصادر والمراجع العربية:

أ) - المصـــادر:

1 . ابن الأزرق: بدائع السلك في طبائع الملك: تحقيق د.سامي النشار بغداد العراق.ب ت

2 . ابن خلدون عبد الرحمان: تاريخ العلامة ابن خلدون. دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة بيروت 1960.

تاريخ ابن خلدون: دار العلم للملايين بيروت 1981.

3.ابن قدامة جعفر: الخراج وصناعة الكتاب: شرح وتعليق محمد حسن الربيدي دار الرشيد للنشر 1981.

4 .البكري أبو عبد الله: المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، طبعة باريس 1868.

5 .الخزنائي علي: جني زهر الأسس في بناء مدينة فاس.

تحقيق عبد الوهاب المنصور طبعة المطبعة الملكية الرباط 1967

6 . الزركشي محمد ابن عبد الله: أعلام المساجد، طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية: تحقيق الشيخ الوفا مصطفى المواني القاهرة 1403

7 .الصنهاجي البيدق أبو بكر: كتاب أخبار المهدي بن تومرت تحقيق الأستاذ لفي برنفسال - باريس- 1928.

8 .القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر بيروت. ب ت

9 . المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول، الطبعة الرابعة، دار الأندلس بيروت دار الأندلس بيروت 1981.

10 . المقريزي: تقي الدين: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار- جزءان - طبعة إصدار

11 . الهرثمي: مختصر سياسة الحروب: تحقيق عبد الرؤوف عوف مراجعة د. محمد مصطفى زيادة نشر المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

ب- المراجع

1.إبراهيم حجاجي: مقدمة في العمارة الدفاعية ، نهضة الشرق 1984.

2.أبو العينين حسين سيد احمد: أصول الجغرافيا المناخية. الطبعة الثالثة دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت 1405 هـ - 1985 م.

3.إسماعيل محمود: الخوارج في المغرب الإسلامي دار العودة - بيروت - 1976.

4.اندري برنيان: اندري توني: ايف لاكوست: الجزائر بين الماضي والحاضر ترجمة اسطمبول لحراج ومنصف عاشور - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر 1984

5.بلحميس مولاي: الجزائر من خلال رحالات المغاربة في العهد العثماني الطبعة الثانية الشركة الوطنية للنشروالتوزيع - الجزائر 1981.

6.بن عميرة محمد: دور الزناتة في الحركة المنهبية بالمغرب الإسلامي المؤسسة الوطنية - للكتاب - الجزائر 1984

7.البهنسي عفيف: الفن العربي الإسلامي في بداية تكوينه الطبعة الأولى: دار الفكر - دمشق 1983 .

8. بورويبة رشيد: د. موسى لقبال، د. عبد الحميد حاجيات، د. عطا الله دهينة، د. محمد بلقراد: الجزائر في تاريخ العهد الإسلامي - الجزء الثالث - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر 1984.

9. ترزويل: الآثار الإسلامية الأولى: تغرمي عبد الهادي عبل - دار قتيبة - دمشق -1984.

10.الجيلالي عبد الرحمن: تاريخ الجزائر العام - الجزء الأول - دار الثقافة بيروت 1986.

11.حيدر تامر: العمارة العربية الإسلامية: الخصائص التخطيطية دار الفكر اللبناني بيروت.1

12 . دودو أبو العيد: الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان 1830 - 1855.

13. روسي اتورى: طرابلس تحت حكم الأسبان وفرسان مالطا. ترجمة وتقديم التليسي الطبعة الثانية طرابلس 1985.

14. زوزو عبد الحميد: ثورة بوعمامة (1881-1883). الشركة الوطنية لنشر والتوزيع الجزائر 1981

15 . سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (16م-

20م) الجزء الأول، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1981.

16 . سعيدوني ناصر الدين: الشيخ المهدي بوعبدالي: الجزائر في التاريخ، الجزء الرابع – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر 1984.

17 .سالم السيد عبد العزيز: تاريخ المغرب العربي الكبير دار النهضة العربيـــــة بـــيروت 19819 .

18.شافعي فريد: العمارة العربية في مصدر الإسلامية المجلس الأول الهيئة المصرية للتأليف والنشر- القاهرة- 1970

19. عبد الله علام: الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي دار المعارف 1971.

20 . فكري أحمد: ماجد القاهرة ومدارسها المدخل – دار المعارف- مصدر 1951

21. لقبال موسى: المغرب الإسلامي، نشر مطبعة البعث قسنطينة 1969.

22. الميلي مبارك محمد: تاريخ الجزائر القديم والحديث – تصحيح وتقديم محمد الميلي – الجزء الثاني- المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر 1982.

23 . محمد محمود وصفي: دراسات في الفنون والعمارة العربية الإسلامية الهيئة المصرية – للطباعة والنشر – القاهرة 1980

24 . يونس نجاة:المحاريب العراقية بغدادالعراق 1976.

25. يوسف إبراهيم: إشكالية العمران والمشروع الإسلامي – مطبعة أبو داود الجزائر- 1997 .

المجلات والمقالات:

1.البهنسي صلاح الدين: طرابلس المغرب تاريخ وآثار – المنهل – العدد 454 – المجلد 48 ماي – جوان – 1987.

2. بوداود بلعرج: جوانب مضيئة من حياة رائد المقاومة الشعبية جريدة الخبر- السبت 24 مـــاي 1997.

3.احمد قاسم الجمعة: أهم التأثيرات المعمارية الفنية المتبادلة بين العراق والمغرب العربي في العصـــر الإسلامي مجلة آداب الرافدين العدد 9 أيول 1978 م.

4.احمد قاسم الجمعة: المحراب رحلة أربعة عشر قرن- مجلة لمنهل العدد 454 السنة 48 سنة 1987م.

5.حجاجي إبراهيم محمد: القلاع وتطور فكرة الهندسة. مجلة المنهل العدد 454 (العدد السنوي الخاص) سنة 1987 م.

6.الحصين محمد عبد الرحمان: خصائص البنية العمرانية للاحواش بالمدينة المنورة - مجلس جامعة الملك سعود - العمارة والتخطيط 1412 هـ.

7.رسلان عبد المنعم : نشأة المئذنة، مقالة بمجلة دار الملك عبد العزيز العدد الأول للعام الحادي عشر 1980.

8.سالم السيد عبد العزيز: مسجد القرويين بفاس مقالة بمجلة الشعب بيوت الله مساجد ومعاهد الجزء الثاني 1960 م.

9.صوفي اسمهان: الحي السكني في المدينة العربية المعاصرة إصدار معهد إنماء المدن الرياض 1401هـ.

10.عثمان عبد الستار: المفهوم الإسلامي لتخطيط المدينة - المنهل- العدد 454 - المجلد 48 ماي جوان - 1987.

11.فارب بيتر: بنو الإنسان: ترجمة زهير الكرمي سلسلة عالم المعرفة - الكويت 1980.

12.الكحلاوي محمد محمد: عمارة المساجد - المنهل -العدد 454 - المجلد 48 ماي - جوان - 1987.

13.كوشك عبد القادر حمزة: النهج الإسلامي في تصميم العمارة، المنهل العدد 519 - المجلد 56 جمادى ألأولى والآخرة 1415ه أكتوبر نوفمبر 1994.

14.مؤنس حسن: المساجد: سلسلة المعرفة: يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت 1981.

15.ناجي عبد الجبار: مفهوم العرب للمدينة الإسلامية: مجلة المدن العربية نشر منظمة المدن العربية عدد 15 السنة الثالثة 1984 م.

16. الهدلولي صالح بن علي: المجتمع والعمران - المنهل - العدد 454 - المجلد 48 ماي - جوان - 1987

- دوائــــر المعارف:

1 . ابن منظور: لسان العرب، المجلة الثالثة - تقديم يوسف الخياط - دار لسان العرب - بيروت - بدون تاريخ.

2 . الغنيمي عبد الفتاح مقلد: موسوعة المغرب العربي المجلة 2 مكتبة مدبولي، مصدر 1998.

3 . الفندي محمد ثابت: إبراهيم زكي خورشيد - احمد الشنتاوي. عبد الحميد يونـــــس - دائــــرة المعارف الإسلامية المجلة 1 - 2 - 3 - 12.

د) - المراجع بالفرنسية:

1. Abd Elhamid Zouzou : la révolution du Bouamama SNED 1986.
2. Charls André Jubien : Histoire de l'Algérie blanche. Que sais - je ? puf 1976.
3. Djillali Samir : Instruction de 1881-1882 SNED Alger 1981.
4. Douma (E.): Mœurs et coutumes de l'Algérie
Introduction d'Ajeghloul –Sindbad – Paris 1988.
6 . Felis Jaquot : Expédition du général Cavigniac Paris guide et bandrey 1849.
7 . G. Marcais : l'art musulman ED . DUF 1962.
8 . H. Terrasse : la mosquée des Andalous – Fès – Paris 1920.
9 . H. Terrasse : la mosquée a Quaraouiyina Fes Paris 1968.
10 . Rachid Bouriouba : l'art religieux musulman en Algérie SNED – Alger 1981.
11 . Reymien Tiout (sud oranais) Etude géographique et historique et médicale – institut de pasteur Alger 1954.
12 . Youcef Nacib : cultures oassissienne – Bousâada ENAL 1986.

هـ)- النشـــرات

1. Danglis (V) . Haouita Haouch M'Kan B.S.G.O.Oran, mai 1908
2 . Fourget (F): situation politique de l'Afrique – Paris 1881
3 . Grille : la conquête sud oranaise la colonne d'igli a 1900 extrais du secteur unilitaire Paris 1931.
4 . Guenard : description sommaire du Ksar de Moghrar Tahtani
Bulletin de société de géographie d'archéologie de la province d'Oran 1915 – 1916
5 . Grouille (E) Ancien chef de bureau arabe. Illustration de Bouamama.
6 . Marsier : Territoire Militaire Ain-Sefra 1914.
7 . Noël : document pour servir a L'histoire de Hamiyane B S G O ran T 35 1881 1882
8 . Petit : Note sur les Timili d'Ain Sefra Bs 60 T 2.5. 1905.

و) - المجلات و المقالات:

1 . Cauvet (cdt) : les marabouts revue Africaine N° 64 – 1923.
2 . Cominardi : du cœur des moûts de Ksour.
Le Ksar de chellala dahrania tradition modernité H.T.M in revue d'Architecture et d'urbanisme N° 2 Alger jin 1995.
3. Helbert Jynad : le Magreb : 3 me édition PUF 1978
4. marçais (G) :la conception des villes dans l'Islam in revue Alger T2 N°10 1945..
5. Washi : l'insurection de bouamama in revue tunisienne N°8 1901.

محتـــــويات الموضــــــوع